نبض الجليد

نبض الجليد

(رواية)

الطبعة الثانية
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

(نسخة إلكترونية مجانية)

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٢١٢٨٢
الترقيم الدولي: ٢-٦٧-٦٦٣٧-٩٧٧-٩٧٨

مفكرون
الدولية للنشر والتوزيع

القاهرة : +201022332041
+201110117447
السعودية : +966541297982
المغرب : +212522452084
MofakrounINT
info@mofakroun.com
www.mofakroun.com

نبض الجليد

رواية

عزة عبد الجواد

مفكرون
الدولية للنشر والتوزيع

إهداء

إلى من يصارع الأقدار وحيدًا دون سند

إلى المساكين الذين يعيشون بلا كنف

إلى الحيارى التائهين فى دروب الحياة

أهدى لهم هذا الكتاب

النبضة الأولى

ظلام دامس يحيط بها ، تركض فى كل الاتجاهات فلا ترى نهاية لأي منها، الاشجار تقف كأشباح تتربص بها، الطريق يبدو كثعبان أسود يتلوى حول قدميها، تخبطت فى الظلام الذى بدا كستار أسود أسدل على مسرح حياتها ، برز من الظلام كأنما انسلخ عنه.. وقف أمامها كذئب يتربص بفريسته، حدقت فيه بفزع، إنه كابوسها الذى لا يمكنها الخروج منه، إنه عذابها الذى لا ينتهى.. تعلقت عيناها به فى رعب وهى تهتف: ابتعد.. ابتعد.

اقترب منها بخطوات ثقيلة جثمت على صدرها وهو يقول بصوتٍ أشبه بالفحيح: لن أتركك أبدًا حتى تدفعى ثمن فعلتك.

صرخت فى هلع: ابتعد عنى.. ابتعد عنى.

ولكنه راح يقترب منها فى بطء مميت سحق كل أنفاسها المتسارعة وهو يخطو على ماتبقى من تلك الأنفاس التى انحبست الأخيرة منها فى صدرها وهى تلهث محاولة الاحتفاظ بأنفاسها الهاربة خارج رئتيها بصحبة تلك الصرخة التى شقت حنجرتها معلنة بوضوح عن الرعب الذى يجيش داخل صدرها.

مد يده إليها قبل أن يصم أذنيها ذلك الصوت .. و يتعالى صراخها ليدوى فى فضاء تلك الحجرة المظلمة.

❖ ❖ ❖

فتح (يوسف) عينيه الزرقاوين، اللتين ورثهما عن والدته الأمريكية، بينما حمل ملامح والده الشرقية، وجمعت بشرته خليطًا من الاثنين، فحظى ببشرة برونزية رائعة، مسح آثار النوم عن عينيه، وهو يتأمل السحاب السائر تحته، والطائره تشق السماء فى سرعة، ألقى نظرة على ساعته التى أخبرته أنه قد بقى نصف الساعة فقط على موعد الوصول، استرخى فى مقعده وعيناه تتبعان السحاب الأبيض الذى ذكره بسرير المستشفى الذى غادره بالأمس بعد أن ظل حبيسًا داخلها عدة أشهر، تحسس موضع تلك الرصاصة الغادرة التى كادت تودى بحياته، شعر بغصة فى حلقه وهو يتذكر وجهها، ورغمًا عنه أشاح بوجهه فى ألم.. شرد ببصره فى السحاب الأبيض المتقاطع مع زرقة السماء؛ عله يمسح صورتها العالقة بذهنه ولكن محاولاته ذهبت هباء، فراح وجهها الجميل وعناقها الحار وكلماتها الملتهبة تحيط بأذنيه وتحجبه عن العالم، وهى تنساب إلى أذنيه ناعمة حالمة، عاد يشيح بوجهه وهو يطلق تنهيدة حارقة شقت صدره لتخرج به من ذكرياته المؤلمة، فلا أسوأ من أن تفتح خزائن ذاكرتك، فلا ترى فيها إلا اللون الأسود، أما الأبيض فهو لم يدخلها قط حتى وإن توهمت للحظات أنه قد خطا بقدميه الواهنتين عتبتها الكسيرة.

أخرج عينيه من خزائن ذكرياته المظلمة .. ألقى بهما للخارج وهو يتذكر ذلك الاتفاق السخيف الذى أُجبر به على الحضور إلى

مصر.

أخذ يلوم نفسه للمرة الألف لقبوله ذلك الاتفاق ولكن تدخل الأمن الأمريكى كان كفيلا بإقناعه.. أخرجه من ذكرياته صوت المضيفة طالبةً منهم ربط الأحزمة استعدادًا للهبوط.

❖ ❖ ❖

تطلعت (سارة) بنظرة خاوية إلى جدتها التى جلست تحدق فى شاشة هاتفها المحمول.. بات هذا أمرًا عاديًا، منذ رحيل عمها الذى أتى لزيارتهم بعد فراق دام أكثر من ثلاثين عامًا، لم يتغير فيها عمها كثيرًا عن تلك الصورة المعلقة له فى صالون المنزل الفسيح، بجوار صورة والدها، كان لايزال يتمتع بتلك الوسامة، وإن هزل جسده بعض الشىء ، له ابتسامة جذابة تشى بأن صاحبها كان ساحرًا فى شبابه، الخطوط التى تظلل جبهته تشى بقدرٍ كبير من العناد والتصميم ولكن عينيه، هما اللتان تبدلتا بشكلٍ عجيب.. كانت عينان كسيرتين حزينتين ، إذا نظرت إليهما تشعر أنك سقطت فى بئر من الغموض ولكنه رغم ذلك لا يزال يحتفظ بجاذبية خاصة، وخفة ظل جعلته يمتلك قلبها وقلب إخوتها بسهولة ويسر فى فترة قصيرة هى عمر زيارته لهم.

ولكن حال جدتها تبدل كثيرًا بعد تلك الزيارة.. ففى بداية الزيارة كادت جدتها تطير من الفرح حين تلقت خبر عودته وانتظرته على أحر من الجمر، يوم جاء شعرت كأن جدتها قد عادت صبية صغيرة، كانت تتحرك فى أرجاء البيت بخفة وتكاد

تطير على الأرض ، ما كانت بحاجة لتناول أدويتها المعتادة، أشرق وجهها ولازمتها الصحة، حتى جاء موعد رحيله وجلس بمفرده مع جدتها قرابة الساعتين.. تبدل حال جدتها بعدها تمامًا ، كأنما قفز عمرها لعشرات السنوات إلى الأمام، أصبحت كثيرة الشرود، دائمة القلق، لايفارقها هاتفها أينما ذهبت، تراها تبكى أحيانًا بمفردها ولكنها أبدا لا تبوح بهمها.

واليوم هى جالسة قبالة الباب منذ الصباح، تمسك بهاتفها فى يدها.. تتطلع إليه وصراع ما يعتمل فى نفسها، فتارة تنظر إليه فى لهفة كأنما سيحمل لها حبيبًا طال انتظاره، وتارة تنظر إليه فى خوف، كأنما يحمل خطرًا مجهولًا.. اقتربت من جدتها وهى تربت على كتفها ، انتفضت إثر لمستها هاتفة : هل وصل ؟

هزت (سارة) كتفيها وهى تقول : (أحمد) بانتظاره فى المطار.

عادت الجدة تحدق ببصرها فى الفراغ ، ألقت عليها نظرةً قلقةً قبل أن تتجه نحو المطبخ.

❖ ❖ ❖

وقف (أحمد) يتلفت يمينًا و يسارًا فى صالة المطار رافعًا لافتة مكتوب عليها اسم (يوسف سليم) ، أخذ يتفرس فى وجوه الركاب الذين حضروا على متن الطائرة القادمة من أمريكا.. عاد ينظر إلى اللافتة التى كُتِبَ عليها اسم (يوسف)، بعدة لغات ثم نقل بصره حوله؛ عسى أن يوقفه أحدهم ولكن أحدًا لم يعره اهتماما ، ألقى عليه صاحب العينين الزرقاوين نظرة ساخرة، قبل أن يخرج من

صالة المطار تاركًا (أحمد) ينتظر بلا طائل.

التقط (أحمد) هاتفه المحمول ، وهو يطلب رقم (سارة) هاتفًا فى يأس: لم أجده، يبدو أنه لم يحضر.

أجابته فى هدوء : حسنًا تأكد من قوائم الوصول حتى تطمئن جدتى، ولا تتأخرفقد أعددت غداءً شهيا.

هتف فى حماس : سآتى على جناح السرعة . ثم أردف ضاحكًا: لا الجناح ضعيف.. سآتى على كتف السرعة.

قالت فى سعادة : تعالى على أى جزء يعجبك فى الدجاجة.. فقط تعالى بسرعة.

همس فى مكر: تبدين سعيدة لعدم حضوره ؟

أجابته بصوتٍ هامس : نعم ولكن لا تخبر جدتى.

قال فى ظفر: كم تدفعين مقابل سكوتى؟

أجابت فى مرح: سأعطيك قطعة لحم إضافية.

تمتم بلهجة مماثلة : حسنًا سأفكر بالأمر.

ثم أغلق الهاتف وهو يتجه للسؤال عن الراكب الغائب.

❖ ❖ ❖

ارتفع رنين جرس الباب.. هرولت (سارة) تفتحه ليطالعها ذلك الرجل الفارع الطول ذو البشرة البرونزية والعينين الزرقاوين اللتين تشعان ذكاءً وبرودا، تحيط به هالة من القوة، يظللها شعر أسود ناعم، تم قصه بعناية فزاد من جاذبيته المدمرة، خطا إلى

الداخل فى ثقة دون أن ينطق بكلمة واحدة.

نظرت إليه لحظة فى دهشة ثم تحولت دهشتها إلى غضب وهى تهتف : أنت أيها السيد .. إلى أين أنت ذاهب؟

جلس على أقرب مقعد إليه وهو يضع ساقًا فوق الأخرى، قائلًا فى برود: أين السيدة (كريمة)؟

تلك الهالة التى كانت تحيط به وتلك الجاذبية المفرطة تحولت فجأة إلى عاصفةٍ ثلجيةٍ أحاطت بها ، مما جعلها تتجمد فى مكانها قبل أن تقوى على فتح فمها وقد خطر فى ذهنها خاطر عابر، فهمست فى حذر: أنت (يوسف)؟؟

قال فى برود أشد: أخبرى سيدتك أننى أريدها.

تطلعت إليه فى غضب ، همت بالرد عليه لولا أن قاطعها دخول جدتها التى وقفت لحظات تتأمل الرجل الجالس أمامها، وهى تتبادل النظر مع (سارة) قائلة: أهو (يوسف) حفيدى؟

هزت (سارة) رأسها لحظة بذهول قبل أن تفيق لتقول فى غضب: يبدو أنك أخطأت العنوان... بترت عبارتها وهى تحدق فى جدتها التى دبت الصحة فى جسدها فجأة، وهى تتجه نحو ذلك الرجل الذى وقف قبالتها متحفزًا للحظة، قبل أن تحتويه (الجدة) فى حنانٍ بالغ هاتفةً من بين دموعها: كم اشتقت إليك حبيبى.. رباه كم أفتقدك..

أرسلته وهى تملى عينيها من وجهه قبل أن تتابع : ستبقى معى، أليس كذلك؟

عقدت الدهشة لسانه وهو يتطلع إلى المرأة العجوز و إلى الدموع التى راحت تسيل على وجنتيها و تلك المشاعر الصادقة التى غمرته بها وهى تعود لتحتضنه ثانية بقوة..هَمَّ بأن يدفعها عن صدره. ، ولكن قوى مجهولة ومشاعر عجيبة تتسلل إلى قلبه لأول مرة يشعر بها وهو فى أحضان تلك العجوز التى تُدعى جدته... تطلع إليها فى صمت دون أن ينطق بكلمةٍ واحدة.. ودون أن تمتد يديه لتحتضنها هى الأخرى كما تحتضنه هى بقوة.

عادت السيدة لترسله وهى تقول بحنانٍ بالغ: مرحبًا بك حبيبى، أنت الآن فى بيتك وبين أهلك، أنا سعيدةً للغاية بعودتك.

لم يُحرك ساكنًا أمام تلك المشاعر الفياضة، التى غمرته بها السيدة العجوز، شعر أنها اقتحمته واخترقت كل حواجزه، وانقضت على قلبه الحجرى تصب عليه حممًا ملتهبة.

جذبته السيدة من يده كما تجذب طفلًا صغيرًا، دون أن تنتظر منه ردًا قائلةً بحفاوة: هيا حبيبي لتتناول الغداء.. لقد أعددت لك طعامًا شهيًا صنعته بيدى، أتعلم أنا لم أدخل المطبخ منذ سنوات، دخلت اليوم من أجلك، لأعد لك طعامًا لم تتذوق مثله طوال حياتك.

شعر بقلق مبهم من استسلامه لتلك السيدة، التى أوقفته أمام مائدة عامرةٍ بالأطعمة، انبعثت منها رائحة شهية ، أجلسته السيدة إلى كرسى على رأس المائدة، لفت انتباهه تلك النظرة الغاضبة التى سددتها نحوه تلك الفتاة، والعجوزتجلسه فى هذا المقعد، وكأنما

ليس له حق الجلوس فيه.

جلست السيدة بجواره، مدت يدها نحوه بالطعام لتضعه فى فمه، وهى تقول فى سعادة: سأطعمك اليوم بيدى كما كنت أطعم والدك.

لم تحتمل أعصابه كل هذا ، فنهض فى حدة، وهو يقول بغضب حاول أن يغلفه ببرود: أنا لست كأحد تعرفينه أيتها السيدة ، ولنٍ أُعَامل معاملته؛ فأنا لست مثله ، كما أنه ليس والدى ، وقد أتيت هنا لغرض محدد، سأنهيه وأرحل.. ولا يصور لكى خيالك، أننى قد أصبح يومًا ما فردًا من أفراد عائلتك، ولا تجعلى الأوهام تسيطر على عقلك العجوز بأنه...

قاطعته (سارة) فى غضب هادر: أنت أيها الحقير كف لسانك ، وتحدث بأدب إلى جدتى.. و إلا فلتخرج من هذا البيت فورًا إن لم تحترم صاحبته.

التفت إلى تلك الفتاة، ذات الجسد الضئيل، الذى راح ينتفض من فرط الغضب ، ألقى عليها نظرة متفحصة، كانت فى أوائل العشرينيات من عمرها..بيضاء البشرة، ذات عينين سوداوين ورموش كثيفة وأنف أقنى وغمازتين غائرتين تفصحان عن نفسيهما بقوة ، تحيط وجهها بغطاء للرأس يخفى أى أثر لشعرها.. صمت لحظة قبل أن يتابع ببرود: أعتقد أن السيد (سليم) شريك فى هذا البيت.

ردت فى قوة : لا أحد له الحق فى هذا البيت، سوى جدتى وأنت هنا مجرد ضيف .. و إن لم تلتزم بحدودك فسأطردك فورا.

منذ زمن بعيد، لم ينجح أحد فى استفزازه ، ولكن تلك الفتاة،

أثارت داخله مشاعر غاضبة بتلك اللهجة المتحدية، حافظ على لهجته الباردة، وهو يتجاوزها ببرود قائلًا: أين غرفتى؟

لم تستطع أن تسيطر على نفسها أكثر من ذلك؛ فوقفت أمامه بتحدٍ : لا مكان لك فى هذا البيت إن لم تعتذر لجدتى.

نظر إليها نظرة باردة قبل أن يقول : ألا ترين أنك تثرثرين كثيرا؛ وهذا يدل على شخصية سطحية لا تجيد شيئًا سوى الكلام.

هتفت فى غضب: وأنت تتصرف ببرود ووقاحة؛ تدل على شخصية غير سوية نفسيًا.. تحتاج إلى أن تودع فى مصحة نفسية، لا أن تجلس بين أفراد أسرة طبيعية.

قال فى برود أشد، وهو يلتفت للجدة العجوز التى أطرقت فى حزن: سيدة (كريمة).. أين نصيب السيد (سليم) فى هذا البيت؟ فلا وقت لدى أضيعه فى حوارٍ تافه.

همت بالرد عليه، ولكن إشارة صامتة من جدتها أوقفتها ، وهى تشير له بيدها نحو حجرة فى آخر الرواق قائلة: تفضل سأقودك إليها.

تبع (الجدة) فى صمت، تاركًا إياها خلفه تتميز غيظا.

❖ ❖ ❖

فتحت الجدة باب الغرفة وهى تشير له بالدخول.. عَبَرَ الباب، لتطالعه غرفة مؤثثة بأثاثٍ عتيق؛ بدا من الواضح أنه كان يلقى عناية بالغة فقد كان بحالة جيدة؛ كأنما صنع حديثا ، لم يشغله البحث فى ذلك الحزن الذى غَلّف صوت الجدة الكسير وهى تغلق الباب خلفها قائلة: إن أردت شيئًا لا تتردد فى طلبه.

تطلع لحظة إلى الباب المغلق الذى بدا كدرع واقٍ له من هجمات غزاة غير مرئيين، ألقى بنفسه على الفراش منهكًا كحصان سباق توقف للتو... تنهد للحظات عله يستجلب الراحة من كونه وحيدًا مع الزمن رفيقه اللدود الذى قسى عليه كثيرًا ولكنه رغمًا عنه لا يستطيع كرهه؛ لأنه كل مايملك.. بل هو القيمة الحقيقية التى يملكها، كثيرًا ما علقت عيناه بعقارب ساعته الفخمة التى تحمل الزمن بين طياتها وتدور به سريعًا؛ لتسرق من حياته ماستطاعت سرقته، حاول كثيرًا ضبطها متلبسة بسرقة لحظات هامة من حياته، إلا أنها كانت تتسلل من بين يديه كما يتفلت الماء من بين أصابعه، إنها تذكره بها، تلك التى سرقت قلبه فى غفلةٍ منه، واحتفظت به ردحًا من الزمن حتى أعادته تلك الرصاصة، إلى قبضته مرة أخرى.. أو هكذا يظن.

❖ ❖ ❖

تعلقت عينا (سيلين) بتلك الساعة، التى راحت عقاربها تزحف حاملة عمرها معها.. ولكن أى عمر يعنيها، لقد توقف بها الزمن يوم رحيله، لم تكف عن لوم نفسها يومًا؛ عل الزمن يصفح عنها ، ويعيد دورته ويسقط تلك اللحظة من ذاكرته؛ ليعيد لها عمرًا ضاع منها، لم يبق لها بعد رحيله سوى تلك اللحظات القديمة، التى يجود بها الزمن عليها، حين يعيد لها ذاكرتها لتختلس منها بعضًا من الذكريات الجميلة، ويسدل ستاره الأسود على الحزين منها، لم يبق لها واقع حقًا فقد أصبحت فى نهارها حبيسة الذكريات، وفى

الليل هى أسيرة الكوابيس التى لا تنتهى.

انتشلت عينيها من بين عقارب تلك الساعة، لتلقى بهما على حافة ذلك الإطار الفضى الذى حوى صورة لشاب أزرق العينين، وسيم بشكل مدمر، تحيط به هالة من القوه والجاذبية ، تجعل من الصعب تحويل ناظريك عنه، ارتاح بصرها على صورته فحطت رحالها على عتبته الفضية،وكأنما ضبطت عيناه الزرقاوان عينيها الواسعتين على بابه الفضى، وقد أرهقهما الزمن فتركهما تستريحان على عتبته من عناء السفر، وراحت عيناه الآسرتان تخترقان روحها و تجذبها إليه فى قوة، لتمنحها واحدة من الذكريات الجميلة وترسلها لها حية متجسدة وكلماته الصغيرة تتردد فى أذنيها (سأحقق لك كل ما تتمنين).

التفتت إلى ذلك الصبى اليافع، ذي العينين الزرقاوين وإلى تلك الطفلة الصغيرة التى هتفت فى مرح: أنت إذًا (بابا نويل).

ابتسم والدها قائلًا : أليس صغيرًا على أن يكون (بابا نويل)؟

أجابته الصبية فى براءة: لا يا أبى.. إنه أكبر رجل فى العالم . ثم التفتت إلى الصبى وهى تتابع: سأحضر لك ثياب (بابا نويل) حتى تساعدك على تحقيق أحلامى.

ضحك والدها ثم عاد يقول فى جدية : تحقيق الأحلام يكون بالعمل والجد وليس عن طريق (بابا نويل)..

أشارت الطفلة إلى الصبى وهى تقول فى ثقة : (بابا نويل) سيعمل بجد من أجلى.

أطلق الأب ضحكة عالية وهو يوجه حديثه إلى الصبى : لا فائدة لقد أفسدتها بتدليلك لها

قال بلكنته المحببة: إنها أميرتى الجميلة.. سأظل أدللها طوال العمر.

مدت (سيلين) يدها إليهم، لكنهم تلاشوا فجأه؛ لتجد نفسها وحيدة فى تلك الغرفة الكئيبة التى تضمها وأحزانها.

❖ ❖ ❖

خطا (أحمد) إلى داخل البيت الكبير وهو يتشمم الهواء الذى حمل رائحة طعام شهى.. تبع الرائحة التى انبعثت من غرفة المائدة، ألقى نظرة متفحصة على الطعام الذى بدا أن أحدًا لم يمسسه بعد ، جلس إلى المائدة وهو يتأمل الطعام فى شغف صائحًا: ألن نأكل؟ لقد وصلت يا قوم..

رمقته (سارة) بنظرة غاضبة قبل أن تأتى الجدة متثاقلة لتجلس على رأس المائدة وهى تقول فى حزن: اذهب واستدع (يوسف).

هتف فى دهشة: هل وصل؟

أجابته بنفس اللهجة: إنه فى غرفة أبيه.

نهض متثاقلا.. تبادل نظرة سريعة مع (سارة) قبل أن يتجه إلى تلك الغرفة، التى كان محرمًا على أى طفلٍ أن يقترب منها ، وقف أمام بابها ثم طرق الباب فى هدوء.. مضت لحظات لم يتلق فيها ردًا على طرقاته.

عاد يطرق الباب ثانية.. سمع صوت حركة فى الداخل وزمجرة خفيفة جعلته يتراجع إلى الخلف فى توتر قبل أن يُفتح الباب، ليظهر خلفه (يوسف) وقد ارتدى سروالًا من الجينز المريح، وكنزة زرقاء ناسبت لون عينيه تمامًا.. تأمله بنظرةٍ باردة قبل أن يقول : ماذا تريد؟

تنحنح (أحمد) فى حرج وهو يجيب: خالتى تدعوك لتناول الغداء.

قال (يوسف) فى برود: وما شأنى بخالتك؟

أجابه فى هدوء: خالتى هى جدتك.

صفق الباب فى وجهه قائلًا : ليس لى أقارب.

حدق (أحمد) فى الباب المغلق لحظات فى غضب قبل أن يدور على عقيبه عائدًا إلى جدته التى تطلعت إليه فى وجوم وهى تطرق برأسها أرضًا فى حزن جعل (سارة) تنطلق صوب غرفته كالصاروخ وهى تطرق الباب فى حدة.

تأفف فى ضيق وهو يفتح الباب ليطالعه وجهها الغاضب.. تبعه هتافها الساخط: اسمع أيها الوغد إن جدتى تتناول دواءً والحزن يؤثر على صحتها.

قال فى برود: هذه الأعراض تقصيها على طبيب وأنا لست طبيبا.

كادت تنفجر من الغيظ وهى تقول : ستأتى معى الآن وتجلس إلى مائدة الطعام ولا يعنيني إن أكلت أم لا.. فقط اجلس من أجل جدتى وإلا..

عقد ساعديه أمام صدره وهو يقاطعها فى تحدٍ: و إلا ماذا؟

أكملت فى عصبية: دع ما سيحدث مفاجأة..وثق بأنها لن تسرك.

قال فى برود وهو يغلق الباب، منهيًا الحوار: تستهوينى المفاجأت الغير سارة..

تطلعت إلى الباب المغلق فى غضب، وقفت حائرة لا تدرى ماذا تفعل.. تبًا له إن جدتها تهتم لأمره كثيرا وهو ككرة من الثلج تتحرك، دون أن تأبه لأحد.

عقدت حاجبيها وهى تتمتم : حسنًا يا كرة الثلج لن أتركك تهنأ وأنت تسبب الحزن لجدتى.

❖ ❖ ❖

جلس (يوسف) فى حجرته، راح يفرغ محتويات حقيبته، حانت منه التفاتة إلى صورة موضوعة بجوار السرير كانت لشابين فى مقتبل العمر يبتسمان فى سعادة.. أحدهما يشبه هذا الذى يدعى والده ، بينما يشبهه الآخر إلى حدٍ ما ، تطلع إلى صورة الأول فى ألم..ثم لم يلبث أن أطاح بتلك الصورة وهو يهتف: حقير.

وقف أمام النافذة التى تتوسط الجدار المقابل للباب وتطل على تلك الحديقة الصغيرة المنسقة بعناية .. شرد بذهنه إلى زمنٍ بعيد ، قفزت إلى ذاكرته العديد من المشاهد؛ التى جعلته يعتصر قبضته فى غضب كعادته كلما شعر بالألم أو الغضب.

شرد فى ذكرياته المؤلمة، وهو يرى ذلك الطفل الصغير حبيس

إحدى الحجرات بينما يحاصره صبية آخرون، يفوقونه عمرا، وأحدهم يقترب منه وهو يمسك بيده سلكًا كهربيًا مقتربًا منه فى بطء.. انكمش الصغير على نفسه فى رعب والصبى الكبير أخضر العينين الشبيهتين بعينى القطط يواصل اقترابه وهو يقول فى سخرية: اليوم سنجرى تجربة عملية على ما تعلمناه، وعليك أن تجيب هل الماء موصل جيد للكهرباء؟

قالها بينما ألقى صبى آخر نحوه بدلو من الماء.. وجد الصغير نفسه يرتجف من الخوف والبرد معًا بعد أن ابتل جسده بالكامل وابتلت أرضية الغرفة المحيطة بذلك الصغير.. غرق فى المشهد الماثل أمام عينيه حتى شعر أن قدميه قد ابتلتا بالماء حقًا، ولكن صوت الماء الذى انساب إلى داخل غرفته وتدفق فى سرعة، ليبلل أرضية الغرفة مغرقًا حقيبته، بعد أن أغرق تلك السجاده الثمينة، جعله يدرك أن الماء حوله هو حقيقة، وليس حول ذلك الصغير.. تطلع إلى حقيبته المبتلة فى غضب وإلى الماء المنساب من أسفل الباب، قفز نحو باب الغرفة فى سرعة ليجدها واقفة تبتسم فى تشف وقد ثبتت خرطوم المياه بإحدى قدميها.

صاح فى غضب: ماذا تفعلين أيتها الحمقاء؟ لقد ابتلت حقيبتى.

أجابته فى برود: لن أدعك تهنأ فى هذا البيت لحظة واحدة؛ طالما تتسبب بالحزن لجدتى.

عاد للغرفة فى سرعة، ليرفع حقيبته من الأرض وهو يهتف : أنت مجنونة بحق....أكل هذا من أجل أن أتناول الطعام معكم؟!!...

يالكم من حمقى!!

قالت بنفس اللهجة الباردة: اسمع يا كرة الثلج أنت شخصيًا لا تعنيني.. والحقيقة أننى لا أريدك أن تجلس معنا ولا أريدك أن تبقى فى بيتنا لحظة واحدة..

استعاد بروده وهو يقول: أإلى هذا الحد يزعجك وجودى؟

أجابته فى صراحة: نعم.

قال فى صرامة: سأذهب لتناول الطعام مع السيدة (كريمة) وعليكِ تجفيف غرفتى.

تطلعت إلى الماء الذى لازال يتدفق فى الحجرة، ثم انتفضت من مكانها وهى تسارع بغلق صنبور المياه، عادت تنظر إلى الغرفة، الغارقة بالمياه، سائلةً نفسها: كيف ستجفف كل هذه المياه؟!!

أيقنت أنها وقعت فى شر أعمالها، أغلقت باب الغرفة، وهى تصبر نفسها قائلة: لا مشكلة فالماء قادر على إذابة الثلج أحيانا.

❖ ❖ ❖

تطلعت (سيلين) إلى الطعام فى فتور ، نهضت من مكانها متجهة إلى غرفتها، ولكن خالتها أمسكت بكفها وهى تجذبها، إلى مائدة الطعام ثانية قائلة: حبيبتى تعلمين أننى لن آكل بدونك.

همست فى حزن: لا رغبة لى فى الطعام.

هتفت (تارا) فى ضيق: كفى أنتِ تقتلين نفسك.

قالت فى يأس: أنا ميتة بدونه.. ربما عندما ألتقيه ثانية أعود إلى

الحياة.

فتحت (تارا) فمها لتعترض؛ ولكن والدتها أسكتتها بإشارة صارمة من يدها؛ وهى تربت على ظهرها قائلة: كل ما أريده هو أن تكونى سعيدة.

شردت ببصرها وهى تسأل نفسها، كيف السبيل إلى السعادة بدونه؟؟..وبقى سؤالها معلقًا داخلها.. فلا أحد يملك إجابتها فقد رحل وتركها وحدها، وبقيت هى الجانية المسكينة التى هربت من رحى الموت لتدور فى رحى الحياة وحيدة.

❖ ❖ ❖

وقفت (سارة) بإزاء المائدة فى مقابلة (أحمد) تنتظر عودة أخويها من المدرسة، فى حين جلس (يوسف) إلى رأس المائدة، وجلست الجدة إلى يمينه و(أحمد) إلى يساره.

كان فى داخله يشعر بالغضب ، لقد مر زمن طويل منذ أن شعر بهذا الشعور.. ولكن تلك الفتاة المجنونة جعلت الغضب يملؤه، لقد كاد يقتلها هناك على عتبة غرفته، ولكنه تسلح ببروده وقد قرر معاقبتها بطريقته، سيجعلها تندم على كل قطرة ماء بللت حقيبته.

قطع تفكيره ذلك الإعصار القوى، الذى هب على البيت بدخول الولدين، كان أحدهما صبيًا يافعًا يبدو فى المرحلة الثانوية، والآخر طفلاً صغيراً لا يتجاوز السادسة من عمره.. انقضا على الجدة وأمطرا وجهها ويديها بالقبلات.

ثم اتجها نحو (سارة)، التى احتضنتهما فى حب واضح، وهى

تحمل الصغير قائلة بابتسامة صغيرة: حبيبى.. كيف كان يومك؟

أجابها (إسلام) فى براءة: سيء ككل أيام المدرسة.

أطلق (أحمد) ضحكة عالية : هذا الفتى يذكرنى بنفسى.

قالت (سارة) فى مرح: وهل هذا شيء يدعو للفخر؟!

ضحك (مصطفى) : لقد أحرجتك يا (أحمد).. لا تنكر هذا.

بادله (أحمد) المزاح : الأيام دول يا (مصطفى).. غدًا يأتى دورى.

هتف الصغير : كل يوم تقول ذلك وغدًا هذا لا يأتى أبدا.

أطلق (أحمد) ضحكة قصيرة قطعها ليقول : حتى أنت يا (بروتس)..

أنهت الجدة هذا الحوار المرح وهى تقول، بلهجة حازمة:رحبوا بابن عمكم.

التفت الولدين إلى (يوسف)، تهلل وجه (إسلام) وهو يقول: حقًا.. أين ذهب عمى (سليم)، لقد أحضر لى الكثير من الألعاب والحلوى عندما زارنا الشهر الماضى.

لم يجب (يوسف) وكأن الكلام لايعنيه، فى حين مد (مصطفى) يده مصافحًا إياه فى رجولة : مرحبًا بك.

تطلع (يوسف) إلى يده الممدودة لحظة قبل أن يمد يده ليصافحه فى برود.

جذب (إسلام) أخيه من ثيابه هامسًا : لماذا لا يتحدث هل هو

أعمى؟

ابتسم (مصطفى) مجيبًا بلهجة مماثلة : الذى لا يتحدث يقال عنه أخرس وليس أعمى..

ارتفع صوت الجدة ليطغى على حوارهما الهامس، وهى تقول: اليوم لن نلتزم بقواعد ترحيبًا بحفيدى الحبيب.

ظهر الاستياء على وجه (يوسف) الذى التزم الصمت، وهو ينظر إلى الطعام بلا مبالاة بينما تطلع (أحمد) إلى الطعام فى شغف قائلًا فى مرح: يالك من محظوظ يا (جو).. القواعد تُكسر من أجلك.

قال (يوسف) فى برود: لا تعطى نفسك حقًا ليس من حقك.

تطلع إليه (أحمد) فى دهشة متمتًا : ماذا حدث؟!!

أجابه (يوسف) ببرود أشد: لسنا أصدقاء حتى تنادينى(جو).

ظهر الحرج على وجه (أحمد) فقالت فى سخرية غاضبة: لست (جورج كلونى) حتى يسعى لصداقتك .

التفت إليها فى برود : التافهون فقط هم من يتدخلون فى حوار ليسوا طرفًا فيه.

همت بالرد عليه ولكن إشارة محذرة من الجدة أسكتتها وهى تقول: اهدأ حبيبى كانوا فقط يريدون أن تشعر أنك وسط أهلك.

قال فى برود صارم: ليس لى أهل.

ثم ترك المائدة وانصرف مخلفًا وراءه صمتًا ثقيلا.

❖ ❖ ❖

دلف (يوسف) إلى حجرته مغلقًا بابها فى إحكام كمحارب يؤمن قلعته الحصينة؛ لصد هجمات الغزاة، ألقى نظرة ساخطة على أرضية الغرفة التى تم تجفيف الماء منها، ولكن ليس بشكل جيد فمازالت الأرضية مبللة، بالماء و إن أخرجت منها تلك السجادة الثمينة ، مط شفتيه باستياء قبل أن يلقى بجسده على ذلك الفراش الوثير، ويغلق عينيه لتتزاحم صور شتى أمام عينيه إحداها لفتاة باهرة الحسن تبتسم فى رقة، والأخرى لشاب غربى الملامح يحمل فى يده مسدسًا ويتجه نحوه، تتوسطهم صورة لحجرة مستشفى رقد هو على السرير الوحيد فيها ، يُحدق فى سقفها كما يُحدق فى سقف تلك الغرفة، التى يرقد فيها الآن.. استدار لينام على جانبه وهو يزفر فى ضيق محدثًا نفسه: هل أهرب من ماضٍ مؤلم إلى حاضرٍ سخيف؟... كيف أحتمل الحياة بين هؤلاء الحمقى؟؟

عادً يزفر بقوة أكبر، مخرجًا كل شحنات الغضب بداخله، ولكن عبثًا فغضبه كفارس أسود إذا أشهر سيفه فمن الصعب إعادته إلى غمده، يعلم أن تلك الجدران الجليدية التى يحيط بها نفسه ستنصهر فور انفجار بركان غضبه، الذى لم يسمح له يوما بالانفجار إلا مرة واحدة كاد يخسر فيها حياته نفسها، يومها أحكم غلق فوهة البركان وتعهدها بالتبريد، تارة وبالتجميد مرات عدة.. ولكن تلك الفتاة تعبث بغطاء الفوهة، وتحوم حول البركان، يَعِدُها أن يصيبها بعضًا من حممه إذا اقتربت أكثر، نهض من فراشه ، أخذ يصب الماء البارد على وجهه حتى تبرد فوهة غضبه..التقط حاسوبه وهو يحدث نفسه بأن طريقها للخلاص، والفرار من هذا

المكان مرهونًا بالانتهاء من عمله، مما رفع معدلاته لأقصى درجة، وعيناه تجريان على شاشة حاسوبه فى سرعة، وكأنما دخلت فى سباق مع الزمن.

❖ ❖ ❖

ترددت كثيرًا وهى تقف أمام باب غرفة (يوسف)، قبل أن تمتد يدها بطرقات خافتة ، انتظرت لحظات حتى أتاها صوته يزمجر من الداخل سائلًا عن هوية الطارق.

أجابته فى سخرية: خدمة الغرف.

فتح الباب وهو يتأملها لحظات، قائلًا فى برود:الخدمة هنا سيئة فمازالت الأرض مبللة بالماء.

تمتمت فى ضيق : لقد جئت أنجز وعدى بتجفيف الغرفة.

قال فى دهشة مصطنعة: حقًا لقد فاجأتني.. هل يوجد هنا من يحترم كلمته؟

أجابته فى برود : ابتسم.. أنت فى بلاد العجائب.

كاد يبتسم حقا ولكنه عاد يلتحف ببروده وهو يفسح لها الطريق قائلًا فى لهجة جافة: أسرعى.

وقفت مكانها قائلةً فى لهجة آمرة: انتظرنى بالخارج فلن أجففها وأنت بداخلها.

- أنا لا أترك أشيائى وغرفتى للغرباء.

- هذا بيتنا إن لاحظت ذلك يا كرة الثلج ، والآن إما أن تخرج

أو سأتركك وأشياءك تسبح فى الغرفة.

قال فى تحدٍ: لن أخرج وستقومين بتجفيفها.

انصرفت هاتفةً فى سخرية: حاول أن تجبرنى.

قبض على كفه فى قوة وهو يسيطر على نفسه مناديًا الجدة التى أقبلت مسرعة وهى تهتف فى لهفة: ماذا تريد حبيبى؟

أجابها فى سخط: سيدة (كريمة).. حفيدتك المجنونة ملأت الغرفة بالماء وعليها أن تجففها.

تبادلت الجده النظر مع (سارة) التى ولّت غاضبة، عادت تلتفت إليه وهى تقول: حسنًا (أحمد) سيقوم بتجفيفها لك.

هتف (أحمد) فى استنكار: ماذا؟ .. أنا أجفف الغرفة.. لم؟

قالت (الجدة) فى صرامة: أسرع يا (أحمد).

اتجه (أحمد) نحو الغرفة فى تذمر بينما وقف (يوسف) خارجها يراقبه وهو يعمل.. مرت دقائق من الصمت، قبل أن يكسر (يوسف) حاجز الصمت متسائلًا فى برود: لم تطيع تلك العجوز بذلك الشكل؟

أجابه (أحمد) فى بساطة: إنها خالتى.. وهى من ربتنى بعد وفاة أمى... ربتنى كابنها بالضبط

تابع بنفس اللهجة الباردة : وهل تستعبدك بتربيتها لك؟

التفت إليه (أحمد) وهو يهتف فى استنكار: تستعبدنى !! إننى أفعل كل شىء هنا طواعية..

قال فى برود: وهل تجفيف غرفتى عمل تعد نفسك تقوم به طواعية؟ أم أنك تكذب على نفسك لتستطيع القيام بهذا العمل السخيف !

صاح (أحمد) فى غضب: أنا لا أكذب على نفسى.. ولكن هناك شىء لدينا أنت لاتعرفه.. هذا الشىء اسمه البر.

تبع قوله بأن ترك أدوات التجفيف وانصرف.. تابعه (يوسف) ببصره لحظه، قبل أن يغلق باب الغرفة وهو يزفر فى ضيق متمتمًا: أحمق.

❖ ❖ ❖

أشرقت الشمس مرسلة أشعتها الذهبية، التى غمرت غرف البيت وتسللت بدفء... استقبل الجميع مداعبة الشمس الدافئة لهم بابتسامة مشرقة..بينما حطت تلك الأشعة على وجه (يوسف) الذى استقبلها بعبوس وهو يفتح عينيه، ويزفر فى ضيق، كم يكره شروق الشمس فلطالما حمل له الشروق ألمًا مختلفا، قفز سريعًا كعادته منذ قرر ألا يمنحه الفرصة لإيلامه مرة أخرى، كان يسعده كثيرًا تلك الانتصارات الصباحية، التى يحققها كل يوم كذلك الصباح الذى فر فيه من الموت وتركه غاضبًا لأنه لم يقع فى براثنه ولم يخشع فى حضرته، أبعده رذاذ الماء البارد الذى ارتطم بوجهه عند غسله إياه عن تلك الأفكار الصباحية المعتادة التى أصبحت لازمًا من لوازمه وطقسًا من طقوسه وهو يغير منامته ويرتدى ثيابًا منزلية أنيقة، ألقى نظرة سريعة على ثيابه الزرقاء التى تناسب لون عينيه، لطالما عشق اللون الأزرق؛ لأنه لون صديقه الوحيد الذى

يأنس إليه ويرتاح فى حضرته وتزول الوحشة من نفسه عندما يجلس بقربه، فارق مرآته التى لاتراه إلا نادرًا؛ ليغادر غرفته، وقد تناهى إلى سمعه صوت جلبة بالخارج، اكتشف فيما بعد أن تلك المجنونة كانت تودع إخوتها قبل ذهابهم إلى المدرسة، بينما جلست العجوز فى الردهة، وعلت الابتسامة وجهها فور رؤيته وهى تشير له بيدها قائلة: تعالى حبيبى لتتناول إفطارك.

قال فى برود: أنا لا أتناول طعام الإفطار.

تابعت (الجدة) فى سرعة : ولكن وجبة الإفطار هامة لـ.....

قاطعها فى ضجر: لن أضيع وقتى فى الاستماع إلى فوائد وجبة الإفطار.. ثم قفل راجعًا إلى غرفته.

أوقفته (سارة) قبل أن يصل إلى غرفته وهى تقول فى غضب: اسمع يا كرة الثلج.. يمكننى تفهم رغبتك فى أن تكون شخصًا ليس لديه أى ارتباط عائلى، ويمكننى أن أحترم تلك الرغبة أيضًا ولكن بما لا يؤثر على صحة جدتى، فهى مريضة ضغط وسكر، لذا إن أردت أن تحظى بخصوصية هنا فلا تتسبب بأى أذى نفسى لجدتى، وإلا فأنا أعدك أنك لن تجد الراحة هنا أبدا

قال فى برود وهو يتخطاها إلى داخل حجرته: (هتلر) كان يقول: لا تجادل الأحمق فقد يخطئ الناس فى التفريق بينكما.

أعقب قوله بأن صفق الباب خلفه.

انتفضت فى غضب وهى تتمتم فى حنق: سأريك ما يمكن أن يفعله الحمقى يا كرة الثلج.

❖ ❖ ❖

(هل تريدين بعضًا من المثلجات) نطقت (تارا) بهذه العبارة، وهى تناول (سيلين)علبة من المثلجات، نظرت (سيلين) إلى العلبة لحظة فى شوق ثم أزاحتها فى حزن : لن أتناولها بدونه.

هزت (تارا) كتفيها فى يأس، وهى تترك علبة المثلجات أمامها على الطاولة، قبل أن تغادر فى صمت تاركة (سيلين) وحيدة مع تلك الصورة التى ضمتها وشاب أزرق العينين رافقتهما علبة مثلجات كبيرة حملتها فى يدها، وعينا الشاب مسلطتان عليها.. ابتسمت وهى تراه يخرج من الصورة ليتجسد أمامها قائلًا فى مرح: ستمرضين حبيبتى إذا ظللت على هذه العادة السيئة.

علقت على كلامه بابتسامة كبيرة : دائمًا تقول هذا ثم تفعل مثلى.

أطلق ضحكة عالية لمعت فيها عيناه الزرقاوان وهو يقول: أعلم أنك لا تستمعين بالأيس كريم بدونى، ولكن تناول الأيس كريم فى الشتاء سيصيبنا بالتهاب رئوى.

هزت كتفيها فى اعتراض : كف عن المبالغة نحن نفعل هذا طوال عمرنا، دون أن يحدث لنا شىء.

قال فى مكر: هناك دائمًا مرة أولى.

سقطت تلك الصورة من يدها لتجذبها من ذكرياتها..انحنت تلتقطها ، أخذت تحدق إليه لحظات قبل أن تجهش ببكاء حار وهى تهتف فى ألم: أنا السبب.. أنا السبب.

❖ ❖ ❖

راحت (سارة) تقطع ذلك الممر أمام حجرة يوسف جيئةً وذهابًا وهى مطرقة برأسها.. كانت تلك عادتها كلما شعرت بالتوتر أو الغضب.. تشعر أنها كمن وضع على صفيح ساخن ، فها هو كرة الثلج يتحرك فى بيتهم ببرود غير عابئ بأحد، لم يكن هذا سيزعجها لولا اهتمام جدتها الفائق به وحزنها الذى يتجلى فى عينيها واضحًا كلما ابتعد عنها وعاملها بجفاء، هى لا تحتمل رؤية جدتها حزينة يكاد هذا يقتلها ، أحيانًا تلوم جدتها على اهتمامها الفائق به وأحيانًا أخرى تلتمس لها العذر.. فهى تعرف كم كانت تفتقد والده وكم تتلمس فيه رائحة ابنها الغائب عنها وكم تريد أن تعوضه عن فقده لهم.. تعرف كم جدتها حنونه، هى نفسها نهلت من حنانها هى وإخوتها، فقد نشأت يتيمة توفى والدها فى حادث سير ولحقت به والدتها بعد عدة أشهر أثناء ولادتها لطفل رابع .. رحلت ورحل معها الجنين الذى لم تكتب له الحياة، كان عمر (إسلام) وقتها يتعدى العام بقليل بينما كانت هى فى المرحلة الثانوية، تلك الفترة التى تكون فيها الفتاة أكثر احتياجًا لأمها، فقدت هى فيها كلا والديها، تذكر كم كانت تلك فترة عصيبة ..ولولا جدتها وحنانها واحتواؤها لها ولأخوتها لا يعلم غير الله ما الذى كان سيحدث لهم؟!.. لقد تحملت جدتها الكثير، تجلدت أمامهم وأخفت حزنها على فقد ولدها، وفقد زوجته من بعده التى كانت تعتبرها بمثابة ابنتها، وتحملت غياب ابنها عنها لسنوات وكذلك غياب حفيدها الثلجى هذا ، والآن جاء دورها لتسعد جدتها بأن تعيد لها هذا

الحفيد البارد.. ستعمل جاهدة على هذا، وإن كانت لاتدرى عاقبة محاولاتها..فهى تخشى أن يجعل بيتهم يتجمد ببروده الشديد.

ابتسمت لحظة قبل أن تتمتم لنفسها: انتظر يا كرة الثلج سأجعلك تنصهر داخل العائلة.

❖ ❖ ❖

ارتفعت الطرقات على باب حجرة (يوسف) الذى رفع رأسه عن الأوراق التى أمامه فى استياء بالغ ، لم يعتد أن يقتحم أحد حياته الباردة بهذا الشكل من قبل.

زفر فى ضجر عندما طالعه وجهها خلف الباب، وهى تناوله كوبًا من الحليب قائلةً فى براءة: هذا سيساعدك على التركيز.

لطالما كره الحليب لأنه أبيض اللون، هذا اللون الذى يذكره بالمستشفيات حيث كل شىء هناك مغطى بالبياض، نقل بصره من الكوب إلى وجهها الأبيض المشرب بالحمرة ثم قال فى برود: الأشخاص محدودى الذكاء فقط هم من لا يدركون معنى مايُقال لهم.

همست فى خوفٍ مصطنع وهى تمد له الكوب بيدٍ مرتجفة: أعلم أنك لا تتناول طعام الإفطار ولكن تناول هذا لأجل صحتك.

قال وهو يضغط حروف كلماته: لا تقتربى من حجرتى ثانية.

تظاهرت بالفزع وهى تقفز من مكانها ساكبةً كوب الحليب على ملابسه.

تطلع إلى ثيابه التى غطاها اللبن بداية من صدره حتى أسفل

بنطاله، هتف فى غضب: ماذا فعلتِ أيتها المجنونة؟

أجابته فى سخرية وهى تنصرف: لقد وعدتك أنك لن تهنأ بالراحة فى هذا البيت طالما تتسبب بالحزن لجدتى..

تطلع فى حنق إلى ثيابه، قبل أن يغلق الباب فى عنف.

ابتسمت فى نصر وهى تهتف مشجعة نفسها: هيا (سارة) يجب أن تعاجليه بضربة أخرى.. يجب ألا تعطيه الفرصة كى يفيق ويستعد لصد هجماتك... اتجهت إلى الحديقة الصغيرة المحيطة بالمنزل وهى تقفز درجات السلم كطفلة صغيرة.

❖ ❖ ❖

وقف تحت الماء يسكب سائل الاستحمام ليزيل آثار اللبن الذى اخترق ثيابه ليلتصق بجسده، راح يهدئ من نفسه مستخدمًا بعض تمارين التنفس، لقد سيطر على غضبه بإرادةٍ جليدية، كان دائمًا يعتبر الغضب ضعفا، ويراه وسيلة الضعفاء للتعبير عن عجزهم، وهو يكره الضعف بشتى صوره، ولعل هذا هو ما كان يثير داخله عاصفة من السخط لا حدود لها.. فشعوره بأنه أُجبر على الحضور كان يجعله يرفض المكان والبلد بأسرها، لم يسمح لأحد بأن يجبره على شيء منذ شب عن الطوق،ولكن الأحداث المتلاحقة والخطر الداهم الذى أحاط به من كل حدب وصوب، والموت الذى وقف يرقبه من بعيد مرسلًا إليه بأنه فى انتظاره دائما، لم يكن له رغبة فى الحياة نفسها بقدر ما كانت رغبة فى تحدى الموت والانتصار عليه ، وبقدر ما كانت رغبة فى إذلال الخطر وتركه على قارعة الطريق

ينعى هيبته المفقودة.

ظل واقفًا تحت الماء لفترة طويلة حتى يمتص الماء البارد شحنات الغضب التى تتقافز داخل عروقه الجليدية تتمنى فرصة واحدة للإعلان عن وجودها ، ولكن الماء سجانها البارد أعادها بقوة إلى تلك القيود الثلجية لتنزوى خلف قيادة العقل وتمتثل لأوامره الصارمة.

❖ ❖ ❖

توقفت فى الحديقة الصغيرة ، بحثت بعينيها عن شيء ما، ولما يئست من العثور عليه رفعت صوتها وهى تنادى: ميشو.. ميشو.

قفز عليها ذلك القط من أعلى شجرة تلقفته بين يديها هاتفة : هل جننت؟ ألم أطلب منك أن لا تفعل هذا ثانية؟!

ماء القط بين يديها وهو يتمسح بها ربتت على ظهره فى حنان قبل أن تقول : أحتاجك فى مهمة يا بطل.

اتجهت به نحو نافذة غرفته المطلة على الحديقة وهى تدفعه ليدخل من النافذة قائلة: قم بأقصى فوضى ممكنة و سأكافئك..

ثم دفعته داخل غرفة (يوسف) الذى خرج من الحمام الملحق بغرفته، وهو يجفف رأسه بالمنشفة مرتديًا برنسًا كبيرًا.. توقفت يده فى منتصف رأسه، وهو ينظر إلى أوراقه المبعثرة أرضًا، وثيابه الملقاة وأشياءه التى غادرت أماكنها... تطلع إلى ذلك القط الكبير الحجم الذى راح يقفز فى كل مكان.. ثم وقف فوق فراشه، ونظر للحاسوب الشخصى..أدرك فى لحظه ما سيفعله القط ، فقفز يلتقط

حاسوبه قبل أن يدفعه القط أرضًا.. ثم انقض على القط وأمسك به، وهو يخرج من حجرته مناديًا الجدة التى أقبلت فى سرعة لا تتناسب مع عمرها وهى تقول: هل تريد شيئًا؟

أشار إلى القط هاتفًا فى غضب: هذا الشىء ماذا يفعل فى حجرتى؟

أقبلت وعلى شفتيها ابتسامة ماكرة، ، وقفت قبالة الباب على أطراف أصابعها، وكأنما تحاول أن ترى ما سببه (ميشو) من فوضى.. لمحها فأدرك الأمر وهو يتابع كلامه (للجدة) فى حزم: لن أكون مسؤولًا عن سلامة من يقترب من غرفتى.

تطلعت إليه الجدة فى تساؤل : ماذا حدث؟

قال وهو يغلق الباب فى وجهيهما: اسألى حفيدتك المجنونة.

التفتت الجدة إليها فى تساؤل فأجابتها (سارة) فى سرعة وهى تقتادها إلى كرسيها المفضل : يبدو أن (ميشو) قد عاث فسادًا فى غرفته.. لا تقلقى عندما يخرج سأرتبها له.

❖ ❖ ❖

وقف بين أوراقه المبعثرة وهو يتمتم: حسنًا من سيقترب من الغرفة ثانية، سيدفع الثمن غاليا.

جمع أوراقه.. سقطت من بينها ورقة مكتوبة بخط نسائى، كُتب عليها كلمة واحدة فقط (أحبك) وشفاه مرسومة ترسل قبلة.. حدق بالورقة لحظة فى ألم ، ورغمًا عنه قفزت صورة فتاة رائعة الحسن باهرة الجمال لتتجسد أمام عينيه، أشاح بوجهه، كأنما لا

يريد أن يراها..ولكن صورة الفتاة الحسناء لم تتحرك بل بقيت ماثلة أمام عينيه.

ألقى بالورقة التى بين يديه أرضًا وراح يدهسها بقدميه مفرغًا فيها كل ألمه..

اختفت صورتها من أمامه، ما إن دهس الورقة بقدمه وكأنما انقطع الرابط بينهما.. ظل لحظات واجمًا فى حزن قبل أن يجلس أمام حاسوبه ليكمل عمله الخطير.

❖ ❖ ❖

تطلعت (سارة) إلى الدموع التى سالت من عينى صديقة طفولتها، وهى تقول: ما هذا دموع الفرح؟

ابتسمت (رنا) من بين دموعها : كلا.. إنها دموع البصل.

ضحكت (سارة) قائلة : أنتِ من أصر على مرافقتى داخل المطبخ.

هتفت صديقتها فى اعتراض : لم أكن أعلم أنك ستقومين بتقطيع هذه الكمية الرهيبة من البصل.. هناك أجهزه كهربائية معدة لهذا الغرض.

- أعلم ولكننى لا أحب الاعتماد على هذه الأجهزة بشكل دائم أشعر أنها تجعلنا عاجزين عن فعل أى شىء سوى استعمالها.

- لولا هذه الأجهزة لحصلت كثير من النساء على الطلاق؛ بسبب أعمال المنزل.. أتعلمين أنا أتعجب لأمرك كيف أنك طالبة

بالسنة النهائية بكلية الهندسة ولا تحبين التكنولوجيا.. أنت بحاجة لتحليل نفسى.

- ليس لى ذنب فى أنكِ لا تجدين مرضى لتمارسى عليهم دور المحللة النفسية، أخبرينى هل قمتِ بنفس الدور مع عريس الأمس؟ هل راق لك؟

أزاحت (رنا) خصلة نافرة من شعرها قبل أن تجيب فى مرح : إنه جيد إلى حد ما.. بدا متوترًا بعض الشئ.. لغة الجسد لديه عالية.. يستخدم يديه كثيرًا أثناء الكلام.. يعانى من الإحساس بالاضطهاد وبأنه لم يحصل على مايستحقه، وأن الحياة لم تقدر إمكاناته، التقدير الصحيح.. أعتقد أنه يحتاج إلى تعديل سلوك يستغرق ستة جلسات.

أطلقت (سارة) ضحكة عالية وسقطت من يدها تلك السكين وهى تقول: إذًا تزوجيه ليحصل على التقدير الصحيح ويلتحق بمستشفى المجانين بجدارة.

❖ ❖ ❖

انتهى (يوسف) من تثبيت شىء ما على باب غرفته، تطلع إليه لحظة وهو يتمتم : هذا رائع لنرى أيتها الثرثارة التافهة كيف ستتمكنين من إزعاجى ثانية؟!

لم تمض لحظات حتى سمع صوت شىء يرتطم بالباب و يرتد عنه فى عنف مصحوبًا بصرخة هائلة.

ألقى نظرة متشفية على ذلك القط الكبير الحجم الذى سقط

أرضًا خارج حجرته، بينما أقبلت (سارة) تجرى تتبعها (الجدة) بحركة بطيئة.

تطلعت إلى القط الملقى أرضًا بلا حراك وهى تهتف فى ذعر: ماذا حدث؟

قال فى برود: لقد حذرتكم.. أنا لست مسؤولًا عن سلامة أى كائن يقترب من غرفتى.

صاحت فى استنكار وهى لا تزال تحرك القط أملًا فى أن يتحرك: أنت مجنون.. كى تقتل روحًا بسبب تافه.. لو حدث له أى شىء فلن تبقى فى هذا البيت لحظة واحدة.

هَمَّ بأن يرد، ولكن الدخول العاصف لأخويها، وذلك الصغير الذى اقترب منها وهو ينظر إلى القط الملقى أرضًا فى حين قال (مصطفى) فى سرعة: ماذا حدث لـ (ميشو)؟

أجابته فى توتر: اذهب بـ (إسلام) من هنا.

ولكن الصغير جلس بجوار القط فى ذهول، وهو يقول: لم لا يتحرك (ميشو).. هل هو مريض؟

ربتت على كتفه وهى تحاول النهوض: نعم حبيبى سأذهب به للطبيب.

بكى الطفل فى حرارة: لقد ذهبت أمى للطبيب ولم تعد..هل سأفقده كما فقدت أمى؟

شعر بشىء من الألم أمام بكاء الصغير الذى احتضن القط

فى حنانٍ بالغ، وراح يبكى بحرقة، تحرك بعد لحظة من الصمت وهو يقترب من الطفل قائلًا فى برود: لا تقلق سيفيق بعد لحظات فالصدمة كانت بسيطة. ثم حمل القط وراح يدلك أجزاء من جسده بطريقة دائرية وقد جعل رأسه فى مستوى أقل من جسده مستمرًا فى تدليك صدره بطريقة مدروسة.. ولم تمض لحظات حتى ماء القط مواءً ضعيفًا.. تهلل وجه (إسلام) وهو يحتضن القط فى فرح، التقطه منه (مصطفى) الذى أخذ يقبل القط فى حنان..فى حين قفز (إسلام) يتعلق بعنق (يوسف) ويطبع على وجنته قبلة صغيرة، هاتفًا : شكرًا لك.. لقد أنقذت حياة (ميشو) أنت من الآن صديقى..

تطلع فى ذهول إلى وجه الطفل البرئ، وتلك القبلة التى طبعها على خده فى صمت.. حاول الانسحاب إلى غرفته ولكن الصغير عاجله بضربة أخرى، حين قال : هل تقبل صداقتى؟

احتمى بالصمت وهو يهز رأسه بإيماءات، لا معنى لها مهرولًا نحو غرفته.

فقال (إسلام) فى دهشة: لم يرد على طلبى.

احتضنته الجدة وقبلته فى سعادة : لقد وافق حبيبي.

قفز الصغير فى فرح وهو يهتف: أنا أصبحت صديقًا لكرة الثلج.

تأملته(سارة) لحظة قبل أن تقول فى حزم: حسنا هيا اذهبوا إلى غرفكم وبدلوا ثيابكم.. و يمكنك أن تحمل (ميشو) إلى غرفتك.

صاح (إسلام) فى فرحة حقيقية: شكرًا لكى حبيبتى.

❖ ❖ ❖

ابتعد الجميع عن حجرة (يوسف) الذى جلس وحيدًا داخل غرفته.. كان يشعر بسخطٍ لاحدود له.. قبلة (إسلام) ذكرته بذكرى بعيدة لطفلٍ صغير يقفز ليتعلق بعنق امرأة مخمورة، تكاد تفقد اتزانها بين لحظة وأخرى، وهى تدفع الصغير بعيدًا، بينما تفتح ذراعيها عن آخرهما لرجلٍ غريب، يلقى بنفسه بين أحضانها ويقبلها بصورة فجة.

أخرجه من تلك الذكرى صوت طرقات على الباب، فقال فى ضيق: ربما على أن أحرق كل من تسول له نفسه الاقتراب من هذا الباب.

فتح الباب ليجدها واقفة أمامه، تحمل عصا خشبية غليظة تطرق بها الباب، شهرتها فى وجهه فور أن ظهر خلف الباب الموارب تبعه بروده المتسائل فى صمتٍ قاسٍ مما جعلها تهتف فى غضب متوتر: إن تسببت بالأذى لأى فردٍ فى هذا البيت، أيها المعتوه سأعيدك إلى عصور الظلام .

تأملها بنظرة باردة صاحبت كلمات أكثر برودًا : لقد أعددت تلك الصدمة الكهربية، لتكون من نصيبك.. سأحرص على أن تنالى ما تستحقينه فى المرة القادمة.

قالت فى سخرية: ليس كل ما يتمناه المرء يدركه يا كرة الثلج.

- هذا قول العجزة والفاشلين ليبرروا عجزهم عن تحقيق أهدافهم.

- أرى أنك قد انضممت إليهم فقد فشلت فى تحقيق هدفك.

- بل على العكس لقد حققت جزءًا منه، فقد تخلصت من الذى

عاث فسادًا فى حجرتى.

قالت فى غضب: إذا تعرض أى كائن حى فى هذا البيت إلى شىء بسببك فثق بأنى لن أرحمك.

قال فى برود : انصرفى من هنا فلقد أضعتِ لى الكثير من الوقت، منذ قدومى إلى هذا المكان السخيف بحواراتك التافهة.

ألقت عليه نظرة غاضبة ثم انصرفت.

عاد إلى حجرته ليجد الكهرباء وقد انقطعت عن غرفته، ذكره ذلك الظلام الجزئى الذى يحيط به بذكرى بعيدة، لذلك الطفل الصغير الذى يجلس فى ركن مظلم من منزل فسيح وحيدًا، يرتجف من الخوف والوحدة.. كان الصغير يبكى بكاءً حارًا.. لازالت شهقات الصغير الباكية الخائفة ترن فى أذنيه، عاد بذاكرته لعدة ساعات، سبقت بكاء الصغير وهو يرى تلك المدعوة والدته، تجلس بشكل مبتذل مع رجل غريب وتضحك بخلاعة، بينما يترنح هذا الغريب من السكر.. اقترب الصغير منها وهو يبتسم لها فى براءة، مد يده الصغيرة ليمسك بيدها ولكن ذلك الغريب أطاح به بعيدا، رفع الصغير صوته، فى غضب مناديًا أمه بعد أن أبعده الغريب عنها، ولكن تلك المدعوة أمه نهرته فى شدة، وهى تطلب منه الابتعاد عنها والذهاب إلى غرفته، تحرك الصغير بخطوات كسيرة وقبل أن يغادر الردهة، دخل ذلك المدعو والده الذى تسمر مكانه لحظات وهو يتطلع فى صدمة إلى تلك المرأة وعشيقها ثم انفجر كبركان يغلى من الغضب، وهو ينقض على ذلك العشيق

ويوسعه ضربًا قبل أن يفر من يده هاربًا من نافذة المنزل، بينما وقفت المرأة تهدد زوجها بوقاحة منقطعة النظير بأنها أبلغت الشرطة وهى فى طريقها إليهم واصفة إياه بالهمجى المتخلف.. ولم يكن من زوجها إلا أن أطبق على عنقها قاصدًا إزهاق روحها، ولكن صوت أبواق الشرطة التى تعالت من الخارج، جعلته يفر هاربًا هو الآخر، تهاوت المرأة على الأريكة، وانزوى الصغير فى خوف حين دخل رجال الشرطة، وهم يستمعون لكلام الزوجة، التى كالت الاتهامات للزوج.. ولم تكتف بذلك بل قامت بعد انصراف الشرطة، بالاتصال بعشيقها وأخبرته أنها استولت على كل أموال الزوج وأنها ستسافر معه فى الحال؛ فما عادت تقوى على فراقه، لتغادر بعدها المنزل تاركة الصغير وحده، دون أن تلقى عليه نظرة واحدة كأنه لم يكن موجودًا من الأساس.. تنهد فى ألم وهو يتحرك ليبعد صورة الطفل الصغير من ذاكرته، حينما صدمت عيناه تلك الخيوط الضوئية التى تتسلل على استحياء من أسفل بابه المغلق، تطلع إلى الردهة الفسيحة التى ترسل جزءًا من ضوئها إلى غرفته فى كرم وسخاء أحنقه..فرفع صوته مناديًا الجدة التى أقبلت فى سرعة، بادرها باستياء: هناك عطل كهربي فى غرفتى.

ألقت ببصرها داخل حجرته وهى تقول فى تساؤل: كيف؟ ولم حجرتك وحدها؟

ثم رفعت صوتها تنادى حفيدتها المزعجة التى أقبلت تمشى فى هدوء متصنعة البراءة، ابتدرتها الجدة قائلة: تفقدى الكهرباء فى غرفة

ابن عمك لنرى إن كان بها عطل يمكنك إصلاحه أم نستدعى كهربائيا.

اتجهت (سارة) نحو لوحة المفاتيح ولكنها فوجئت به خلفها، وهو يقول: انتظرى فمثلك يفسد ولا يصلح.

تطلعت إليه فى برود قائلة : أرنا أيها القاتل ما يمكنك عمله.

لأول مرة ترى الغضب فى عينيه كأنما اشتعلت مقلتيه بنار زرقاء.. ورغما عنها ارتعدت فرائصها وهو يقول بلهجة مخيفة: لقد قابلت الكثيرين فى حياتى، يستحقون القتل ولكنى لم أفعل.. فلا تجبرينى بلسانك السليط هذا على أن تكونى أول ضحاياى !!...

لم تتخيل أن تراه غاضبًا هكذا..ولم تتصور أن ترتجف أوصالها أمامه بهذا الشكل.

انتفضت فى مكانها وهو يتابع بنفس اللهجة:أفهمتِ؟

تمتمت فى خضوع أذهلها هى نفسها: أنا آسفة لم أكن أقصد.

قال وهو ينصرف: التافهون فقط هم من يتفوهون بالترهات ويحاولون مسحها بكلمة آسف لامعنى لها.

لحقت به فى سرعة : انتظر لحظة.

وقف دون أن يلتفت إليها.

فتابعت على الفور : اسمع.. قد لا نكون أقارب طبيعيين، وحقيقة أنا عاجزة حتى الآن عن تقبل وجودك داخل منزلنا، ولكن أعدك أنى لن أزعجك قط بعد الآن، فقط بشرط.

قال وهو لا زال يوليها ظهره: لا أحد يملى علىّ شروطه.

هتفت فى يأس : حسنًا اعتبره طلب واسمعه منى، لا أريدك أن تغضب جدتى، أو تسبب لها الألم، هى لا تريد منك الكثير، سوى أن تتناول الطعام معها.. أن تتركها تتحدث معك، إن ما تريده أشياء بسيطة ؛ ولكنها ستسعدها وتسبب لك الراحة هنا فلن يزعجك أحد بعد ذلك قط..

صمتت لحظة، تنتظر رده ثم عادت تستحثه قائلة: ما رأيك؟

قال ببروده المعهود: أوافق.

تهللت أساريرها وهى تهتف فى فرح: شكرًا لك يا كرة الثلج.

انصرف دون أن يرد عليها بكلمة وهو يتمتم بينه وبين نفسه: مجنونة.

❖ ❖ ❖

وصل غرفته ليجد الكهرباء قد عادت إليها، عليه أن ينهى ما أتى من أجله، هذا هو السبيل الوحيد لخروجه مما هو فيه... هو لا يستطيع أن يتحمل أن يمضى الكثير من الوقت فى هذا المكان.. كل شىء هنا خانق.. وجوده هنا فى حد ذاته يجعله يختنق، تلك الفتاة بالخارج تثير حنقه وتلك العجوز تحرك فيه أشياء، لم يكن يظن لحظة أنه لازال يمتلكها.

علا رنين هاتفه نظر إلى الشاشة التى أخبرته باسم المتصل، تجاهل الرنين واكتفى بإرسال رسالة يؤكد فيها على حضوره فى الموعد

لم يكد ينهى رسالته حتى ارتفع صوت الطرقات على الباب

ثانية.. زمجر وهو يتطلع إلى الباب محدثًا نفسه: لافائدة، لم تستطع الالتزام بوعدها لمدة خمس دقائق.

عاد الطرق يرتفع على الباب.. مما جعله يفتح الباب فى حدة سحقتها تلك الابتسامة البريئة التى ارتسمت على شفتى الصغير، اللتين خرجت من بينهما تلك الكلمات السريعة: لقد وافقت على أن نكون أصدقاء.. لذا جئت أدعوك لتتناول الغداء معنا يا كرة الثلج.

تطلع لحظة إلى الصغير فى دهشة ولكن الصغير جذبه من يده هاتفًا: هيا بنا فأنا أتضور جوعا.

لم يدر كيف انصاع لرغبة الصغير ، وسار خلفه حتى أوقفه إلى المائدة وهو يجلسه فى ذلك الكرسى الذى جلس فيه بالأمس هامسًا: هذا كرسى أبى و(سارة) لا تسمح لأحد بالجلوس فيه ولكن لأنك صديقى هى لن تعترض.. هيا اجلس قبل أن تأتى.

ابتسمت (الجدة) فى سعادة ولكنها لم تتفوه بكلمة .. فقط عيناها تشعان بالفرحة مما جعله يتساءل عن سر فرحتها الشديدة لانضمامه إليهم على المائدة.

جلس بينهم صامتًا تتصارع داخله مشاعر شتى، أقبلت هى تحمل بعض الأطباق.. ابتسمت عندما رأته جالسًا إلى مائدة الطعام، وجدتها تكاد تطير من الفرح وقد أخذت تضع الطعام أمامه بوفرة.

جلس الجميع إلى المائدة وراحوا يتحدثون جميعًا و(مصطفى) يمازح جدته.. علت ضحكاتهم بينما ظلت ملامحه جامدة، كتمثال ثلجى، وهو يراقب الجميع فى صمت..رأى الجدة وحنانها

واهتمامها بالجميع وبه هو خاصة، و(سارة) التى أخذت تطعم إخوتها بيدها وتمازحهم.. كان يشعر أنه فى عالم غريب وتصارعت داخله الأسئلة.. لم يفعلون هذا؟.. هل هم حقًا سعداء؟.. أم أنهم يمثلون أمامه السعادة؟.. هل حقًا السعادة هى أن تعيش بين أفراد عائلة؟.. أم الأفضل للمرء أن يعيش وحيدًا بلا قيود.. وماهى السعادة؟هل هى تلك الابتسامة التى يزينون بها شفاههم أم هو شعور داخلى يطغى على حواسهم؟.. هل هى حالة من النشوة؟.. أم أن السعادة شىء غير موجود على كوكبنا يسعى الجميع خلفه دون أن يدركه أحد؟؟.. يفنى الجميع أعمارهم وهم يتوقون إلى هذا المجهول.

البعض يسعى إليه بكل ما أوتى من قوة، والبعض يتوهم أنه قد حصل عليه، والبعض يعتقد أنه الوحيد الذى يستحق الحصول عليه، وفى النهاية هل السعادة شىء موجود فى هذا العالم ويستحق عناء البحث عنه؟!

أنهى حواره الداخلى بقرار..هو لن يكون جزءًا من هذه العائلة ولن يصبح فردًا منها بأى حال من الأحوال ، سينهى مهمته ويرحل.

ترك المائدة دون أن يتفوه بحرف واحد.

تطلع (مصطفى) إليه فى دهشة ولكن الجدة قالت فى سرعة لتقطع الطريق على أى كلام يؤدى للسخط عليه: اتركوه على راحته حتى يعتاد على وجوده بيننا.

وافقتها (سارة) بإيماءة من رأسها جعلت (مصطفى) يهز كتفيه

بلامبالاة ولكن (إسلام) قال: سأتناول الحلوى مع صديقى.

أوقفته (سارة) فى صرامة : ليس معنى أنكما صرتما أصدقاء، أن تزعج صديقك.. اتركه على راحته فالصديق الحق هو الذى يحترم رغبة صديقه.

هز (إسلام) رأسه فى طاعة

ابتسمت وهى تطبع على جبينه قبلة صغيرة قائلة فى حب: أنت رائع حبيبى.

تطلعت إلى جدتها التى بدا الارتياح على ملامحها قبل أن تقول : جدتى إذا تأخرت على موعد الغداء غدًا فلا تنتظرونى.. فلدى محاضرة هامة للغاية وسألتقى بدكتور قادم من الخارج سأعرض عليه بحثى الذى رفضه الدكتور عندنا وقال إنه محض خيال.

ابتسمت الجدة فى حنان: لديك نفس إصرار أبيك.

❖ ❖ ❖

(أنا مازلت مصرة على موقفى) هتفت (سيلين) بهذه العبارة فى حزم.

احتضنتها (تارا) فى حنان : حبيبتى لقد مر على الحادث عدة سنوات، عليك أن تتجاوزى ماحدث .

تقوقعت (سيلين) على نفسها هاتفةً فى ألم: أى حياة تلك التى تريدين منى أن أعيشها؟... أى حياة وهو ليس فيها؟... لقد خسرت كل شىء....

ضمتها (تارا) بقوة أكثر ثم أرسلتها وهى تقول فى لهجة حاولت

أن تجعلها تبدو مرحة: ما رأيك أن تأتى معى إلى الكلية اليوم فلدينا محاضرة فريدة من نوعها ستعجبك؟!

(ستصحبنى إلى المحاضرة لقد وعدت أن تدعنى أحضر أول محاضرة لك).

مرقت تلك الجملة فى رأسها كسهم نارى أشعل رغبتها فى اطفائه بماء عينيها فانهمرت دموعها غزيرة كمطرٍ منهمر فقالت (تارا) فى يأس: كفى عن العيش مع الذكريات ماحدثٌ قد حدث وانتهى الأمر.

تمتمت بصوتٍ يقطر مرارة: كيف يمكنك أن تغلقى خزائن ذكريات مشرعة فى وجهك على الدوام؟!

هتفت تارا فى ضيق: بأن تعطيها ظهرك.

نظرت إليها بعينين خاويتين وهى تقول بنفس المرارة: ومن قال إننى أريد؟!

قررت (تارا) أن تنهى هذا الحوار فدفعتها إلى الباب : ستأتين معى لا ينبغى أن تفوتنا تلك المحاضرة.

❖ ❖ ❖

النبضة الثانية

جلست (سارة) فى ذلك المدرج الكبير، تلفتت حولها تتأمل ذلك العدد الكبير الذى اكتظ به المدرج لحضور محاضرة ذلك المبرمج الأمريكى الذى وصفه الدكتور (سلمان) فى محاضرته السابقة بالعبقرى؛ مما جعل العديد من الطلاب من أقسام أخرى ودفعات مختلفة يتهافتون لحضور تلك المحاضرة.

قطع تأملاتها صوت زميلتها الجالسة بجوارها وهى تقول فى فضول: تُرى هل سيكون المحاضر شابًا أم عجوزًا؟

علقت على كلام زميلتها ضاحكة : أهذا كل ما يشغلك؟!

تابعت زميلتها فى مرح : أفضله شابًا حتى أتلقى علمًا حديثًا طازجًا وحتى.. بتر عبارتها دخول الدكتور معلنًا عن وصول الدكتور الأمريكى الذى قام بالعديد من الأبحاث الرائدة فى مجال الكمبيوتر.. أشار إلى الباب الجانبى لمنصة المدرج الذى انزاح كاشفًا عن ذلك الشاب الذى يرتدى كنزة زرقاء تناسب لون عينيه اللتين بدتا كحجرين كريمين وسط بشرة برونزية منحوتة التقاسيم بروعة وجمال.

شهقت زميلتها وهى تتطلع إلى الشاب، الذى خطا إلى منصة المدرج فى ثقة بالغة، وتعلقت به كل العيون.

هتفت زميلتها فى انبهار: هل هذا هو الدكتور؟! إنه وسيم للغاية.

أغلقت (سارة) دفترها الذى كانت تدون به شيئًا ثم تطلعت بدورها إلى ذلك الشاب، واتسعت عيناها فى ذهول وهى تهتف: كرة الثلج.

قالت زميلتها وهى لازالت تحدق به، بنفس الانبهار: لا إنه ليس أبيض مثل الثلج إنه يحمل بشرة برونزية رائعة..

أطلت من عينى (سارة) نظرة مستنكرة وهى تنقل بصرها من زميلتها إلى(يوسف)الذى بدأ الكلام وهو يتحرك بخفة ورشاقة على المنصة قائلًا: العلم هو الحقيقة المطلقة... إذا أردت أن تكون عالمًا عليك أن تحرر عقلك.. عليك أن تبذل الجهد.. والمزيد من الجهد ، يجب أن يكون البحث العلمى هو عشقك الخاص.. هو المتعة الحقيقية بالنسبة لك، وقتها ستتفتح أمامك بوابات العلم الخفية لتدخل بقدميك عالم النور.

تطلع إليه الشباب فى انبهار وقد بدا حديثه شيقا.. الكل ترك ما كان مشغولًا به وأولوه اهتمامهم ، تطلعت (سارة) إليه فى ذهول وهى ترى ابن عمها فى هذه المكانة العلمية العالية ، عادت تتابع المدرج حولها الذى عمه السكون وخيم عليه الصمت، فى ظاهرة فريدة لا تحدث حتى فى أهم المحاضرات ، بدأ (يوسف) يتكلم فى مجاله ويشرح قيمة البرمجة وأهميتها، وكيف أن المبرمج العبقرى يمكنه الآن اختراق العالم كله، وأن علينا أن نفكر بشكل علمى، راح يشرح عدة برامج معقدة بطريقة سهلة وسلسة للغاية؛ جعلت

الجميع يتطلع إليه فى انبهار ، كان يتكلم وعيناه تتابعان المدرج بأكمله..فجأة توقفت عيناه عندها واصطدمت عيناه بعينيها، أدركت أنه رآها ولكنه لم يظهر أى دهشة إلا من اتساع حدقتيه للحظة ثم عاد يتحرك وسط الطلاب وهو يقول: حرر عقلك من كل القيود تصبح عالما... حرر عقلك وأطلق لخيالك العنان تصبح مبرمجًا مذهلا.. لا حدود لقدرة العقل البشرى.. أطلق هذا (المارد) قالها وهو يشير بيده إلى عقله ، ثم تابع بابتسامة صغيرة : لا تقبل بشىء قبل أن تمرره على عقلك، وتختبره جيدا.. لا تقبل بأن يسير لك أحد حياتك... أنت أعظم شىء فى هذا الكون، لذا احترم عقلك وانزع عنك الخرافات القديمة، والأوهام التى عشتم فيها سنين.. دع عنك المقولات الهدامة من أنك لن تستطيع، وأنه ليس لديك القدرة، ثم ضغط حروف كلماته وهو يقول: وتلك الجمل الفاشلة مثل، ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.. تطلعت (سارة) إليه فى حدة وقد أدركت أنه يرميها بهذه الجملة وهو يتابع مختتمًا كلامه: تذكر جيدًا حياتك هى من صنعك وحدك.. حياتك هى اختياراتك أنت.. لا أحد فى هذا الكون بأسره يستحق أن تسلمه زمام حياتك وتتركه يقودك...أنت السيد الوحيد على حياتك.. واذكر هنا مقولة لـ (اندريه جيد) (من السهل أن تعرف كيف تتحرر ولكن من الصعب أن تكون حرا) وشكرًا لكم على استماعكم الجيد.

علا تصفيق الطلاب بحرارة ، تطلعت فى ذهول إلى ما يحدث حولها و إلى الطلاب الذين هرعوا نحوه والتفوا حوله ليسألوه فى اهتمام عن أشياء علمية، تخص مجال دراستهم بينما أقبلت بعض

الفتيات على طرح أسئلة شخصية، أجاب عنها بلباقة قبل أن يستأذن فى الانصراف ويرافقه الدكتور (سلمان) فى احترام إلى مكتبه، فى حين تابعته زميلتها بعينيها، وهى تقول فى هيام: كم هو وسيم ورائع.. لوكان كل المحاضرين بهذا الشكل لأصبحت المحاضرات أكثر شىء ممتع فى العالم.

علقت زميلة أخرى بنفس اللهجة الحالمة: نعم كم هو وسيم ومثقف وذو حضورٍ طاغٍ وشخصية آسرة.. يؤسفنى أنه لم يسمح لأحدٍ بالتقاط الصور له .

تطلعت (سارة) إليهم فى استنكار ثم تركتهم وانصرفت وهى تتمتم بينها وبين نفسها: كرة الثلج ذو حضورٍ طاغٍ !!.. ماهذا الهراء؟!!!!

دلفت إلى المنزل وهى شاردة تمامًا، كانت تتحرك كمن لم يفق من صدمة ، استقبلتها جدتها فى شوق كأنما غابت عنها لسنوات كعادتها كلما غادرتها (سارة) ولو لفترة قصيرة.. تأملت الجدة حفيدتها الشاردة كأنما تهيم بعقلها فى عالم آخر قبل أن تقول فى حنان: مابك حبيبتى؟ هل هناك شىء؟

أجابتها فى لهجة أقرب إلى الشرود: كرة الثلج.

هتفت الجدة فى قلق: ماذا حدث له؟ لقد خرج منذ الصباح ولم يعد ولم يخبرنى عن وجهته.

أفاقت من شرودها ، أدركت أن جدتها ستسعد إن علمت بأمره فراحت تقص عليها كل شىء، بدءًا من محاضرته الرائعة،وانبهار

البنات به، وغرقت جدتها فى الضحك و(سارة) تصف الفتيات وهن يتهافتن عليه، مضيفة أنها كانت تود أن تخبرهم أن كرة الثلج هذا مستعد أن يلتهم من يقترب من غرفته، بل قد يتسبب له بشلل رعاش.

دخل إلى البيت فى تلك اللحظة، ، استرعى انتباهه حوارها مع جدتها الذى كان هو محوره، شعر بدهشة كبيرة لتلك الفرحة التى بدت واضحة، فى صوت السيدة العجوز والأمانى الطيبة التى تمنتها له وراح يسأل نفسه: تُرى ما المقابل الذى قد تطلبه السيدة (كريمة) مقابل تلك الأمنيات؟

ما إن خطا بقدميه داخل الردهة الفسيحة وأصبح فى مجال رؤية السيدة (كريمة) حتى شعر أنه وقع فى الفخ فقد نهضت السيدة مسرعة واستقبلته بحضن دافئ كادت تذيب معه أحد تلك الجدران الجليدية التى يحفظ قلبه بداخلها فأسرع يبتعد عنها وهو يقول فى دهشة: ما المبرر لهذا العناق؟؟

أجابت فى سرعة لترفع عن جدتها الحرج: أنت لاتعرف سوى لغة العقل يا كرة الثلج، ولكن هناك لغة أخرى تتعامل بها جدتى، وهى لغة القلوب والمشاعر.. ولكن بما إنك عديم المشاعر فمن الطبيعى أن يكون من الصعب عليك أن تفهم لغتها.

قال فى برود: أنا لا أحب أن أكرر كلامى ولكن فئة محدودى الذكاء تجعلك تكرر كلامك أكثر من مرة.. تذكرى التافهون فقط هم من يتدخلون فى حوار ليسوا طرفًا فيه.. قالها وهو يمضى فى طريقه نحو غرفته.

تطلعت اليه (سارة) فى حنق وهى تتمتم: وغد.

تابعته الجدة بنظرها فى حزن فربتت على كتفها، وهى تقول مشجعة: لا تحزنى حبيبتى.. نحن نحرز تقدما.. ألم نجبره على الجلوس إلى مائدة الطعام معك؟

تنهدت الجدة فى حزن : لقد اتصل بى عمك أمس، وخشيت على صحته فأخبرته بأخبار كاذبة من أنه سعيد بيننا، وأنه خلال وقت قصير سأقنعه بأن يتصل به.

تمتمت (سارة) فى ضيق: ياله من ابن جاحد.

قالت الجدة فى شرود: إنه مسكين.

صاحت (سارة) فى استنكار: كرة الثلج هذا مسكين !!! من أى جانب ترينه مسكينًا ؟ إنه وغد عاق وجاحد ، سيبقى فى نظرى كرة الثلج التى تستحق الحرق.

تطلعت الجده فى إثرها وقد ألقى الخوف بظلاله القاتمة عليها، وتنامت شجرة القلق فى صدرها فرقًا على أحفادها، وعادت كلمات ابنها الذى يحتضر وحيدًا تدوى فى أذنيها وهو يحدثها عن الخطر المحدق بولده،والموت الذى يطارده، فيتمزق قلبها على حفيدها الذى لم تهنأ بقربه، والذى لم تطأ صلتها به شفتيه حتى الآن ، وتخشى فى الوقت نفسه أن تتسع دائرة الخطر فتبتلع أحفادها كلهم، رفعت رأسها إلى السماء تبتهل إلى الله أن يحفظ أحفادها رأفة بفؤادها المكلوم.

❖ ❖ ❖

فتح عينيه ليزيح عنهما صورة ذلك الصغير الذى لاتوجد له صورة فوتوغرافية واحدة، وحدها ذاكرته تضم صورة ذلك الصغير الخائف الحزين على الدوام، ثمة رابط ما بينه وبين (إسلام) ذلك الطفل الذى يجد نفسه عاجزًا عن مقاومته.. بل يشعر بالضعف أمام براءته ونظراته المتوسلة فلا يستطيع أن يحرك أمامه ساكنًا ويعلن الاستسلام التام لرغباته، عاجزًا عن رفض أى طلب يطلبه ، حتى وإن رفضه يظل يشعر طوال اليوم بالضيق. وكالعادة حضر (إسلام) ليدعوه إلى مائدة الطعام، أو بالأحرى دفعه دفعًا نحو المائدة.. انصاع لرغبة الصغير، فجلس دون أن ينظر إلى أحد، فى حين اصطف الجميع حول المائدة، جلس (أحمد) بجوار (مصطفى) وجلست هى بجوار (إسلام)، الذى تناول الطعام بيسراه ورفعه إلى فمه ، همست فى عتاب: ألم أخبرك أن تأكل بيمناك وألا تستعمل يسراك أبدا؟..

ترك (إسلام) الطعام ورفع يمناه، لم يتحمل لومها لذلك الصغير.

فقال ببرود: وما الفارق؟ فى كل الأحوال سيصل الطعام إلى فمه.

أجابته فى استياء: ولكن الأفضل أن يستعمل يمناه إنها سنة عن النبى ﷺ.

قال فى برود أشد: أتعجب كيف أنك طالبة فى كلية علمية ثم لا زلت تؤمنين بتلك المعتقدات البالية.

حدقت فى وجهه لحظة بذهول قبل أن تهتف فى غضب: سنة نبينا ليست معتقدات بالية.. كيف تجرؤ على مثل هذا القول الأخرق ألست مسلما؟

أجاب بصوتٍ أشبه بهبوب عاصفة ثلجية: أنا لست مسلمًا ولا أؤمن بالأديان أصلًا.. لأننى لا أؤمن بوجود ماتسمونه إلها.

حدقت فيه لحظات بذهول ، صاحت فى استنكار: ماذا؟.. ماذا تقول؟.. أنت ملحد؟

تساقطت قطع الثلج هذه المرة وهو يجيب ببرود: (فولتير) كان يقول (الإلحاد هو صوت القلة المفكرة من البشر).

هتفت فى غضب: تقصد صوت الحمقى من البشر.

قال (أحمد) فى حدة: (فولتير) يتحدث عن مجموعة من البشر، يظنون أنفسهم فوق البشر، وهم فقط من يتمتعون بالذكاء بينما بقية البشر حمقى.. أعتقد أنه كان يتحدث عن مجموعة تعانى من جنون العظمة .

علق (مصطفى) فى دهشة: ولكن اسمك (يوسف).

أجابه (يوسف) فى صرامه باردة: الاسم شيء يلتصق بك دون اختيار منك، ولهذا لك الحق فى قبوله أو رفضه متى شئت واسمى (جوزيف).

صاحت فى حدة: اسمع أيها المخبول، أنت لن تبقى فى بيتنا دقيقة واحدة بعد الآن أفهمت؟

ألقى عليها نظرة سريعة وهى تنتفض من الغضب قبل أن يقول فى تهكم بارد: أرأيتِ كم أنتم فى قمة التخلف والرجعية.. الإقصاء والإبعاد هو مصير كل من يخالفكم فى الرأى.

قالت فى إصرار : لن تستفزنى بهذه الترهات يا كرة الثلج.. ثم التفتت إلى جدتها متابعة : جدتى.. أنتِ لن تسمحى له بالبقاء معنا.. أليس كذلك؟

أطرقت (الجدة) برأسها أرضًا فحدقت فى وجهها؛ باستنكار وهى تهتف: هل كنتِ تعلمين؟... وتركتِ هذا الوغد يأتى إلى بيتنا و يجلس معنا.. كيف فعلتِ بنا هذا؟ كيف؟

قالت الجدة فى حزن: إنه بيته هو أيضًا ولا يمكننى حرمانه منه .. والنبى ﷺ لم يحرم أحدًا من حقه لمجرد أنه على غير دينه.. والله يأمر بالعدل والإحسان.

صاحت فى غضب: حسنًا جدتى.. ولكنى و إخوتى لن نجلس معه إلى مائدة واحدة.

قال فى برود وهو يشير نحو غرفته : يمكنك إصلاح كهرباء غرفتى، فهى لا تعمل بشكل جيد ريثما انتهى من تناول طعامى.

كادت تنفجر فى وجهه ولكنها اكتفت بأن ألقت عليه نظرة ساخطة، وهى تغادر المكان كالعاصفة.

❖ ❖ ❖

أغلقت باب حجرتها فى قوة كانت تغلى من الغضب.. أخذت تدور فى غرفتها كقطة حبيسة.. راحت تذرع الغرفة جيئةً وذهابًا وهى مطرقة برأسها.. كيف تتقبل وجود شخص كهذا فى بيتها..شعور آخر يسيطر عليها.. هو الخوف، لقد رأته فى الكلية

بدا مهيبًا مسيطرًا مبهرًا ؛ مما أثار رعبها في أن ينقل أفكاره إلى إخوتها ، بلغ بها القلق مبلغه وعصف بنفسها وكاد يذهب بالبقية الباقية من عقلها ؛ فالتقطت هاتفها المحمول لتطلب صديقتها الوحيدة، انتظرت لحظات على الهاتف مرت عليها كدهر كامل حتى أتاها صوت (رنا) المرح : هل افتقدتنى؟

غمغمت فى توتر: انتظرينى سأتى إليكِ بعد عشر دقائق.

انتهت من روايتها فقالت (رنا) فى ذهول.: ابن عمك ملحد؟!

أجابتها فى حزن: لست أدرى ماذا علىّ أن أفعل؟!.. جدتى تبدو متمسكة ببقائه.. وأنا لا أستطيع تخيل فكرة وجوده فى البيت، أخوتى فى مراحل سنية صغيرة.. (مصطفى) فى سن المراهقة ومن السهل التأثير عليه ولقد رأيت كرة الثلج فى الكلية بدا شخصًا مختلفًا .. استطاع أن يسيطر على الجميع.. كان له حضور طاغ، أثر فى جميع الطلاب.. أبهرهم بعلمه وأذهلهم بشخصيته وثقافته... فماذا سيفعل (مصطفى) و (إسلام) أمامه؟؟.. أخشى أن يؤثر عليهم.

قالت (رنا) فى جدية : إننا بحاجه إلى متخصص.. اسمعى لدينا جار لنا أستاذ دكتور فى جامعة الأزهر وهو شخصية محترمة جدًا، وأعتقد أنه أكثر من يفيدنا فى أمرٍ كهذا.

❖ ❖ ❖

استقبل الدكتور (محمود) الفتاتين فى ترحاب وبشاشة.. استمع إلى (سارة) دون أن يقاطعها بكلمة، حتى انتهت من روايتها.

ثم قال فى وقار: الإلحاد فى كثير من الأحيان يكون سببه نفسى

فهو يحدث نتيجة اليأس والقهر والشعور بالظلم، خصوصًا إذا كان الملحد قد توجه إلى الله بالدعاء، ولكنه لم ير تلبية لدعائه وهذا لأنه لا يفهم الفرق بين الاستجابة والتلبية، فالله يستجيب بحكمته لما فيه صالح عبده وقد يؤخر الله تلبية الدعاء من أجل العبد نفسه.. ليصرف عنه شرًا أو يعطيه ماهو أفضل..ولنا فى قصة موسى والخضر مايعيننا على فهم أن الله يعمل دائمًا ما فيه صالح العبد.. والعبد الذى يفهم ذلك يعيش طوال حياته راضيًا سعيدًا يبحث عن آثار رحمة الله به فى مواطن الشدة، أما من يغضب ؛لأن رغبته لم تتحقق و يبتعد عن ربه، كمثل طفلٍ يهرب من أبيه إلى أيدى خاطفيه لمجرد أن أباه أخّر عنه شيئًا لمصلحته ، وقد يحدث الإلحاد نتيجة الرغبة فى التحرر من القيود التى يعانى منها الملحد فى المجتمع، فيظن أن منبعها هو الدين فيرفضه سعيًا وراء الحرية، وهو فى الحقيقة لايدرك أن العبودية الخالصة لله هى قمة الحرية ، فأنت حرٌ تمامًا عندما تكون عبدًا حقيقيًا لرب يحترم حقوقك الفردية، ولا يسامح من ظلمك إلا بعد مسامحتك، رب يحميك ويرعاك ويحفظك ولا يستطيع أحد أن يفعل معك شىء لم يقدره هو.. أنت غير مضطر إلى مصانعة أحد أو مداهنة مسؤول لتحصل على منفعة أو تتجنب ضرر فربك هو النافع وهو الضار.. أنت فى معية ربك صادق غير مضطر للخوف من أحد أو الكذب من أجل استرضائه لأن ربك هو من بيده كل شىء والكذب يغضبه.. أنت مع ربك ، لا تلتفت للخلق بل تسعى لرضا الخالق فقط، الذى لا يريد لك إلا أن تحيا حياة حرة كريمة عزيزة يحفظ لك فيها مقوماتها فيحرم قتل النفس ليحفظ لك روحك

ويحرم شرب الخمر ليحفظ لك عقلك ويحرم السرقة؛ ليحفظ لك مالك ويحرم الزنا؛ ليحفظ لك عرضك، ويحرم الكفر؛ ليحفظ لك حريتك وكرامتك. والملحد عادة يعانى من مشكلات نفسية كثيرة، ولكِ أن تتخيلى إحساسه وهو يعيش فى هذه الدنيا بمفرده وقد فقد شعور الأمان وعاش مسئولًا عن نفسه يشعر بالقلق الدائم والخوف من المستقبل.. يخشى الفقر والمرض فالدنيا غاية ما يدركه.. يصارع الأقدار فيها وحيدا.. يعيش بلا سند ولا كنف.. يشعر دائمًا بالوحدة.. يخشى من كل شىء فهو لا يجد من يدافع عنه أو يحميه.. تخيلى كيف يعانى هذا المسكين؟..

تمتمت فى حيرة: يعاني الكثير.. ولكن ماذا أفعل الآن؟

أجابها فى هدوء : هناك مسلكان فى أمر كهذا.. إما أن تخرجيه من حياتكم.. أو تعاونيه.

صاحت فى استنكار: أعاونه ؟!!.

قال فى إشفاق : نحن دائما نختار الأيسر لنا وهو الابتعاد.. وننسى حديث النبى ﷺ (لأن يهدى بك الله رجلا واحدًا خير لك من حمر النعم).. كما أن فى هدايته، صلة رحم وإكرام لعمك وجدتك وله هو شخصيا.. وهذا عائد إليكِ يا ابنتى.. إن كنتِ ترين فى نفسك القدرة على الأخذ بيده ومساعدته دون أن يتأذى أحد من إخوتك فافعلى.

تكلمت كتائهة فى طريقٍ مظلم : أنا لا أعرف شيئًا .. لقد اكتشفت أنى لا أعرف عن دينيٍ سوى الأركان الخمسة التى كنا

نحفظها ونحن صغار.. أنا لم أرتدِ الحجاب إلا مؤخرًا عندما علمت بالمصادفة أنه فريضة.. لا يمكننى أن أواجه رجلًا له كل تلك المعرفة والثقافة.. لا يمكننى أن أدافع عن دينى بينما أنا لا أعرف عنه شيئا.. أعلم أنى مخطئة ولكنى جاهلة تمامًا سيدى

قال فى هدوء: ربما حان الوقت لتعرفى عن دينك أكثر.

ثم نهض وتناول كتابًا من مكتبته وناوله لـها قائلا: هذا سيفيدك فى حال قررت المساعدة.

أمسكت الكتاب وتأملته قبل أن ترفع رأسها : شكرًا لك سيدى لقد أخذت من وقتك الكثير.

قال فى بشاشة: كلا يا ابنتى.. أنتِ مرحب بك فى أى وقت.. وإذا احتجتِ أى شىء يمكنك الاتصال بى.

نهضت كلتاهما وقد تناثرت على شفاههما عبارات الشكر والتقدير.

سارت بخطى متثاقله كأنما تحمل هم الدنيا على كتفيها .. تفتقد أبويها يحملان عنها هذا العبء الذى أُلقى على كاهلها دون رغبة منها ، تحن إليهم ، تشتاق إلى حمايتهم وحنانهم ، تتذكر كم كانت طفلة بين يديهم لا تحمل للدنيا همًا .. أيامها بدونهم كالثلج تتراكم بداخلها ثم تذوب ، تتخبط فى ذكرياتها .. كم هى مؤلمة الذكريات دائمًا .. إن كانت جميلة نشعر بالحسرة على زوالها وإن كانت مؤلمة نشعر بالألم عند استرجاعها.

❖ ❖ ❖

النبضة الثالثة

سالت الدموع من عينى الجدة، وهى تتأمل ذلك الصندوق الأسود الصغير الذى يحوى داخله كل حياتها السابقة، مدت يدًا مرتجفة تفتحه بها ، خنقتها العبرات وهى تخرج تلك الصور القديمة من داخل الصندوق؛ لتتأمل ولديها الوسيمين.. علت شفتيها ابتسامة حزينة وهى تتذكر كيف كانت أسرتها أسرة سعيدة، قبل أن يتسلل الحب إلى قلوب أبنائها ليفرق بينهم، ورغمًا عنها قفزت ذكرى ذلك اليوم الذى أتى إليها فيه ابنها الأصغر ليخبرها بحبه لابنة عمته اليتيمة، التى تقيم معهم فى المنزل تحت رعاية خالها، لازالت تذكر ذلك اليوم بكل تفاصيله، كأنما هو الأمس القريب، يوم أتاها ولدها الأصغر (سليم) وعيناه تبرقان بالسعادة وقد أخذ يمازحها كعادته، و إن ظهر الخجل واضحًا على محياه، وهو يخبرها فى تردد عن حبه لابنة عمته.. نزلت كلماته المتلعثمة على رأسها كالصاعقة ؛ لم تستطع أن تحر جوابًا..وماذا عساها أن تخبره؟.. هل تخبره بأن الفتاة التى جعلت قلبه يخفق من أجلها تعشق أخيه الأكبر فى صمت حيي؟؟.. هل تقتل فرحته وهو صغيرها المدلل؟ أم تدمر قلب ولدها الأكبر والذى تعتبره رجل البيت بعد أبيه؟ وتدفن معه عشق اليتيمة التى تعتبرها بمثابة ابنة لها؟.. أخرستها المفاجأة وألجمتها فرحة ولدها، الذى اعتبر صمتها الذاهل مباركة

لحبه وموافقة صريحة على رغبته، ودعمًا صارخًا لطلبه بالزواج من ابنة عمته، أسقط فى يدها ولم تسعفها الكلمات سوى من بضع عبارات تائهة، حاولت أن تجمع شتاتها؛ لتكون فكرة كسيحة وهى تطلب منه أن ينتظر حتى ينهى دراسته ؛ولكنه كان كعصفور خرج من القفص ليحلق فى سماء الحب فطار إلى والده ليحصل على موافقته قبل أن يرديه والده صريعًا، وهو يخبره بأن محبوبته أمانة لديه وأنه سيزوجها لأخيه؛ لأنه رجل بحق ولن يزوجها من فاشل، وسقط عصفورها الصغير جريحًا وهو يهوى من حالق وذهب إلى أخيه طالبًا منه أن يدعمه ولكن موقف أخيه خذله، وهو يخبره أنه لن يخالف أمر والده، وثارت ثائرة صغيرها، وانتفض كطيرٍ ذبيح ليغادر المنزل والبلد بأسرها بعد ذلك ، وانقطعت أخبارهٍ، حتى عثر عليه أخوه وقد تزوج بأمريكية وأنجب منها ولدا ، وبدأ ينجح فى حياته العملية هناك بعض الشئ.. حاول لقاءه ، لكنه رفض مقابلته وعاد ابنها الأكبر كسير الفؤاد ' ولكن كان عزاؤهم جميعًا أنه بخير وأصرت هى على زواج ابنها الأكبر بحب حياته حتى تسعد أحد ولديها على الأقل. وتم الزواج وإن ظل ماحدث يلقى بظلاله الحزينة على حياة ابنها الأكبر، الذى لم يسامح نفسه قط واعتبر أنه تصرف بأنانية تجاه أخيه وقد صبرت زوجته العاشقة له كثيرًا، على جفافه الظاهرى حتى استطاعت أن تخرجه مما هو فيه، وقد كانت وصية أبيه الأخيرة بها وهو على فراش الموت، خير عون لها ولكن المسكينة لم تهنأ كثيرًا حتى تلقى هو خبر ماأصاب أخيه.. فطار إليه ليجده وقد تعرض لخيانة

زوجته، التى سرقت أمواله وهربت مع أحد عشاقها، بل وكادت تودعه السجن وعرض على أخيه المساعدة ؛ ولكنه رفض فحاول أن يساعده دون أن يدرى فاتفق مع أحد أصدقائه أن يعرض على أخيه أن يكون شريكًا له فى شركة صغيرة نظير خبرته، ومجهوده ودفع المال لصديقه واشترط عليه ألا يخبر أخاه الأصغر قط.. تأملت ابنها الأكبر كم كان رجلًا بحق، كانت تحزن لأجله ؛ لأنه لم يسعد بحياته حزنًا على ما أصاب أخيه حتى مات ولحقت به زوجته سريعًا، وأخذت مولودها الرابع معها كأنما أرادت أن تلحق به بقطعة منه تجمعها به، علها تنعم فى الحياة الآخرة بما لم تحظ به معه إلا فى لحظات قليلة تنعمت فيها بحبه الخالص دون شائبة كدر.. نقلت بصرها إلى صغيرها الوسيم الذى فقد وسامته ولمعة عينيه بعد إصابته بسرطان الكبد.. سالت الدموع من عينيها وهى تتذكر آخر لقاء بينها وبينه عندما أتى لزيارتها بعد فراق دام أكثر من ثلاثين عامًا ليخبرها بمرضه الذى دخل مراحله الأخيرة، وأنه مسافر للعلاج وطلبت منه أن يسامح أباه وأخاه .. لكنه رفض وقال إن الشىء الوحيد الذى سيجعله يسامحهم هو أن يساعدوا ابنه ليعود عن هذا الطريق، وأنهم السبب لأنهما حرماه من حب حياته وكانا السبب فى أن يترك بلده ويعيش غريبًا بقية عمره ويموت غريبًا فى بلد عاش فيه أسوأ أيام حياته.. انهمرت الدموع من عينيها وهى تدعو الله أن يشفى لها ولدها وأن يعينها على ما هى فيه.

❖ ❖ ❖

عادت(سارة) إلى البيت تتخبط في حيرتها، وقد ألقى الدكتور بالكرة فى ملعبها وأوكلها لضميرها وترك لها الاختيار وفقا لقدرتها فهل تستطيع؟!

لم تكد تخطو خطوة داخل البيت حتى أوقفها صوت جدتها تنادى باسمها، توقفت لحظات، ثم عادت أدراجها حيث تجلس جدتها، التى تفرست فى ملامحها قبل أن تُجلسها بجوارها برفق، وهى تقول: أين كنتِ حبيبتى؟

قصت عليها كل ما حدث ، لم تقاطعها حتى انتهت من كلامها ثم همست فى حذر: وماذا قررت؟

قالت فى سرعة: ما رأيك أنتِ جدتى؟

أجابتها فى حسم: سيبقى فهذا حقه.. ثم تهدج صوتها وفاضت عيناها وهى تتابع : وهذه رغبةٍ أبيه الأخيرة قبل أن يلقى ربه.. أما مساعدته فلن أجبرك عليها ولن أُجبر أحدًا هنا على ذلك.. فأنا أشعر بقلقك.. وأخشى ما تخشينه.

احتوتها (سارة) فى حنان ، أخذت تربت على ظهرها وهى تهمس : جدتى مالذى تخفينه عنى؟

تمتمت فى ألم: لاشيء حبيبتى فقط أعلم كم عانى (يوسف) وكم عانى أبوه من قبل.

قالت (سارة) فى حزم: أخبرينى إذًا.. طالما فُرض علينا بقاؤه فأخبرينى بالحقيقة ربما أستطيع وقتها المساعدة.

ترددت الجدة لحظة ثم حسمت أمرها وهى تقول: حسنًا

حبيبتى هذا حقك.. سأخبرك بكل ما يتعلق بأبيه أما ما يتعلق به هو فليس لدىّ الكثير.

❖ ❖ ❖

هبط الظلام عليها سريعًا ،فجأة تعطلت سيارتها فى ذلك المكان الموحش ترجل من السيارة آمرًا : ابق هنا ولا تنزلى من السيارة مهما كانت الأسباب.

أطاعته والقلق يعصف بها.. تشعر بشعور سئ.. تطلعت أمامها إلى تلك الغابة الشجرية وانطلقت تعدو فى قوة، وقلبها ينتفض داخل ضلوعها فى رعب.. راحت تهتف باسمه دون أن تتلقى ردًا.

خُيل إليها أن كل الأشجار المحيطة بها، قد تحولت إلى أشباح، وفجأة برز هؤلاء الوحوش وهم يحيطون بها من كل جانب.. راحت تصرخ وتصرخ.. حتى أتى هو.. فجأة ظهر ذلك الشبح البغيض ؛ ليقف حائلًا بينها وبينه، ظلت تصرخ وتناديه بينما وقف هو خلف الشبح دون أن يسمعها، راح الشبح يقترب منها فى بطء، حتى شعرت بلفح أنفاسه تلسع وجهها.. تسمرت قدماها أرضًا قبل أن تنطلق صرختها لتدوى فى سماء الغرفة، وهى تنهض من نومها مفزوعة.

حدقت (سيلين) لحظة فى جدران غرفتها التى أصبحت كشاهد قبر لأحزانها فى حين انسابت دموعها تبلل ثرى قلبها .

❖ ❖ ❖

انتهت الجدة من روايتها وهى تجهش ببكاءٍ حار ، فقالت

(سارة) فى تأثر : سيُشفى عمى بإذن الله..لا تحملى نفسك فوق طاقتك، لم يكن لك ذنب فيما حدث، ربما أخطأ جدى فى معالجة الأمر.. وكذلك أبى.. لكن ما فيه (يوسف) ليس خطأهم إنه خطأ عمى وحده..أعلم كم يؤلمه ابتعاد ابنه عنه بهذا الشكل..

صمتت لحظة ثم أكملت فى تهكم: وإن كنت أظن أن الله قد أراد بعمى خيرًا؛ لابتعاد كرة الثلج هذا عنه.

أشرق وجه الجدة وهى تقول: هل يعنى هذا أننا سنتكاتف لمساعدته؟

فقالت (سارة) فى حزم: سنقوم بما فى استطاعتنا ، لأجل عمى فقد أحببته حقًا فى تلك الزيارة القصيرة وأريد أن أراه سعيدًا، ولكن مساعدتى لابنه مشروطة بأن لا يؤثر بقاؤه على إخوتى وعقيدتهم وأخلاقهم.. إذا كان هذا سيؤثر عليهم فلن أسمح له بالبقاء لحظة واحدة.

ابتسمت الجدة فى ارتياح وهى تهز رأسها دلالة الموافقة .

❖ ❖ ❖

وضعت (سارة) طعام الإفطار على المائدة أمام (إسلام) الذى صاح فى تذمر: أرجوكِ لا أحب تناول الإفطار.

قالت (سارة) فى صبر : يجب أن تفطر حبيبي حتى تصبح قويا.

هتف الصغير : وأستطيع أن أنتصر على قوى الشر مثل (باتمان) و(سوبرمان).

قالت فى مرح : نعم مثل (سوبرمان) و(سبايدر مان) وكل عائلة

(مان).

ضحك (مصطفى) : ألن نغير هذا الحوار الصباحى؟

ردت فى سرعة : أعتمد عليك فى ذلك.. هيا تناول أنت الإفطار بلا نقاش.

علَّق (مصطفى) فى مرح: أنتِ ديكتاتورة كبيرة (سارة).

هتفت فى استنكار : ديكتاتورة! لا تجلس مع (رنا) ثانية ..

ضحكت الجدة التى حضرت إلى المائدة وهى تقول: هل قادته (رنا) إلى تمرد ضدك؟

صاح (مصطفى) فى استنكار: أنا لا أترك قيادتى إلى أحد.. أنا أعبر عن رأيى فقط .

قالت (سارة) فى مرح : حسنًا حبيبى عبر عن رأيك كما تشاء طالما ستنفذ كلامى فى النهاية

ضحك (مصطفى) : واستنكرت وصفى لك بالديكتاتورة؟

قالت وهى تطعم (إسلاما): (مصطفى) عليك أن تنتبه إلى (إسلام) وتعرف من الأولاد الذين ضربوه بالأمس..ثم التفتت إلى (إسلام) موجهة حديثها إليه : وأنت حبيبى لاتترك أحدًا يضربك.

التفت (مصطفى) إلى (إسلام) وهو يقول فى غضب: من ضربك.. ولم لم تخبرنى أمس؟

أجابه الصغير فى براءة: لم أكن سأخبر أحدًا ولكن (سارة) تعرف كل شىء.

صاح (مصطفى) فى استنكار: لم تكن ستخبر أحدًا؟ !! لم؟

أجابه فى سرعة : أردت أن آخذ حقى بنفسى لقد صرت رجلًا ويمكننى حل مشاكلى بنفسى.. ثم التفت إلى (سارة): أليس كذلك؟!!

أطلق (مصطفى) ضحكة عالية ، أوقفته (سارة) بنظرة محذرة وهى تقول: أنت محق حبيبي.. ولكن حتى الرجال يحتاجون أحيانًا إلى المساعدة وليس معنى أنك رجل أن تخفى أمورًا هامة عن أسرتك.

تمتم (إسلام) فى أسف: حسنًا سأخبركم فى المرة القادمة.

ثم اقترب منها وهو يهمس: مامعنى محلد؟ هل هى صفة سيئة لصديقى؟

أجاب (مصطفى) : ملحد يا (إسلام) وليس محلد.

قالت (سارة) فى اهتمام: وما رأيك أنت يا (مصطفى) فى هذا؟

أجابها فى لامبالاة : هذا شيء لا يعنينى.. إنه حر فيما يعتقده.

قالت فى قلق: أقصد ما رأيك فى الاعتقاد نفسه؟

أجابها فى بساطة: أعتقد أنه سذاجة أن أدعى أن كل شيء تم خلقه بلا خالق.

تنهدت (سارة) فى ارتياح وهى تطبع على خد (مصطفى) قبلة سريعة : أنت رائع حبيبى.

هتف (إسلام) فى براءة: وأنا؟

قبلته (سارة) وهى تقول: وأنت أيضا حبيبى.

تابعتهما ببصرها حتى غابا عن عينيها قبل أن تذهب للحديقة لتنهى عملها .

❖ ❖ ❖

وقف (يوسف) فى شرفة غرفته، المطلة على تلك الحديقة الصغيرة.. شرد ببصره يتطلع إلى تلك الأزهار الجميلة، التى نبتت فى حوض صغير، انسابت إلى عقله صورٌ شتى لحديقة صغيرة جميلة، وفتاة باهرة الحسن تتوسطها، وهى تتلقفه بين ذراعيها وتمنحه عناقًا حارًا قبل أن تنطلق تلك الرصاصة وتلقى به أرضًا فى عنف.

انتفض من مكانه على تلك الصيحة التى أطلقتها (سارة).

تطلع إليها وقد وقفت تروى حوض الزهور حين قفز ذلك القط الضخم على كتفها ، أمسكت به وهى تصيح فى وجهه : ألم أخبرك (ميشو) ألا تفعل هذا ثانية؟!

بدا أنها انتبهت إلى وجوده فرمته بنظرة نارية قبل أن تستدير وتترك الحديقة بأكملها.

حمل هاتفه وهو يتجه إلى الخارج فاستوقفته (الجدة) على باب المنزل بسؤال حذر: أيمكنننى أن أعرف إلى أين أنت ذاهب حبيبى؟ ثم استدركت فى سرعة: إن كان هذا لا يزعجك.

أجابها فى برود: سأخرج.

تمتمت (سارة) التى تتجه إلى الأعلى: يالها من إجابة.

تطلعت (الجدة) إلى أثره فى إحباط، وهى تنظر فى قلق إلى الباب الذى أغلقه خلفه، نظرت إليها (سارة) فى إشفاق ثم عادت أدراجها، وقفت بجوارها تربت على كتفها فى حنان، همست (الجدة) فى قلق: أخشى أن يصيبه مكروه.

صاحت فى استنكار: كرة الثلج هذا يصيبه مكروه ؟!! ثم أردفت فى تهكم: لا تقلقى عليه بل اقلقى على المكروه.

تمتمت الجدة فى قلق بالغ: أسأل الله أن يحفظه إنه غريب لا يعرف الأماكن هنا.

قالت (سارة) فى سرعة: اطمئنى إنه قرد سيتمكن من العودة... لقد وصل إلى البيت أول مرة بمفرده وحضر إلى الكلية فى موعده.

حدقت فى الساعة فجأة ثم قفزت من مكانها، وهى تقول: رباه لقد تأخرت.. على الذهاب.

تابعتها (الجدة) بعينيها ثم عادت تزفر فى قلق، وهى تسأل نفسها هل أخطأت حين زجت بهم فى أمر كهذا، تشعر برعبٍ دائم عليهم وتخشى أن تكون قد دفعت بهم إلى دائرة الخطرً، لقدً أصبح الخوف والقلق هما رفيقاها الدائمان منذ أخبرها ابنها عما حدث لابنه، ومنذ وطئت قدما (يوسف) أرض مصر ، تخشى عليه وعلى أحفادها.

رفعت بصرها إلى السماء وهى تهتف من أعماقها : احفظ أحفادى يا رب ولا تجعل مكروهًا يصيبهم بسببى.

❖ ❖ ❖

ظل يمشى بلا هدف لساعاتٍ طويلة يتأمل الناس والشوارع

من حوله حتى وصل إلى شاطئ النيل..ظل جالسًا محدقًا فى صفحة النهر بلا حراك .

تطلع إلى الماء المنساب فى نعومة وابتسم فى مرارة، وهو يتمتم فى خفوت: أتعلم أيها النهر أننا متشابهان، كلانا يظهر الهدوء من الخارج بينما يخفى داخله الكثير من الأسرار.

تُرى كم مــن الملــوك والمحكومين والناجحين والفاشــلين والمهمومــين والضاحكين قد مروا عليك.. تُــرى كم حقبة زمنية أكرمتك وقدرتك؟ وكم حقبة زمنية أهانــك أهلها ولوثتك؟... تُرى أين ذهب كل من مروا عليك؟ وماذا كانت نهايتهم؟..تُرى هل أنت ســعيد بأنك تجرى حاملًا شــريان الحياة للناس؟ أم أنك تراهم لا يستحقون؟... ماهى علاقتك بالأرض التى تجرى عليها؟ أهى أرض خادعــة تمتص منك الكثيــر دون أن تخبرك أيــن تذهب به؟.. أم هى أرض طيبة تكرم وفادتك عليها وتشــكر تشريفك لها بمرورك فوقها؟.. أم هى أرض جاحدة شأنها شأن كل بنى جنسها؟

أتساءل كم من الناس قبلى مر عليك وألقى إليك بهمومه وتركك ومضى؟ ولكن اطمئن فأنا لا ألقى بهمومى لأحد.. لأن لا أحد يستطيع حمل همومى فأنا الوحيد القادر على حملها.. كما أننى لا أثق بأحد فى هذا الكون بأسره لأئتمنه على أسرارى.

لم يدر كم مر عليه من الوقت قبل أن يعود أدراجه إلى البيت.

على سلم المنزل التقى (إسلام) الذى تعلق بعنقه وطبع على وجنته قبلة سريعة وهو يهتف: صديقى كرة الثلج أين كنت؟

تطلع إلى هذا الصغير الذي يقتحم عالمه بإصرار قبل أن يقول بهدوء: أنا لم أسألك أين كنت؟

قال فى براءة: الجميع يعرف أننى فى المدرسة.. ولكن أنت لا نعرف أين كنت وجدتى كانت قلقة عليك ولا يصح أن تقلقها ؛ لأن القلق يسبب لها المرض.. وأنا لا أريدها أن تذهب للطبيب حتى لا تذهب كما ذهبت أمى ولم تعد.

شىء حار أصاب قطعة من غلاف قلبه الجليدى فأذابها، وهو يحتوى الصغير فى حنان صامت.

بادله الصغير عناقًا حانيًا شعر (يوسف) بأنه لم يمنح الصغير شيئًا بل لقد احتواه الصغير وأعطاه حبًا وحنانًا لم يتلق مثله من قبل، فأسرع ينسحب ململمًا شتات نفسه، وهو ينصرف مسرعًا دون كلمة، تابعت (الجدة) هذا العناق فى اهتمام، بينما قفز الصغير خلفه وهو ينادى قائلا: يا كرة الثلج.. يا كرة الثلج.

كان (يوسف) يهرع نحو غرفته بخطى واسعة وكأنما تطارده شياطين الأرض بأسرها.

أغلق على نفسه بابه وكأنما أصبحت تلك الغرفة هى الحامية له.

لم يستجب إلى طرقات (إسلام) ولم ينطق بكلمة.

ولكن يديه خانتاه وامتدتا إلى الباب تفتحه دون إرادة منه وهو يسمع نبرة (إسلام) الحزينة متسائلًا إن كان أغضبه فى شىء.

فتح الباب على غير رغبته ليرى الصغير، موليًا ظهره للباب، وهو يهم بالانصراف وقد أطرق برأسه فى خيبة.

لم يطاوعه لسانه بأكثر من حرفين وهو ينطق: كلا.

التفت إليه (إسلام) وتبدلت ملامحه بسرعة عجيبة وهو يهتف فى فرح: إذًا لا زلنا أصدقاء .. أليس كذلك؟

هز (يوسف) رأسه فى صمت فتعلق الصغير بعنقه فى سعادة وهو يقول ببراءته المعهودة: أتعلم يا كرة الثلج أنت الآن صديقى الوحيد فأنا لا أصدقاء لى، الجميع يضربوننى فى المدرسة.. وصديقى الوحيد غضب منى؛ لأنى لم أكذب وأشهد لصالحه.. أشعر بالندم أننى لم أكذب وأشهد معه ولكن (سارة) كانت ستغضب منى كثيرًا لأنها تكره الكذب بشدة.

قال (يوسف): الكذب شىء سئ للغاية ولا أحد يستحق أن تكذب لأجله.

- ولكننى صرت وحيدًا فى الفصل.

- هو لا يستحق صداقتك وكان سيتركك على أية حال، فليتركك وهو يحترمك ويثق بك، أفضل من أن يتركك وهو لا يحترمك.

أشرق وجه (إسلام)وهو يقول: أنت محق يا كرة الثلج.. أنت صديق رائع.

ربت (يوسف) على كتفه فى حنان وود.

فاحتواه (إسلام) قائلًا : تعالى معى سأجعلك تلعب بلعبى.

قال (يوسف) فى سرعة: ليس الآن فلا وقت لدى.

إسلام فى يأس: الجميع ليس لديه وقت لى، وفى المدرسة لا أجد

أحدًا ألعب معه فماذا عليّ أن أفعل؟!

شعر (يوسف) بالألم لأجله فقال : هل تحب أن تلعب ألعاب الكمبيوتر؟

أجابه فى حماسة: نعم.

يوسف: حسنًا سأجعلك تلعب معى ولكن هل تستطيع هزيمتى؟

❖ ❖ ❖

(لقد انتصرت عليكِ... يجب أن تعترفى بهذا) صاح هو بلكنته المحببة إلى قلبها.

هتفت (سيلين): كلا هذا لن يحدث ، لم يمت الملك بعد.

أطلق ضحكة عالية قطعها ليقول: إنه يحتضر حبيبتى.

قالت فى مرح: سيدخل الإنعاش.

همس بابتسامة ماكرة وهو يحرك إحدى القطع: بل سيدخل المشرحة لقد مات حبيبتى.

نظرت إلى الرقعة فى يأس ثم أغلقتها، وهى تقول فى استسلام: رحمه الله كان ملكًا طيبا.

ضحك قائلًا : عليكِ أن تعترفى بالهزيمة.

رفعت رأسها فى إباء : حسنًا لطالما هزمتك، لا ضير أن تفرح مرة.

صاح فى استنكار : هزيمتى مرتان أمام هزيمتك مئات المرات تقولين عنها لطاااالما هزمتك يالك من متواضعة.

قالت فى مرح: اللهم زدنى تواضعا.

أشرق وجهه ولمعت عيناه الزرقاوان وهو يقول : أتعلمين، أنتِ أفضل شيء حدث فى حياتى لا أتخيل حياتى بدونك.

قالت فى صدق: أنت مصدر قوتى وفخرى.. أشعر أنك دائمًا سندى.

همس فى حنان : أنتِ فى رعايتى دائمًا سأظل أحميك وأهتم بك دائما.

سالت الدموع من عينيها وهى تحدق إلى صورته هاتفةً فى قهر: لم تركتنى؟

❖ ❖ ❖

اندمج مع (إسلام) فى اللعبة.. لأول مرة يشعر بتلك الحماسة هو لا يعرف شيئًا عن الطفولة تلك مرحلة سُرقت من حياته.. كان الصغير يلعب بحماسة كأنه فى معركة حقيقية مما زاد من حماسة (يوسف) واستمتاعه.

عادت هى من الخارج..ألقت بجسدها المرهق على الأريكة المجاورة لـ(جدتها)، التي بدا على وجهها الانشراح، تأملتها لحظة قبل أن تقول: تبدين مرتاحة، لاريب أن كرة الثلج قد أقدم على شيء جيد.

همست (الجدة) فى سعادة: لن تصدقى ما حدث، إنه يلعب الآن مع (إسلام).

قفزت من مكانها فى فزع وهى تصرخ: (إسلام)!!! كيف تركته يجلس معه بمفرده؟!

قالت الجدة فى دهشة: ماذا سيفعل له؟

أجابتها فى غضب: سيفعل الكثير سيفسد عقله..أين هما؟

لم تنتظر رد جدتها وهى تندفع كالصاروخ نحو حجرة (يوسف).. تناهى إليها صيحة أخيها الفرحة تبعتها صيحة أخرى حماسية لم تتخيل أن تنطلق من كرة الثلج لحظة.. تبعها صوته وهو يقول: الفرصة الأخيرة لك يا بطل و إلا سأنتصر عليك.

أسعدتها فرحة أخيها الذى أغمض عينيه وهو يقول: يارب ساعدنى أهزم صديقى كرة الثلج... أعلم أنه ليس من الجيد أن أتمنى لأصدقائى الخسارة، ولكن لكى يعرف أننى جدير باللعب معه.

قال (يوسف) فى ضيق: أنت وحدك القادر على تحقيق النصر.. إن من تدعوه الآن ليس موجودًا، و إن كان موجودًا فإنه لن يأبه بمشاعر طفلٍ صغير مثلك..

تطلع إليه (إسلام) بعدم فهم فتابع (يوسف): أنت ترى الكمبيوتر إذًا الكمبيوتر موجود.. وترانى أمامك إذًا أنا موجود ولكن هذا الذى تطلب مساعدته أنت لا تراه ؛ لذا فإنك تطلب مساعدة أحد غير موجود.

ثارت ثائرتها وهى تقتحم الحجرة فى غضب وتجذب أخاها من يده راميةً (يوسف) بنظرات نارية قبل أن تهدئ من نفسها أمام نظرة (إسلام) المذعورة وسؤاله البرئ عن سبب اندفاعها هكذا.. التقطت نفسًا عميقًا واختزنته داخل رئتيها، ضمت أخاها كأنما

ترغب فى اخفائه، قائلة بابتسامة مصطنعة: أخبرنى حبيبى هل ترى عقل كرة الثلج؟

نظر (إسلام) إلى (يوسف) لحظة قبل أن يهز رأسه نفيًا .

قالت فى ظفر: إذًا عقل كرة الثلج غير موجود.

تطلع إليها (يوسف) فى برود قبل أن يقول : كيف سمحتِ لنفسك أن تقتحمى غرفتى هكذا؟

أجابته فى برود مماثل: وكيف سمحت لنفسك أن تقتحم عقله الصغير هكذا؟

تابعت وهى تقترب من أخيها : حبيبى هل يمكنك الصعود إلى غرفتك الآن؟

هز (إسلام) كتفيه فى تذمر: ولكنى لم أهزم كرة الثلج بعد.

ربتت على ظهره فى رفق : سأعلمك كيف تهزمه.. ثم تابعت وهى تضغط حروف كلماتها: وسأجعلك تهزمه شر هزيمة، انتظرنى فى غرفتك.

غادر الصغير فى سرعة.. تابعته ببصرها حتى اختفى ثم التفتت إلى (يوسف) قائلة فى شراسة: اسمع أيها الوغد إن اقتربت من إخوتى وحاولت أن تسمم عقولهم فسأقتلك.

قال فى برود: لم لا تتركين لهم حرية الاختيار إن كنت واثقة أنك على صواب؟

تمتمت فى توتر : لأنهم فى مراحل سنية يسهل فيها التأثير

عليهم.

عقد ساعديه أمام صدره وهو يقول فى تحدٍ : من الصعب تغيير القناعات الراسخة خصوصًا إذا كانت قناعة صحيحة ولكن من الواضح أنه ليست لديك الثقة فى قناعاتك.

هتفت فى حدة: اسمع أيها الوغد.. لن تستفزنى بتلك الترهات ، ابتعد عن إخوتى إن أردت أن تسير على قدميك فى هذا المنزل.

راقته شراستها فى الدفاع عن إخوتها و إحساس الحماية لديها فتابع بنفس اللهجة : أنت تحجرين عليهم وتضعينهم فى بوتقتك الفكرية دون أن تفتحى لهم أى نافذة على العالم ليكونوا قناعاتهم الخاصة بهم هل هذا هو مفهوم حرية الاعتقاد لديكم؟

أجابت فى سرعة: حرية الاعتقاد مكفولة فى ديننا من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

قال فى سخرية باردة: هذا هو عين الكذب لديكم إن كنتم تدعون حرية الاعتقاد، فلم تقتلون المرتد عن دينكم؟

حدقت فيه لحظة بذهول وقد صدمها السؤال.. حارت فى البحث عن جواب ولكنها عجزت عن ذلك، مما منحه الفرصة ليبتسم فى ظفر وهو يقول: أرأيتِ أنتِ نفسك عاجزة عن إيجاد مبرر منطقى لهذا التناقض الصارخ لديكم.

قالت فى حدة: كلا ليس هناك تناقض، ومعنى أننى لا أجد ردًا على كلامك ليس معناه أن كلامك صحيح، و إنما معناه أننى مخطئة لأنى لا أعلم عن دينى الكثير، و لا أعرف إلا القشور... وعمومًا

سأعطيك الرد على كلامك غدًا..ثم أردفت فى شراسة: ولكن حذار أن تقترب من إخوتى.

قال فى برود: حاولى أن تمنعينى.

صاحت بلهجة محذرة: حاول أنت أن تقترب من أحدهم.

ثم تركته وانصرفت كعاصفة.

❖ ❖ ❖

التقطت سماعة الهاتف وانتظرت حتى أتاها صوت محدثها قالت فى سرعة: آسفة جدا لإزعاجك دكتور .. هل يمكننى أن آخذ بضع دقائق من وقتك؟؟.

صمتت لحظة بدا خلالها أنه قد سُمح لها بالكلام، وراحت تقص على الدكتور كل ما قاله (يوسف) ، استمعت بلهفة إلى الرد، وغمرت الدكتور فى نهاية الاتصال بعبارات الشكر والتقدير.

أغلقت الهاتف وهى تتمتم: انتظر يا كرة الثلج.. فلن أكون خصمًا سهلا.

ثم التقطت الكتاب وراحت تقرؤه فى اهتمام.

❖ ❖ ❖

جذبت (تارا) ذلك الكتاب من يد (سيلين) وهى تقول: كفى عن حبس نفسك داخل الغرفة عليكِ أن تعيشى حياتك... يجب أن تخرجى من هذا السجن الاختيارى..

رفعت إليها رأسها فى حزن: كنت أكره الكتب لأنها كانت

الشىء الوحيد الذى يأخذه منى.

(تارا) وهى تغير مجرى الحوار: لم تحضرى المحاضرة المرة الماضية وكانت محاضرة رائعة

تمتمت فى لا مبالاة : كلام.. فقط كلام، لا قيمة لأى شىء.

هتفت (تارا) فى حماسة : عليكِ أن تحضرى وتسمعى بنفسك، ستجدين كلامًا مختلفًا، فالمحاضر شاب صغير السن ولكنه رائع، إنه مازال حديث التخرج فهو خريج كلية الألسن، ويعمل فى مجال التنمية البشرية منذ كان طالبًا فى الكلية، وحصل على العديد من الشهادات الدولية فيها، ويعمل مترجمًا لإحدى القنوات الإخبارية، ويدرس بالماجستير، إنه متعدد المواهب وشخصية رائعة بحق، سيفيدك حقًا أن تحضرى محاضرته.

قالت فى يأس : لا أحد يمكنه أن يفيدنى.

تارا: تعالى معى لن تخسرى شيئا.. كما أن (رام) سيأتى ولن توافق أمى إلا إذا كنتِ معى.

أطرقت برأسها أرضا فأسرعت (تارا) تدفعها أمامها خارج الغرفة لتقطع عليها خط الرجعة.

❖ ❖ ❖

توقف (يوسف) فى مكانه، وهو يلتفت نحو(سارة)، التى عقدت ساعديها أمام صدرها، فى تحدٍ قائلة : ألا تريد الحصول على إجابة سؤالك يا (يوسف).

تمتم من بين أسنانه : اسمى (جوزيف).

ارتسمت على شفتيها ابتسامة منتصرة ؛لأنها نجحت فى استفزازه ، هزت كتفيها فى لامبالاة، وهى تقول: إذًا أنت لا تهتم بالحصول على الحقيقة ولا تسعى وراء المعرفة كما تدعى.

قال فى برود : أنا أسعى للحصول على المعرفة، من مصادر علمية موثوقة، وليس من أفواه التافهين.

شعرت بدماء الغضب تغلى داخلها فاندفعت قائلة: وأنا لا أهتم بأن أجيب على أسئلة التافهين المغرورين أمثالك.

تابع فى تسلية: هل تعتقدين حقًا، أنك قادرة على الدخول معى فى مناقشة فكرية؟

أجابته فى تحدٍ: هل تعتقد أنت أنك تستطيع الانتصار علىّ فى حوار فكرى؟

كاد يضحك من أعماقه ولكنه اكتفى بابتسامة جانبية ساخرة زادت من جاذبيته وهو يجلس على المقعد المقابل لها واضعًا ساقًا فوق الأخرى فى برود قبل أن ينظر إلى ساعته قائلاً: أمامك خمس دقائق.

كادت تنفجر فى وجهه ولكنها كظمت غيظها، وهى تلتقط نفسًا عميقًا، قبل أن تقول فى هدوء: كنت تسأل عن لم حكم المرتد فى ديننا القتل؟

صمتت لحظة استجمعت فيها نفسها، وهى تتابع: أولًا القرآن بأكمله لا يوجد فيه أية واحدة توجب قتل المرتد، رغم أنه ذكر حدودًا أقل من ذلك كحد السرقة، بل إن روح القرآن ومجمل آياته تدور عن حرية العقيدة والاعتقاد (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولم يرد عن النبى ﷺ قط أنه قتل مرتدًا لأنه ارتد.

قال فى برود: كيف وهو من أمر بقتل المرتد؟

أجابت فى سرعة: حديث النبي ﷺ (لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِم يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَنِّي رَسُولُ اللَّه، إِلَّا بإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، والنَّفْسُ بالنَّفْس، والتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.. وهناك حديث آخر يماثله و يوضحه بنفس النقاط الثلاث فقال فيه (النبى) (ورَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَام فَيُحَارِبُ اللَّهَ ورَسُولَه)

أى أن المقصود هو قتل المرتد المحارب للأمة ، ليس لكونه ارتد عن الدين ، ولكن لأنه يحارب المسلمين وهذا دفاع عن النفس والأمة.. وكذلك المرتد الذى يسعى لبث الفتن بالمجتمع وزعزعة استقراره، مما يؤدى للحروب الأهلية التى يروح ضحيتها الآلاف من الأبرياء و يخسر فيها المجتمع بأكمله أمنه وتماسكه ووحدته واقتصاده ، فيكون الأفضل وقتها هو بتر عضو فاسد فى المجتمع عوضًا عن الفتك بالمجتمع بأسره.

و (النبى) حين أمر بقتل المرتدين، كان يريد بذلك المرتدين المحاربين، أو المحرضين على الفتن.. والدليل على ذلك أنه فى صلح الحديبية وافق على شرط قريش أن من لحق بهم من المسلمين فلا يطلبونه (أى أنه سمح للمرتدين من المسلمين الذهاب لقريش بأمان) لأنها كانت هدنة سلام، ولم يحدث أبدًا أن النبى ﷺ قد تهاون فى تنفيذ حدٍ من حدود الله أو عطله.

والدليل أيضا حديث (جابر ابن عبد الله) فى الصحيحين عن الأعرابى الذى ذهب (للنبى ﷺ) بعد إسلامه بأيام قلائل وقال يا (محمد) أقلنى من بيعتى فأعرض عنه (النبى) وهو يكرر طلبه

ثلاث مرات حتى ذهب الرجل من تلقاء نفسه، ولم يطلب (النبى) من أحد أن يتبعه أو يقتله لأنه أعرابى مسالم.

وهذا دليل على عظمة الإسلام فهو دين يحترم الحريات والحقوق الفردية ولكنه لا يتهاون فى حقوق المجتمع وسلامته وأمنه.. فالحدود فى الإسلام هى عقوبة لمفاسد مجتمعية تهدد أمن المجتمع كالسرقة والزنا من أجل الحفاظ على سلامة المجتمع ولكى ينعم الناس فيه بالأمان.

أنهت قولها وهى ترفع رأسها فى اعتداد : ثم أنت تهاجمنا رغم أن هناك دولًا، لا تسمح قط لمواطنها أن يحمل جنسية أخرى كاليابان وألمانيا وهى دول متقدمة ، ولم يقل أحد إن هذه الدول عنصرية وتحبس أفرادها داخل بوتقتها الفكرية،وتمنعهم من الانفتاح على جنسيات أخرى، وأنها لا تثق بمواطنيها لأنها دول تبحث عن صالح مجتمعاتها، وحمايتها من التفتت والتفكك ،أم أنك لم تسمع بهذا من قبل.

قال فى برود : لا لم أسمع.

قالت فى ترفع: حقًا جاهل.. ثم تركته وانصرفت فى ثقة .

❖ ❖ ❖

النبضة الرابعة

جلست (سيلين) داخل تلك القاعة تتابع الشباب والفتيات حولها، وهم يتحركون فى نشاط ويتبادلون المزاح، قبل أن يعتلى ذلك الشاب المنصة الخشبية فى ثقة ويبتسم للحضور، وهو يبدأ محاضرته ولم تمض ربع الساعة، حتى استحوذ على انتباه الجميع، وهو يتحرك بينهم بخفة ، ويمس بكلامه جانبًا من كل فرد فى القاعة، تفاعل الجميع معه حتى ختم محاضرته قائلًا فى عمق: بإمكان المياه أن تحمل سفينة، وبإمكانها أن تقلبها.. هكذا التفكير يمكنه أن يحفز الإنسان أو يقوده إلى اليأس إذا كان تشاؤميا.. احلم أحلاما بعيدة المنال فكما تحلم ستكون.

الحياة ستستمر شئنا أم أبينا .. فلتستمر إذًا وهى تحملنا معها ونحن سعداء أو على الأقل نحاول أن نكون سعداء.

قاد (رامى) كلًا من (تارا) و (سيلين) نحو المحاضر الشاب قائلًا فى زهو: تعالوا أعرفكم بالمحاضر.. أشار إليه : (أحمد) صديقى.. ثم التفت إلى (تارا) : وهذه (تارا) خطيبتى وابنة عمى، وهذه ابنة خالتها (سيلين)، وهما طالبتان فى السنة الثانية بكلية الآداب.

حياهم (أحمد) فى أدب فتابع (رامى) فى سرعة: ما رأيكم فى المحاضرة؟

أجابته (تارا) على الفور : إنها رائعة.

نظر (أحمد) إلى (سيلين) التى أشاحت بوجهها ثم قال بهدوء: يبدو أنها لم تعجبك ؟ .

أجابت فى استياء: إنه مجرد كلام لا يمت للواقع بصلة.

قال فى ثقة : إن كلامنا انعكاس لأفكارنا .. وأفكارنا هى ماتصنع واقعنا.

تمتمت فى مرارة: أنت لا تصنع الواقع وحدك فأنت لا تعيش فى هذه الدنيا بمفردك.

تطلع إليها فى اهتمام: أنت محقة فى هذا تمامًا ولكن إذا تركنا الآخرين يشكلون الواقع فما قيمة حياتنا إذًا؟

أجابته فى يأس : هذا يتوقف على قدرتك وقدرتهم.. إذا كانوا أكثر منك قوة سيسيطرون هم على الواقع ولن يكون أمامك إلا أن تسير وفق أهوائهم.

قال فى صرامة: لا أحد يستطيع أن يعتلى ظهرك إلا إذا كنت منحنيا.

تجرعت المرارة داخلها وجرت على لسانها وهى تقول : يمكنه أن يكسر ظهرك ليركب فوقه.

خرجت كلماته من أعماقه فى قوة: قد يكسر ظهرى ولكنه لن ينتصر،إلا إذا كسر إرادتى،أو كسر ثقتى بنفسى واحترامى لذاتى.

همست فى ألم: يمكنه أن يمزق روحك فيكسر إرادتك وثقتك بنفسك واحترامك لذاتك، بل قد يسلبك روحك نفسها فماذا يبقى

لك وقتها؟

قال فى قوة وقد آلمه ذلك الشرخ العميق فى روحها، وتلك المرارة التى تقطر من كلماتها: يبقى الله الذى ينصر المظلوم و يقتص من الظالم.

مست كلماته روحها بعمق فهتفت فى أمل: ربما أنت محق.

ابتسم ابتسامة خفيفة : محاضرتى القادمة الخميس القادم سيسعدنى حضورك، وأتمنى أن أحصل على تقييمك للمحاضرة.

خُيل إليه أنه رأى شبح ابتسامة،على وجهها وهى تقول: إن شاء الله.

استأذن فى الانصراف واعدًا (رامى) بالاتصال به .

تابعته (سيلين) بعينيها، وهو ينصرف فى سرعة،ثم رفعت رأسها إلى السماء، وهى تتمتم ببعض الكلمات الخافتة،قبل أن تجذبها (تارا) من يدها وتمضى بها.

❖ ❖ ❖

نزل (مصطفى) إلى البهو الفسيح ، كانت الجدة تجلس بمفردها صامتة شاردة كعادتها فى الآونة الأخيرة..جلس بجوارها ، وهو يقبل رأسها فى حب ، ربتت على كفه فى حنان ، أفسحت له ليجلس بجانبها ، تأملته لحظات كان شديد الشبه بأبيه، يحمل نفس صلابته وقوته وتصميمه و إرادته، أفاقت من شرودها على حركة يده أمام وجهها وهو يقول فى مرح: أين الجميع و أين كرة الثلج؟

(أنا هنا).. أتاه الجواب كعاصفة ثلجية هبت على المكان فغمغم (مصطفى) فى حرج: أنا آسف ولكنى لا أعرف لك اسمًا يمكننى أن أناديك به.

جلس (يوسف) قبالته وهو يقول فى لا مبالاة: لا مشكلة.. نحن نولد ونحمل أسماء نعيش بها طوال عمرنا.. قد تلتصق بنا فتصبح تشبهنا وقد تصبح شخصًا آخر منافيًا لنا تماما.

قال مصطفى فى اهتمام: أتعلم يعجبنى حقًا طريقتك فى التفكير.. إنك تنظر للأشياء بشكل مختلف

قال فى هدوء :لنقل إننى كنت أعمل بطريقة (آرثرشوبنهاور) (لم تمر بي أبدا أية محنة لم تخففها ساعة أقضيها في القراءة.)

عاجله (مصطفى) بسؤالٍ سريع : هذا يعنى أنك قد مررت فى حياتك بالكثير من المحن ؟

ظهر الألم على وجه (يوسف) لحظة وهو يجيب :لنقل إننى أطبق مقولة (والت ديزنى) (كل الشدائد والعقبات التي واجهتها في حياتي زادت من عزيمتي.. قد لا تدرك هذا وقتما تلاقيك المحنة.. و لكن ركلة على أسنانك قد تكون أفضل ما يحصل لك في العالم).

- وكم ركلة تلقيتها فى أسنانك.

- الكثير ولكنى مازلت أحتفظ بأسنانى كلها.

- ربما لم تكن ركلات قوية.

قال(يوسف) فى تسلية: ستصبح محاورًا بارعا.

- شكرًا لك، أيمكنني أن أسألك سؤالا.

أجابه (يوسف) في استرخاء: تفضل.

كانت الجدة تتابع الحوار باهتمام وهي تكاد تطير من الفرح فقد شعرت أن حفيدها الثلجي قد بدأ يندمج معهم، قطع حوارهم رنين الهاتف الأرضي.. هم (مصطفى) بالنهوض ولكن الجدة أبقته في مكانه وهي تنهض في سرعة لاتتناسب مع سنها قائلة: أنا سأرد حبيبي فأنا أنتظر اتصالا

أفسح لها (مصطفى) المكان باحترام حتى مرت من أمامه ثم عاد يجلس وهو يقول: أنا أتعجب من أن رجلًا مثلك له هذه العقلية المتطورة والشخصية المثقفة ثم يؤمن بتلك الترهات من أن الكون خُلق بدون خالق.

تأمله (يوسف) لحظة قبل أن يقول في جدية: دعني أسألك سؤالًا إنكم تعتمدون قانون السببية أن لكل صنعة صانعًا فالأثاث يصنعه النجار والنسيج يصنعه النساج أليس كذلك؟

أجابه في سرعة : بلى.

قال (يوسف) في ظفر : تقولون إن ربكم هو الذي خلق كل شيء فمن خلقه؟

صمت (مصطفى) وأطرق برأسه بينما علا صوت الجدة وهي تهتف في غضب: صليني به.

❖ ❖ ❖

وصل إلى (سارة) صوت جدتها الغاضب فقفزت من سريرها إلى الخارج وقفت أعلى السلم لترى جدتها،عندما تناهى إلى سمعها مايقوله (يوسف).

نزلت درجات السلم ركضًا وهى تتمتم فى غضب: سأجعلك عبرة لمن يعتبر.

كان (مصطفى) يطرق أرضًا فى صمت، فى حين ارتسم الظفر على ملامح (يوسف) وهو يتفرس فى وجهه، كصياد يتأهب للانقضاض على فريسته.

اقتحمت المكان كعاصفة وهى تقول: ألم أحذرك أيها الوغد من الاقتراب من إخوتى؟

وضع ساقًا فوق الأخرى فى برود: كنت أتحدث مع رجل على مستو عالٍ من الرقى العقلى أتعجب معه أن له أختًا بمثل هذه السطحية الفكرية رغم أنها تكبره بأعوام.. أتعلمين أنتِ تذكريننى دائمًا بمقولة لـ (شوبنهاور)(من الصعب أن تبقى هادئًا إن لم يكن لديك ما تفعله.)

قالت فى حدة: وأنت تذكرنى بما قاله (هنريش هـــاينه) لم أر من قبل حمارًا يتكلم كالبشر، لكني قابلت الكثير من البشر الذين يتكلمون كالحمير.. وحتى الحمير لا تردد تلك الترهات وتعرف لخالقها قدره.

تدخل (مصطفى) بأدب ليوقف اشتعال الموقف: ائذنى لى.. لقد وجه لى سؤالًا وأنا لم أرد على سؤاله إلى الآن.. وهذا ليس من

الأدب.

هتفت فى توتر: أنت لست ملزمًا بالإجابة على أى من أسئلته.

قال (مصطفى) فى هدوء: لم؟ لقد سأل سؤالًا عن ديننا الذى نؤمن به ونعتقد أنه الدين الحق فإذا عجزنا عن الإجابة فمن حقه أن يعتقد مايشاء.. ثم التفت إلى (يوسف) وهو يتابع: كنت تسأل عن أن لكل شىء صانعًا وأننا نقول إن الله خلق كل شىء فمن خلق الله؟ أليـــس كذلك؟

هز (يوسف) رأسه فى هدوء بارد، فتابع (مصطفى) فى ثقة : دعنى أسألك سؤالا .. علمت أنك تصنع برامج متطورة للكمبيوتر وبالطبع هذه البرامج لها قوانين تسير وفقها.

تمتم فى سرعة : نعم.

أكمل (مصطفى) سؤاله : هل هذه القوانين تنطبق عليك وتسير أنت أيضا وفقها.. أى إنك لو قمت بصنع إنسان آلى يعمل بالكهرباء أو بالبطارية،فهل من الضرورى أن تعمل أنت بالكهرباء أو البطارية؟

أجاب بحياديه: كلا.

قال (مصطفى) فى ظفر: إذًا لا تسرى على الصانع قوانين المصنوع، وكذلك لا تسرى على الخالق قوانين مخلوقاته.. فكيف يكون خالقًا ومخلوقًا فى نفس الوقت؟!.. وإذا كان مخلوقًا فإن من خلقه أفضل وأعظم منه وهو الأحق بالعبادة وقتها.. وساعتها فما قيمة هذا الخالق المخلوق؟ وما ضرورة وجوده وهناك من هو أعظم

منه؛ لأنه هو الذى خلقه؟ وسنعود ونسأل من خلق الذى خلقه؟ وهكذا حتى نصل لخالق ليس هناك من خلقه.. وهذا ما وصل إليه (أرسطو) حين استطرد فى تسلسل الأسباب فقال: إن الكرسى من الشجرة ، والشجرة من البذرة ، والبذرة من الزارع ، واضطر فى نهاية هذا الاستطراد المتسلسل إلى القول، بأنه فى الزمن اللانهائى لابد أن ينتهى بنا فى البدء الأول ، إلى سبب من غير حاجة إلى سبب.. سبب أول أو محرك أول فى غير حاجة إلى من يحركه.. أى خالق من غير خالق وهو نفس ما نقوله عن الله.

كما أن (إسحاق نيوتن) قال: إن هذا النظام الدقيق والكواكب والشهب، لا يمكن أن ينبثق إلا عن حكمة وهيمنة خالق قادر.

قال (يوسف) بحيادية علمية: يبدو لى كلامك منطقيًا سأدرسه جيدا ثم أعلمك بما توصلت إليه.

ثم تركهم وغادر مسرعا.

❖ ❖ ❖

تطلعت (سارة) إلى (مصطفى) فى انبهار : أنت رائع حبيبى.. لقد أفحمته.

قال فى هدوء: لقد أجبته.. ربما لأننا متشابهان فكلانا مدمن على القراءة وكلانا يحب إعمال عقله فى كل شىء.. ولكن الفرق بينى وبينه أننى أنطلق من عقيدة صحيحة قوية وأقف على أرض ثابتة ، بينما هو يقف فى الهواء ؛ تتقاذفه الأفكار المختلفه لتلقى به إلى شاطئ تلك التى ستغزو عقله وتسيطر عليه

تطلعت إلى أخيها لحظة قبل أن تقول: لقد كبرت كثيرًا يا (مصطفى).

❖ ❖ ❖

شرد (أحمد) ببصره وهو يتذكر حواره مع (سيلين) قبل أن تحرك (سارة) يدها أمام وجهه قائلة فى مرح: أين أنت؟

تطلع إليها لحظة قبل أن يقول : التقيت اليوم بعد انتهاء المحاضرة بفتاة عجيبة.. تشعرين أنها كتلة من الألم والحزن مع امتلاكها روحًا شفافة ولكنها كسيرة.

قالت (سارة) وهى تجلس قبالته: قص على بالتفصيل ما حدث.

❖ ❖ ❖

(يبقى الله الذى ينصر المظلوم ويقتص من الظالم) ظلت تلك الكلمات تدوى فى عقلها حتى بعد أن أغلقت عليها بابها وانفردت بنفسها.. لم تدر لم هزتها تلك العبارة من الأعماق.. هل بسبب القوة التى نطقها بها؟ أم لأنها مست روحها؟ أم لأنها شعرت للحظة أنها كبلسم يمر على جراح الروح فيشفيها؟ راحت تتردد تلك العبارة فى أذنيها لتنزل بردًا وسلامًا على روحها الممزقة فتلملم شتاتها وتجبر كسر قلبها ، ولأول مرة منذ سنوات تستسلم للنوم فى هدوء.

❖ ❖ ❖

انتهى (أحمد) من روايته فقالت (سارة) فى اهتمام: يبدو أنها قد تعرضت لتجربة مريرة حتى تتحدث بهذه الطريقة.

تنهد (أحمد) وهو يتذكر تلك النظرة الكسيرة والكلمات

المحطمة،التى تعبر عن روح ممزقة كانت يومًا تحمل من الشموخ والإباء مايكفى لقبيلة كاملةً،ولكنها الآن تعانى من انهزام نفسى ترك آثاره العميقة على جنبات نفسها وترك بصماته السوداء على حنايا قلبها،المحترق بلوعة الفراق.

نهض لينصرف ولكن (سارة) أوقفته : ستأتى غدًا مبكرًا لتساعدنى فى الإعداد للاحتفال.

قال فى مرح : كم تدفعين مقابل خدماتى؟

هزت كتفيها فى لامبالاة : لا أريد مساعدتك ولكنى سأبلغ جدتى عن السر.

أطلق ضحكة عالية قطعها ليقول : حسنا لقد أوقعت بى متى ستبدئين فى التجهيزات؟

هتفت فى حماسة : سأنتظرك فى تمام التاسعة.

تمتم فى مكر : التاسعة مساءً تناسبنى.

قالت فى إصرار : بل صباحًا.. التاسعة مساء تكون مصر كلها قد علمت بالسر وليس جدتى وحدها

ضحك (أحمد) وهو يودعها و ينصرف.

❖ ❖ ❖

عاد (أحمد) إلى منزله بعد لقائه مع (رامى)،كان ما سمعه منه قد شغل تفكيره،إلى أبعد مدى... لقد تعرضت لصدمة رهيبة، جعلتها تحيا كالأموات،وتتحرك بلا روح، أصبح الحزن ملازمًا لها

كظلها،والأنين نبع كلماتها، والألم رفيق دربها، ولوعة الفراق توأم روحها، وجلد الذات هو حكمها على نفسها، شعر بالشفقة عليها وبرغبته فى مساعدتها ولكن تُرى أية قوة فى الأرض قد تساعدها على اجتياز تلك المحنة؟؟؟؟ وظل سؤاله عالقًا فى ذهنه بلا جواب.

❖ ❖ ❖

فتحت (سيلين) عينيها، حينما لامس جفونها ذلك الضوء المبهر، رأته واقفًا هناك يبتسم... لم يفعل شيئًا سوى أنه كان ينظر إليها ويبتسم.. لأول مرة منذ تركها تراه مبتسما.. هى أيضا لم تتحرك من مكانها، فقط بادلته الابتسام وغمرها شعور عجيب بالراحة التى فارقتها منذ سنوات.

❖ ❖ ❖

تطلع (يوسف) فى لامبالاة إلى تلك الزينة ومظاهر الاحتفال التى عمت أرجاء المنزل، هَمَّ بالخروج ولكن (إسلام) والجدة أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم جذبه (إسلام) ليجلس معهم.. تحرك بداخله شىء من الفضول؛ ليعرف كيف يكون احتفالهم، ألقى نظرة متفحصة على قطع من الحلوى غريبة الشكل.

قطع تأملاته قفزة (إسلام) ليعانق فتاة طويلة خمرية البشرة،ذات شعر أسود فاحم ينسدل إلى منتصف ظهرها،فى نعومة مغرية، وتحمل عينين سوداوين ظللتهما رموش طويلة، زاد من كثافتها ذلك الكحل الأسود الذى كحلهما.. عانقت (إسلام) فى ود واضح ومنحته ابتسامة كشفت عن صفين من اللؤلؤ، وهى تناول

الصبى حصانًا من الحلوى التقطه (إسلام) فى سعادة ومنحها بدلًا منه قبلة صغيرة مصحوبة بكلمة شكر مقتضبة، قبل أن ينطلق به فى أرجاء المنزل مقلدًا صوت الحصان.

خطت الفتاة نحو الجدة التى استقبلتها بابتسامة واسعة وهى تقدمها إلى (يوسف) : (رنا) صديقة (سارة) المقربة.

ظهر الامتعاض على وجهه،وهو يهز رأسه ببرود، مما أشعرها بالحرج فراحت تهز رأسها بإيماءات لامعنى لها.

انتهزت الجدة الفرصة فأفسحت الطريق لـ (رنا) لتتجاوزه، بينما جذبته هى من يده قائلةً فى توسل: اجلس معنا قليلا بنى.. إن لم يرق لك الجلوس يمكنك الانصراف.

عاد برفقتها إلى حيث اصطف الجميع، وراحوا يتمازحون.. جلس بينهم يراقب فى صمت.. فى حين وجه (أحمد) سؤاله لـ (رنا) فى اهتمام: هل وجدت عملا يناسبك؟

مطت (رنا) شفتيها وهى تجيب : لا لم أجد بعد من يقدر علمى وقدراتى.

علقت (سارة) على كلامها : لقد أخبرتك أين سيقدرون علمك ولكنك خشيتِ الذهاب !!

رمقتها (رنا) بنظرة محذرة قبل أن تقول فى سرعة: لقد طلبونى فى الخارج ولكنى أحب أن أفيد بلدى أولا.

قالت (سارة) فى مكر: لقد استفادت منك بلدك كثيرًا عليك ألا تحرمى بقية دول العالم.

ضحك (أحمد) قائلًا : اعترفى و إلا لن تفلتى من (سارة).

ضحكت (رنا) بدورها وهى تلتفت لصديقتها هاتفة : أنتِ شر يره (سارة).

قالن (سارة) وهى تقلد (رنا) : بحكم خبرة صديقتى فى علم النفس يمكننى أن أخبرك أنك تعانين من قليل من البارانو يا، والكثير من أحلام اليقظة.

تململ (يوسف) فى جلسته،وبدا على وجهه الضجر.. فالتفتت (رنا) إليه: لغة الجسد لديك،تنبئ إلى أنك تشعر بالملل يمكننا أن نغير مجرى الحوار.

قال فى برود: أتعلمين يا آنسة أنتِ تذكر ينني بـ (شارلى شابلن) له مقولة رائعة أرجو أن تطبقيها كان يقول (الحياة قد تصبح رائعة إذا تركك الناس وشأنك.)

حدقت (رنا) فيه لحظة ببلاهة ثم صاحت فى استنكار: أنا أشبه (شارلى شابلن).

تابع بنفس البرود: ماهى دراستك يا آنسة؟

أجابته بشىء من الفخر: أنا خريجة كلية الآداب قسم علم النفس.

هز كتفيه بلامبالاة : (بول فاليرى) كان يقول (الغرض من علم النفس هو إعطاؤنا فكرة مختلفة تماما عن الأشياء التي نعرفها جيدا).

هتفت (رنا) بذهول : من (بول فاليرى) هذا؟

كتم (مصطفى) ضحكته،فى حين قال (أحمد) ليرفع عنها الحرج: جدتى ألن تحدثينا ككل عام؟

اعتدلت الجدة وهى تقول فى وقار: نحن نحتفل اليوم بذكرى المولد النبوى الشريف.. ففى مثل هذا اليوم وُلِد النبى ﷺ خير الخلق.. خاتم المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين (محمد ﷺ) مُعلم البشرية.

نهض (يوسف) وهو يقول فى ضجر: أنتم قوم متخلفون كيف تتبعون رجلًا كهذا وتخلعون عليه هذه الصفات الخرافية؟!

نهضت (سارة) لتقف أمامه بتحدٍ : نحن لانخلع عليه صفات يا (كرة الثلج) فهو مهما وصفناه ما وفيناه حقه.. لقد جمع شتات قبائل متفرقة ؛ليصنع منها أمة من أعظم الأمم ويؤسس لحضارة أضاءت العالم.

قاطعها (يوسف) فى استياء : أنتم قمة فى التخلف، كيف تدعون أنكم أصحاب حضارة أضاءت العالم وأنتم تتبعون رجلًا جاهلا؟!

لم يكد يتم كلمته حتى هوت تلك الصفعة على وجهه.. تطلع فى ذهول إلى (سارة) التى وقفت تنتفض فى غضب وهى ترفع إصبعها محذرة: لو أخطأت فى حقه ثانية فسأقتلك.

هتف فى غضب: أرأيتِ كم أنتِ همجية ومتخلفة.

قالت فى ازدراء: وأنت جاهل وتافه..

ثم تركته وانصرفت كقذيفة مدفع.

تطلع إلى العيون الغاضبة من حوله ثم تركهم وانصرف دون

كلمة إضافية.

❖ ❖ ❖

لحقت (رنا) بـ (سارة) : كنتِ رائعة (سارة).. لقد أوقفتيه عند حده.

قالت (سارة) فى غيظ: الوغد الحقير.. إنه يستحق أكثر من ذلك.

(خطأ).. التفتت (رنا) خلفها إلى مصدر الصوت لتجد (مصطفى) الذى خطا تجاههم فى رجولة حقيقية.

غمغمت (رنا) فى تساؤل: ما هو الخطأ؟هل يسب نبينا ونتركه...؟!!!

أجابها فى هدوء : لا.. لا نتركه.. بل نشرح له من هو النبى ﷺ فهو أخطأ ؛لأنه لا يعرف شيئًا عن النبى لذا وجب علينا أن نعرفه بنبينا أولا.

قالت (سارة) فى عناد : ربما كنت محقًا .. ولكنى مازلت عند موقفى ، ولو عاد كرة الثلج إلى هذا القول، لأحرقته حيا.

صاحت (رنا) فى استنكار: نشرح لمن؟!.. كرة الثلج هذا لا يمنح أحدًا فرصة للشرح، إنه كتلة من البرود والصفاقة.

هز مصطفى كتفيه فى يأس وهو يوليهم ظهره مغادرًا المكان.

❖ ❖ ❖

(توقف).. صاح (أحمد) بهذه الكلمة، وهو يلحق بـ (يوسف)

الذى وقف مكانه دون أن يلتفت،فتابع (أحمد) فى سرعة: أتسمح لى بعدة دقائق من وقتك.

قال فى برود: وهل تظن أن عدة دقائق من وقتى هو شىء سهل حتى أسمح به؟

تجاهل (أحمد) لهجته الباردة وهو يقول: لقد أغضبت الجميع بالداخل يا رجل.. ألا تسمح لنا بعدة دقائق ؛حتى أشرح لك أن ما قلته لم يكن صحيحًا.. إذ أنه ليس من الأمانة العلمية أن تهاجم أحدًا دون أن تعرف عنه شيئا.. ما الذى تعرفه أنت عن النبى ﷺ؟

أجابه فى برود : أعرف ما تقولونه أنتم من ترهات وتناقضات؟ كيف تقولون على شخص إنه معلم البشرية بينما هو وفقًا لكلامكم أيضا لا يقرأ ولا يكتب؟

قال (أحمد) فى هدوء: أنت محق لقد كان النبى ﷺ أميًا ؛ لا يقرأ ولا يكتب، ولكن ذلك كان لحكمة، فالحكمة من أمية النبي ﷺ هي حفظ الرسالة الشريفة من أن تنالها يد الطعن، حتى إذا ما قال قائل: إن القرآن من عند (محمد) ﷺ وقد اختلقه من علوم البشر التي تعلمها، كان الجواب أن (محمدًا) ﷺ نبي أمي لم يعلمه بشر، فكيف جاء بهذا الكتاب العظيم الذى يحتوى على معجزات علمية لم يكتشف العلم الحديث بعضها، إلا من قريب مثل مراحل خلق الجنين مثلًا، لقد صورها القرآن تصويرًا علميًا دقيقًا، ولم يتوصل العلم لهذا إلا منذ عدة سنوات.

ومن كمال الإعجاز أن من يحمل تلك الرسالة العلمية الحضارية

الشاملة، التى لم تترك جانبًا من جوانب الحياة وشئونها إلا نظمته، على الشكل الصحيح الكامل،هو رجل أمى لا يقرأ ولا يكتب؛ ليكون واضحًا أن علمه هو علم من السماء، فقط وأنه لا ينطق عن الهوى،إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى.

وقد أشار القرآن الكريم نفسه إلى هذه الحكمة ، في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

أما نحن فقال عنا النبي ﷺ: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الكرم بالتكرم، وإنما الحلم بالتحلم). وإنما فى اللغة لدينا، هى أداة قصر، تعنى أنه ليس هناك من سبيل إلى العلم إلا بالتعلم بالنسبة لنا.

تطلع إليه (يوسف) لحظة ثم قال فى برود: لقد أخذت من وقتى الكثير.

حدق(أحمد) فى أثره لحظة بدهشة ثم هز كتفيه، وهو يستدير عائدًا إلى الداخل.

❖ ❖ ❖

أمضى (يوسف) الكثير من الوقت فى الخارج، كان يفكر كثيرا فيما سمعه من(أحمد)، لايدرى سببًا لاهتمامه المفاجئ بمناقشاتهم، إنهم يتسللون إلى عالمه، رغمًا عنه وهذا يزعجه إلى أقصى حد ويثير حنقه واستياءه، لم يدر كم مر عليه من الوقت وهو يسير بالخارج، عاد ليجد الجميع مازالوا ملتفين حول الجدة، دخل دون أن يوجه كلمة إلى أحدهم ولكن (إسلام) قفز

نحوه وهو يتعلق بعنقه قائلا: افتقدتك يا صديقى..لقد انتظرتك ولم آكل من الحلوى.

اتجه نحو غرفته ، دون أن يرد على الصغير، ولكن (أحمد) و(مصطفى) أحاطا به وهما يجذبانه للجلوس معهم، فى حين رمقته (سارة) بنظرة عدائية، قبل أن تشيح بوجهها معلنةً رغبتها الصامتة فى عدم جلوسه معهم، مما وَلدّ لديه رغبة داخلية فى إزعاجها فقال فى برود مستفز: لدى الكثير من العمل لأنجزه ولا وقت لدى لأضيعه فى جلساتٍ لاطائل من ورائها.

قالت (رنا) فى سرعة: من يدعى طوال الوقت أنه مشغول هو شخص فارغ على الأرجح.

رد ببرود: (تولستوى) كان يقول (قبل أن تصدر الحكم على الآخرين احكم على نفسك.)

تابعت (رنا) فى إصرار : إفراطك فى إظهار ثقافتك ، عن طريق الرد بمقولات لعلماء ومشاهير قد يوحى بأنك تسعى لإظهار مستواك العلمى،لمن حولك و إبهار الجميع بثقافتك.

هز كتفيه فى لامبالاة : (أدولف هتلر) كان يقول: لا تقارن نفسك مع أي شخص في العالم، إن فعلت ذلك فإنك تهين نفسك.

كتم (مصطفى) ضحكة كادت تفلت من بين شفتيه فى حين احتقن وجه (رنا)، ولكنها عادت تقول فى إصرار: هذا يؤكد كلامى ولا ينفيه.

قال فى ملل: (بيكاسو) كان يقول: (كل شيء يمكنك أَنْ تتخيله،

فهو حقيقي بالنسبة إليك.) ولذا ما تتخيلينه أنتِ ليس بالضرورة أن يكون حقيقيًا لدىّ..و هذا يرجع إلى أنك ربما تتعاملين مع الأمور بطريقة سطحية،أو ربما لم تقومى فى عمرك كله بإجراء بحثٍ علمى واحد ؛ لأنه فى البحث العلمى من حقك أن تقتبسي من علمٍ وفكر أى شخص، ما تشائين بشرط،أ ن توفيه حقه بذكر اسمه ونسبة جهده إليه وهذا ما نسميه بالتوثيق، وأنا لا أحب أن أقتبس من كلام الآخرين دون ذكرهم كأنه من كلامى ؛لأن هذا فى نظرى يعتبر سرقة.

فغرت (رنا) فاها بدهشة ثم تمتمت فى خجل: لم أظن الأمر هكذا.

قال بلامبالاة : لكل شيء وجهان ولكننا غالبًا نختار الوجه السئ.

أتبع عبارته بأن خطا نحو غرفته، التى يعتبرها ملاذه الوحيد فى هذا البيت، يحتمى بين جدرانها وينعم فيها بالوحدة التى يسلبونه إياها خارجها، يتساءل دائمً لم لا يتركونه وشأنه؟! لمَ عليه طوال الوقت أن يبقى على أهبة الاستعداد حتى لا يخترق أحد محيطه الخارجى ويخرق دفاعاته؟

ألقى بجسده على الفراش ؛ يتلمس شيئًا من الراحة المفقودة فى حياته. أمسك دفتر يومياته. فتحه عشوائيًا لتطالعه تلك الكلمات التى قرأها مصادفةً لأحد الشعراء العرب وقام بتدوينها فقد مست جرحه فى الصميم..

كُنتُ في الرّحـْم حزينـًا
دونَ أنْ أعرِفَ للَأحـزانِ أدنى سَبَبِ !
لم أكُـنْ أعرِفُ جنسيّـةَ أُمّـي
لـمْ أكُـنْ أعرفُ ما ديـنُ أبـي
لمْ أكُـنْ أعرِفُ أنّـي عَرَبـي !
آه.. لو كُنتُ على عِلْـم بأمـري
كُنتُ قَطَّعتُ بِنفسي (حَبْـلَ سِـرّي)
كُنتُ نَفّسْتُ بنفسي وبِأُمّـي غَضَـبي
خَـوفَ أنْ تَمخُضَ بي
خَوْفَ أنْ تقْذِفَ بي في الوَطَـنِ المُغتَرِبِ

تنهد فى ألم وهو يلقى بالدفتر بعيدا وقد شعر أنه حتى هذا الدفتر قد تآمر عليه

❖ ❖ ❖

جلست (سيلين) فى مكان منزوٍ فى القاعة، تتابع (أحمد) وحديثه باهتمام وتلك الأفكار الجديدة التى يقدمها والتى أعجبتها حقا.

بحث هو بعينيه عنها، لم ينتبه لها فى البداية. شعر للحظات بالضيق قبل أن يندمج فى محاضرته و يتحرك كعادته، وهو يتحدث بلباقة وفجأة وقعت عيناه عليها شعر بالبهجة ؛لأنها أتت. راح يكمل كلامه وهو يوجه إليها رسائل مبطنة التقطتها كاملة، وقد

تنامى داخلها شعور بالامتنان نحوه .

وختم (أحمد) كلامه قائلًا : سأخبركم بكلامٍ سيغير تفكيركم في الحياة !! من أروع ما قرأت من قول الإمامً (ابن القيّم) رحمه الله: لاتعط الأحداث فوق ما تستحق، ولا تبحث عن قيمتك في أعين الناس. ابحث عنها في ضميرك فإذا ارتاح الضمير ارتفع المقام. و إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك !. لا تحمل هم الدنيا فإنها لله، ولا تحمل همّ الرزق فإنه من الله، ولا تحمل هم المستقبل فإنه بيد الله. فقط احمل همًا واحدًا كيف ترضي الله ؛ لأنك لو أرضيت الله رضي عنك وأرضاك وكفاك وأغناك. لا تيأس من حياة أبكت قلبك. وقل يا الله عوضني خيرًا في الدنيا والآخرة.. فالحزن يرحل بسجدة. والفرح يأتي بدعوة. لن ينسى الله خيرًا قدمته، وهمًا فرّجته، وعينًا كادت أن تبكي فأسعدتها ! عش حياتك على مبدأ: كن مُحسنًا حتى و إن لم تلق إحسانًا، ليس لأجلهم بل لأن الله يحب المُحسن.. أرخ يدك بالصدقة تُرخ حبال المصائب من على عاتقك.. واعلم أن حاجتك إلى الصدقة أشد من حاجة من تتصدق عليه..

صمت (أحمد) لحظة وهو يختبر أثر كلامه فى وجوه الناس قبل أن يتابع حديثه : صدقونى أنا شخصيًا غير هذا الكلام فى حياتى الكثير فأحببت أن أهديه لكم فى ختام هذه المحاضرة.

نزلت كلمات (أحمد) على نفسها بردًا وسلامًا، تربت على فؤادها المكلوم وتمسح على جراحها. أسبلت جفنيها للحظات فى

ارتياح ، قبل أن ترفعهما ليحل الارتباك، محل تلك الراحة القصيرة وهى تراه يتجه نحوها ؛ فأخذت رد فعل دفاعي بحمل حقيبتها، استعدادًا للرحيل ولكنه استوقفها قائلا بأدب: لقد أسعدنى حضورك. أنتظر تقييم المحاضرة كما اتفقنا.

تمتمت فى خجل : كانت رائعة بالنسبة لى على الأقل.

قال فى جدية : يكفينى هذا.. شكرًا لك.

سألت فى فضول: لِمَ تعطى محاضرات فى التنمية البشرية؟؟.. لم لا تلتزم بتخصصك وتعطى دروسًا فى اللغة؟ فعلى حد علمى أنت متميز جدًا فى اللغة وستدر عليك مالًا أكثر بكثير من تلك المحاضرات.

أجابها فى سرعة: ربما أنت على حق، ولكننى أعشق هذا المجال، وأجد فيه متعتى الخاصة. لنقل أن اللغة هى عملى الأساسى، وهذا المجال هو هوايتى. صمت لحظة قبل أن يناولها كتابًا ألقت نظرة سريعة على عنوانه، قبل أن تبتسم ابتسامة خفيفة، أضاءت وجهها الجميل وهى تتمتم فى خفوت: شكرًا لك.

ناولها بطاقة صغيرة، وهو يقول قبل أن ينصرف مسرعا: هذا جدول صغير بمحاضرات هذا الأسبوع، سأنتظر حضورك وتقييمك للمحاضرة. شكرًا على الموافقة.

حدقت فى أثره لحظات قبل أن تهز رأسها وتغادر القاعة هى الأخرى وفى داخلها نبضة تشى بأنها مازالت على قيد الحياه و إن كانت روحها لاتزال عالقه بين عالمين.

❖ ❖ ❖

النبضة الخامسة

مضى على (يوسف) أسبوع فى المنزل منذ صفعته (سارة)، وهى تتجنبه تمامًا، ولا تتحدث معه قط. فقط ترميه بتلك النظرات الغاضبة، إذا التقيا مصادفة. فى حين ظلت الجدة تحاول جاهدة، كسب وده، إلا أنه ظل على موقفه المتباعد منها؛ لأنه لم يستطع فهم دوافعها وراء تصرفاتها العجيبة،وتلك المشاعر الفياضة، التى تغمره بها. أما عن علاقته مع (أحمد) و(مصطفى) فقد تطورت نوعًا ما وأصبحا يقتطعان جزءا من وقته بعد أن سمح لهما بذلك.بينما زاد تعلق (إسلام) به وبدأ هو يشعر ببعض الراحة فى قضاء الوقت مع (إسلام).

بدأ (يوسف) يجلس مع الجدة، كل صباح يتناول قدحًا من القهوه، بينما تتجنب هى الجلوس معهم تماما. يشعر بالراحة؛ لأنه تخلص من إزعاجها. وإن كان فى أعمق أعماق نفسه هناك جزء بداخله يشعر بشعور مبهم، هو لايستطيع تفسيره أهو شعور بالضيق؛ لأنها تتجاهله بدلًا من أن كان هو من يتجاهلها؟أم هو شعور بالافتقاد لمشاكستها أم ماذا؟ شىء ما داخله لايستطيع تحديده، شىء ما يزعجه بحق كلما حاول أن يقترب من السطح، فضلًا أن يطفو عليه.

❖ ❖ ❖

أنهى (أحمد) محاضرته ثم اتجه نحو (سيلين)،التى جلست فى آخر القاعة،كانت جميلة كعادتها، شفافة كلوح من البلور، لولا ذلك الشرخ العميق،الذى يضفى بعض الكآبة والغموض، يزيده صمتها المتسائل خلف حدقتيها الساحرتين. خطى باتجاهها وقد عقد العزم على مباغتتها و إجبارها على الحديث عن أزمتها، وما خلفه الحادث من جروح وشروخ فى نفسها. هو لا يستطيع التنبؤ كيف ستكون ردة فعلها، لقد انتظر كثيرا أن تبدأ هى بالكلام ولكن هذا لم يحدث رغم محاولاته المتعددة، لجرها للحديث عنه، ولكنها كانت دوما تتهرب من الخوض فى هذا الأمر ولهذا اتخذ قراره الحاسم، أن يبدأ بالهجوم عليها ؛لإخراجها من قلاع العزلة التى تحبس نفسها فيها، كاد يتراجع أمام سؤالها المذعور، عما يعنيه بكلامه ومحاولتها التأكد من أنه لا يعرف شيئًا،ولكنه عاد يقول فى إصرار: بل أعرف.. أعرف بشأن الحادث.

تحول الذعر المطل من عينيها إلى كتلة من الغضب الملتهب، وهى تهتف بصوت كالفحيح: من أخبرك؟ إنه (رامى).. الحقير، كيف سمح لنفسه أن يتحدث فى أمر كهذا؟.. من منحه هذا الحق؟

قال (أحمد) فى ثبات: كلانا يرغب فى المساعدة.

صاحت فى ثورة: وأنا لا أريد مساعدة من أحد... لا أريد شفقة من أحد.

هتف فى غضب: بلى تحتاجين إلى المساعدة.. أى شخص فى مكانك سيحتاج إليها.. لقد مررت بتجربة عصيبة.. ربما لو كان

غيرك مر بها لأصيب بالجنون... وهذا يعنى أنك فتاة قوية.. قوية للغاية.

قالت فى لهجة جافة : فلتحتفظ برأيك هذا لنفسك... ولا أحتاج إلى المساعدة.. وأنا سأتكفل بـ (رامى).. نطقت عبارتها الأخيرة وهى تدور على عقبيها ؛ لتترك المكان ، فجأة تسمرت قدميها عندما قال فى برود: أعتقد أنه لو كان (بابا نويل) هنا لأزعجه تصرفك هذا للغاية.

شعرت كأن حجرًا قد سقط على رأسها.. وكأن سحابة سوداء قد هبطت أمام عينيها، وأن الدنيا تميد بها وأحاط بها ضباب كثيف.

❖ ❖ ❖

عاد (يوسف) من الخارج كان يشعر ببعض الدوار. هناك رعشة خفيفة تسرى فى جسده، ولكن لديه الكثير من العمل. أغلق على نفسه غرفته لم يكن فى مزاج يسمح له قط بأن يتحدث مع أحد. لم تمض لحظات حتى ارتفعت طرقات صغيرة على باب غرفته، ميز صاحبها على الفور. شعر بالاستياء ، انتظر لحظات لعله ينصرف من تلقاء نفسه،ولكن الصغير راح يطرق الباب بإصرار وهو يقول فى براءة: أريد أن أريك لعبتى الجديدة.

امتدت يده لا إراديا تفتح الباب وهو يقول بنفاد صبر: ليس الآن.. أنا مرهق.

هتف الصغير فى قلق : هل تحتاج لدكتور؟ سأستدعى جدتى حاول ألا تسقط أرضا... قالها وهو ينطلق كالبرق غير منتظر لرد

(يوسف) الذى جلس على حافة فراشه، وهو يزفر فى ضيق ، فى حين أقبلت الجدة تهرول فى قلق: ماذا بك حبيبى؟

تمتم فى ضجر: لاشئ.

قالت فى إصرار: أنت تبدو متعبا مم تشكو؟ سأستدعى طبيبًا فى الحال.

صاح فى حدة: لا تحاولى اقتحام حياتى ولا تمثلى معى دور الجدة الحنون فأنا كما قلت سابقًا لست فردًا من أفراد عائلتك.

سالت الدموع من عينى (الجدة) فى مرارة وهى تتجه للخارج، فى صمت ، تبعها (إسلام)الذى قال فى غضب طفولى: أنت أبكيت جدتى يا كرة الثلج،عليك أن تعتذر لها و إلا فًلن نكون أصدقاء بعد الآن.

خرجت من الغرفة لتجد (سارة) أمامها.. حاولت أن تخفى دموعها مما جعل الأخيرة تندفع نحو غرفته كالصاروخ وهى تقول فى غضب: اسمع أيها الوغد.. لقد حذرتك من قبل.

رفع رأسه إليها ورغمًا عنه شعر ذلك الجزء الدفين فى أعمق أعماقه بشىء لم يستطع وصفه، واخترقه لحظه شعور بالسرور؛ لأنها واقفة تحدثه.. أزعجه ذلك الشعور إلى أقصى حد. ودقت داخله كل أجراس الخطر.. وهبطت تلك الكتل الثلجية تحيط به من كل جانب كوسائل دفاعية تؤمن محيطه الداخلى من أى اختراق فقال فى برود: لاوقت لدى لتفاهاتك.. أغلقى الباب خلفك.

هتفت فى غضب: لقد صبرت عليك بعد كل ما فعلت من أجل

جدتى أما أن تجعلها تبكى فقد طفح الكيل.

كان الدوار يحيط به. بدأ يشعر بالإعياء.. إن أكثر ما يكرهه هو أن يرى أحد ضعفه أو مرضه، ورغم غضبه المتنامى إلا أن صوته خرج ضعيفًا على الرغم منه وهو يقول في حدة : تبًا .. لم لاتخرجين فقط.. أى جزء من جملتى لم تفهميه إلى الآن؟

قالت فى برود: إن لم تعتذر لجدتى فلن تتمكن من إغلاق هذا الباب عليك ثانية.. لن أغامر بصحتها لأجل وغد مثلك.

صاح فى حدة واهنة وقد بدأت الرعشة تظهر عليه: أنتِ لا تعنينيى ولا جدتك، ولا أحد فى هذا البيت ولن أصبح يومًا فردًا من عائلتكم.

قالت فى سخرية غاضبة: وهل تظن أن وجود مثلك بين أفراد عائلتنا هو شيء يسعدنا؟

بدأ الدوار يكتنفه فتحرك نحو الباب؛ يريد إغلاقه فى وجهها كى يستريح من إزعاجها.. ولكن قدميه خذلتاه فى منتصف المسافة، وشعر بالدنيا تميد به.. واهتزت الرؤية أمام عينيه وهو يسقط عند قدميها وكانت صيحتها القلقة،هى آخر ما عبر أذنيه إلى عقله قبل أن تحيط به تلك الغيبوبة.

❖ ❖ ❖

لم تشعر بشيء فقد أحاط بعقلها ضباب كثيف،واختلطت الوجوه والأصوات حولها للحظات قبل أن يبرز وجهه بين الوجوه وهو يقول: أفيقى حبيبتى.. انتبهى الآن.

تماسكت وأخذت تلك السحابة الضبابية تنقشع عن عقلها تدريجيا و (أحمد) يهتف: هل أنت بخير؟

أجابته فى برود: لا تتدخل ثانية في شؤون الآخرين.

ثم تركته وانصرفت وهى تحاول أن تتماسك فى مشيتها حتى غابت عن عينيه.

❖ ❖ ❖

تزاحمت الصور والوجوه أمام عينيه، واختلطت الأصوات من حوله، فتح عينيه دفعة واحدة ليرى تلك الوجوه القلقة، والنظرات الملهوفة المصوبة نحوه.. ميز وجه (إسلام) و (مصطفى) و الجدة التى تنهدت فى ارتياح وهى تتمتم بكلمات الحمد، فى حين تهلل (إسلام) فى سعادة بينما أقبل عليه (مصطفى) متسائلًا فى قلق: هل أنت بخير؟

تطلع إليهم لحظة فى دهشة ثم قال فى إعياء: أنا بخير.. يمكنكم الانصراف.

صاحت الجدة فى استنكار: أنا لن أتركك أبدًا حتى تشفى تماما.

قال فى دهشة: لم؟!

أجابته(سارة) القادمة من الخارج: أجيبيه جدتى بأن هذا شيء لن يفهمه قط.. ثم التفتت إليه وهى تتابع: جدتى لن تتركك حتى تسترد قوتك.

حاول إظهار بعض القوة وهو يقول: القوة لا تأتي من مقدرة

جسمانية، بل تأتي بها إرادة لا تقهر هكذا قال (غاندى).. وأنا أمتلك تلك القوة لذا لست بحاجة إلى وجود أحد بجوارى.

قالت فى برود : ستعتنى بك جدتى لا لرغبة منا.. بل لأن لا أحد هنا يستطيع حملها على الخروج.

تمتم فى ضعف : أنا قادر على العناية بنفسى جيدا.

ابتسمت فى تهكم: حقًا.. هذا يبدو واضحًا.. يمكنك أن تقوم بعد أجزاء جسدك كل ساعة؛ لتطمئن إلى أننا لم نلتهم منك جزءًا، وأنت تحت تأثير المرض.

هتف فى ضيق: أنا لست بحاجة إلى أحد.

أوقف (مصطفى) الكلام فى حزم: كفى.. لن نتركك.. عندما تقف على قدميك يمكنك أن تغلق باب غرفتك كما تشاء.

أتبع قوله بأن اتجه نحوه، وراح يعدل من وضع جسده، فى حين أمسكت (سارة) بطبقٍ يحوى بعض الطعام و(مصطفى) يقول مازحا: افتح فمك بإرادتك بدلا من أن نفتحه لك.

عاد الضعف يدب فى جسده من جديد فقال فى استسلام: أنا سآكل وحدى.

❖ ❖ ❖

مر على (يوسف) ثلاثة أيام قبل أن يتعافى، كان الجميع يتسابق لرعايته.. الجدة لم تتركه لحظة واحدة وأحاطته باهتمامها وغمرته بحنانها وعطفها. شعر معها بمشاعر لم يحسها من قبل. أحس

بالأمان والحنان.. كان يشعر بإحساس غامر ورأسه فى صدرها أصبح يستسلم لها تمامًا بل و يجد راحته عندما تضمه إليها.

(إسلام) كان يأتى إليه كل يوم عندما يعود من المدرسة ليدرس بجواره و يلعب معه.

(مصطفى) كان يطمئن عليه طوال اليوم.

(أحمد) كان يطمئن عليه باستمرار، و إن لم يتمكن من الحضور كان يتصل تليفونيا.

حتى (سارة) نفسها رغم عدائها المُعلن له، إلا أنها كانت تعد له الطعام وتهتم بمواعيد علاجه.

تبدلت وجهة نظره تمامًا بشأن الانضمام إلى عائلة..لقد شعر لأول مرة فى عمره بالأمان... لأول مرة فى عمره يشعر بالدفء.. كان على توافق مع الجميع باستثنائها.

هى تناصبه العداء، و إن كان الشجار بينهما قد توقف وكأنهما قد دخلا فى هدنة غير معلنة ولكن الأمر كان لا يخلو من بعض المناوشات من آن لآخر، ولكن حتى هذه المناوشات أصبح معتادًا عليها،و ياللعجب لقد أصبحت مصدر تسلية له.. حتى أصبح هو من يسعى إليها، و يعمل على استفزازها.. لا يدرى سببًا، لذلك لكنه يشعر بالتسلية و إن كان فى المجمل لا يستطيع تفسير السبب الحقيقى خلف اهتمامهم الكبير به، كان هذا ما يشغل باله حين أقبلت هى حاملة كوبا من الحليب، استقبلها بنظرة طويلة متسائلة ترجمها لسانه على الفور وهو يقول: أحيانًا أظن أننى لن أستطيع فهمكم.

سارة: لسنا شيئًا صعبًا.. نحن فقط عائلة تهتم ببعضها وتحب بعضها.

قال فى ألم: هل يوجد أصلًا ما يسمى بالحب فى هذه الدنيا؟.. وهل يوجد من يهتم بشخص آخر بلا مصلحة أو نفع يعود عليه؟

شعرت بالشفقة عليه فقالت فى سرعة: يُوجد ولكن بنسبة قليلة وأعتقد أن جدتى من هذه النسبة القليلة.

تمتم فى تعجب : حقًا.. كنت أظن أن وجود هذه المشاعر المجانية هى من المستحيلات.

أجابته بابتسامة صغيرة: ألم أقل لك.. أنت فى بلاد العجائب.

خُيل إليها أنها رأت شبح ابتسامة على وجهه.. فأردفت: حسنا هيا لتتناول الحليب والدواء.

قال فى إرهاق: لا رغبة لى.. لم أعتد على البقاء فى الفراش لفترة طويلة.. لقد تعبتم معى.. سوف أدفع لكم ما يعوضكم عن هذا الوقت.

قالت فى سخرية: أهذا أقصى ما يمكنك فعله؟.. حقًا تافه.

استعاد بروده وهو يقول : هل تريدين إقناعى أنك أنت تحديدًا تقومين بخدمتى بلا مقابل؟

أجابت فى برود مماثل: كلا يا كرة الثلج أنا أقوم بهذا فى مقابل أن تكون جدتى سعيدة.. ثم أردفت فى صرامة وهى تضع بجواره كوب الحليب والدواء.. والآن هيا تناول دواءك فلا وقت لدىّ أضيعه فى حوار تافه.

نظر فى أثرها لحظه ثم هز رأسه قائلًا: مجنونة.

❖ ❖ ❖

(أنا لست مجنونة) تمتمت (تارا) وهى تقف أمام (سيلين) التى أطاحت بكل شىء أمامها هاتفة فى غضب: كيف سمحت لنفسك أن تفعلى هذا؟

صاحت (تارا) فى غضب: لم أفعل شيئًا خاطئًا.. ما فعلته كان من أجلك، لن أتركك تدمرين نفسك وأقف مكتوفة الأيدى، أنتِ لست مجرد ابنة خالتى.. أنتِ أختى وصديقتى الوحيدة.

هتفت فى غضب هادر: لقد خنت صديقتك الوحيدة وأفشيت سرها لغريب.

قالت (تارا) فى سرعة : ماحدث ليس سرًا كله ولقد حافظت على سرك حتى إن (رامى) نفسه لا يعلم إلا الجزء الذى يعرفه الجميع..ولم ولن أخبر أحدا بما حدث.. يجب أن تثقى بى.

صاحت فى ثورة: ماعدت أستطيع الوثوق بأحد.

اقتربت منها (تارا) فدفعتها (سيلين) بعيدًا واتجهت نحو الباب حاملة حقيبة كبيرة، ولكن (تارا) لحقت بها وهى تقول فى توسل: لا.. لا ترحلى أرجوكِ أعدك ألا أغضبك ثانية.. أرجوكِ ثم انهارت باكية.

❖ ❖ ❖

خطى (مصطفى) إلى غرفة (يوسف) فى حين استيقظت الجدة التى راحت تتفقد (يوسف) فى اهتمام : الحمد لله حبيبى.. لقد

تحسنت كثيرًا.

قال في دهشة: لمَ تحمدين إلهك؟.. لم أتحسن بسببه.

هتفت الجدة في انزعاج: لا تقل هذا حبيبي.. لاشيء يتم إلا بأمره ولا شفاء إلا بإذنه.

صاح في حدة: ولمَ يتركنا نمرض إذًا؟... ولمَ خلق إلهكم الشر والمرض والنفوس الشريرة؟ ولمَ خلق الأمراض المميتة مثل السرطان وتركها تنهش في أجساد الناس ولا ترحم طفلًا ولا شيخًا ولا امرأه ولا رجلًا؟.. لو كان رحيمًا لما خلقها؟ لمَ خلق أناسًا كي يعذبهم؟..أجيبيني.. أجبني أنت (مصطفى).

وقف(مصطفى) حائرًا لحظات ثم قال: لا إجابة لديّ ولكني سأسأل وأجيبك عندما أعود من المدرسة.. أستأذن فقد تأخرت.

خرج من الغرفة مسرعًا فاصطدم بـ (سارة) التي تفرست في ملامحه وهي تقول في شك: ماذا هناك؟

أجابها بارتباك: لاشئ.

همست في قلق : تبدو تائها !! تابعت في حزم: لقد اتفقنا أن أتركك تتعامل معه لسببين أولهما أنني أثق برجاحة عقلك وثانيهما أنك وعدتني أن تخبرني كل مايدور بينكما.

قال في استسلام: لقد سألنا لماذا خلق الله الشر والمرض إذا كان هو رحمن رحيم كما نقول؟

قالت في لهجة حاولت أن تجعلها هادئة: وبماذا أجبته؟

هز كتفيه فى حيرة : ليس لدى إجابة سأسأل مدرس التربية الدينية وأرد عليه عندما أعود.

قبلته وهى تقول فى توتر: حسنًا حبيبى.. اذهب الآن كى لا تتأخر، ولا تشغل نفسك بتلك الترهات التى يرددها كرة الثلج.

منحها (مصطفى) قبلة سريعة على خدها وهو ينصرف مسرعا.

تابعته ببصرها حتى انصرف ثم انقضت على غرفة (يوسف).

❖ ❖ ❖

تطلعت إلى (تارا) التى جلست فى انهيار ثم جلست بجوارها وهى تبكى قائلة من بين دموعها: كفى.

ألقت بنفسها بين ذراعيها وهى تبكى بحرقة : أنا أحبك (سيلين) وأخشى عليكِ... أريد أن أراكِ سعيدة أريد أن أرى ابتسامتك التى كانت تنير وجهك دائمًا... أنا آسفة إن أغضبتك.. لن أكررها ثانية.... سامحينى أرجوك....

احتضنتها (سيلين) فى حنان وانهمرت دموعها الصامتة لتغرق رأس (تارا)، وراحت ذكرياتها الحزينة تهوى أمام عينيها،من خلف سحابة الدموع،التى صنعت ساترًا ضبابيًا، أمام مقلتيها الشاخصتين إلى الماضى البعيد..عبرت حدقتيها حاجز الزمن لتخترق حجبه وتنفذ إلى سنواتٍ مضت وهى ترى نفسها تخطو أولى خطواتها داخل الجامعة الأمريكية .. كانت سعيدة للغاية فقد حققت حلم أمها رحمها الله ودخلت الكلية التى كانت هى

أيضًا تتمناها، كان هذا اليوم هو أسعد أيام حياتها فقد أوصلها (بابا نويل) إلى باب الكلية.

دخلت إلى المدرج لتلتقى بـ (تامر) كان شابًا مدللًا أبغضته من أول وهلة.. ولكنه افتتن بجمالها الخلاب وملامحها الدقيقة وقدها الرشيق وقوامها المتناسق وجعلها هدفًا له منذ اللحظة الأولى.

حاول أن يتقرب لها مستغلًا فى ذلك نفوذ والده وخدمات لا تُعد ولا تُحصى، ولكن الصد والرفض كانا دائمًا الجواب الوحيد، مما أثار جنونه، وأوغر صدره، حتى كانت الطامة الكبرى حين صفعته على وجهه صفعة، دوى صوتها فى جنبات المدرج وأجبرت الجميع على الالتفات ومتابعة هذا الحدث المزلزل.

تلفت (تامر) حوله وهو يتابع العيون التى حدقت به إثر صفعتها له.. التفت نحوها وقد بدت عيناه ككرتى نار وهو ينفث غضبه فى وجهها قائلًا بصوت كالفحيح: من تظنين نفسك أيتها الحمقاء لترفعي يدك عليّ؟

شعرت بالخوف داخلها ولكنها تماسكت وهى تجيب فى برود: أنا أعرف قيمة نفسى جيدًا ولكن أنت أيها التافه من يظن نفسه شيئًا.

استعرت نيران الغضب فيه وهو يمسك بذراعها قائلًا فى غضب: سأجعلك تركعين تحت قدمى التافه تتوسلين عفوه وتطلبين منه الرحمة.

جذبت ذراعها من يده فى قوة لتهوى يدها الأخرى على وجهه

بصفعة ثانية قبل أن تهتف فى غضب: لا تتجرأ وتمسك بيدى ثانية أيها الحيوان التافه.

انقض عليها ليضربها ولكن يدًا فولاذية أوقفته فى منتصف الطريق تطلع إلى تلك النار الزرقاء التى اشتعلت داخل هاتين العينين الزرقاوين و إلى ذلك الشاب الذى بدا على قسماته غضب مرعب قبل أن ينطق بكلمات كالرصاص: حذار أن تقترب منها أيها الحقير، ثم ألقى به على طول ذراعه.

تطلعت إليه فى سعادة وهى تقول: دائمًا تأتى فى الوقت المناسب.

ابتسم لها وهو يمد يده ليصطحبها قبل أن يجذبه (تامر) من ظهره و يهوى عليه بلكمة قوية، تلقاها دون أن يظهر أى ألم، ثم عاد يلتفت إلى (تامر)، و يهوى على فكه بلكمة كالقنبلة،تبعها بأخر يات حتى سقط (تامر) على قدميه طالبًا الرحمة،وسط فرحة الطلاب وتشفيهم فيه ،واقتادها كملكة منتصرة.

❖ ❖ ❖

كقطار خرج عن مساره اقتحمت الغرفة وهى تقبض على عنق (يوسف) قائلة فى قوة: لقد نسيت أن تسأل (مصطفى) لماذا خلق الله أمثالك من التافهين؟

سعل فى قوة فى حين جذبتها الجدة فى سرعة وهى تهتف فى حدة: هل جننت؟.. ماذا تفعلين؟

انتفضت فى غضب : لقد حذرتك أيها الوغد من الاقتراب من إخوتى.. وألا تسمم لهم عقولهم.

هتف (يوسف) فى انفعال: أيتها المجنونة كدت تقتليننى.

قالت فى سرعة: إذًا حاذر من المجانين.. فإذا قتلك أحدهم فلن يحاسبه أحد.

سعل فى قوة : حقًا صدق (نيوتن) (بإمكاني حساب حركة الأجرام السماوية، ولكن ليس جنون البشر.)

قالت فى شراسة: ولن يمكنك توقع ما سأفعله إن أعدت الكرة.

تطلع إليها لحظة ثم قال اهتمام: كنتِ ستقتليننى من أجل إخوتك؟!!

أجابته فى إصرار: نعم وعليك أن تبتعد عنهم إن أردت أن تحتفظ برأسك فوق جسدك. قالتها وهى توليه ظهرها لتهم بالمغادرة فاستوقفها قائلًا فى صرامة: انتظرى.

توقفت على الفور دون أن تلتفت إليه فتابع فى هدوء: لن أقترب من إخوتك ولن أسأل أى منهم عن أى شيء مما يجول بخاطرى بشرط...

التفتت إليه فى برود: لا أحد يملى على شروطه.

قال فى برود مماثل: حسنًا... هذا حقك ولكنى فى هذه الحالة سأسألهم كما أشاء.

همست فى تردد: ماذا تريد؟

رد فى ظفر: تجيبينى أنتِ على كل أسئلتى.. لن أسأل إخوتك ولكنى فى المقابل لن أسأل أحدًا غيرك.

علقَّـت الجدة فى سرعة: هذا اتفاق جيد.

أومأت برأسها إيجابًا : أوافق ولكن بشرط.. أن تلتزم بالحياد العلمى وتعترف بالحقيقة متى حصلت عليها.

همس فى مكر: أوافق.

قالت وقد بدأت تهدأ: وأنا سأجيبك على سؤالك أنت تسأل لماذا يترك الله الظالم يظلم والقاتل يقتل؟ ولماذا لم يخلقنا كلنا أخيارًا؟ ولماذا خلق الله المرض وغيرذلك أليس هذا هو سؤالك؟؟

هز رأسه موافقًا فتابعت : لقد قرأت إجابة سؤالك فى كتاب للدكتور(مصطفى محمود) كان يقول (لأن الله أرادنا أحرارًا.. والحرية اقتضت الخطأ ولا معنى للحرية دون أن يكون لنا حق التجربة والخطأ والصواب.. والاختيار الحر بين المعصية والطاعة.

وكان في قدرة الله أن يجعلنا جميعا أخيارا،وذلك بأن يقهرنا على الطاعة قهرًا وكان ذلك يقتضي أن يسلبنا حرية الاختيار.

وفي دستور الله وسنته أن الحرية مع الألم أكرم للإنسان من العبودية مع السعادة، ولهذا تركنا نخطئ ونتألم ونتعلم وهذه هى الحكمة فى سماحة البشر.

ومع ذلك فإن النظر المنصف المحايد، سوف يكشف لنا أن الخير في الوجود هو القاعدة،وأن الشر هو الاستثناء.. فالصحة هى القاعدة والمرض استثناء، ونحن نقضي معظم سنوات عمرنا في صحة ولا يزورنا المرض إلا أياما قليلة.. وبالمثل: الزلازل هى فى مجملها بضع دقائق فى عمر الكرة الأرضية،الذي يحصى بملايين

السنين وكذلك البراكين، وكذلك الحروب هي تشنجات قصيرة في حياة الأمم بين فترات سلام طويلة ممتدة،ثم إننا نرى لكل شيء وجه خير فالمرض يخلف وقاية والألم يربي الصلابة، وقوة التحمل والزلازل تنفس عن الضغط المكبوت فى داخل الكرة الأرضية، وتحمى القشرة الأرضية من الانفجار، وتعيد الجبال إلى أماكنها كأحزمة وثقالات تثبت القشرة الأرضية فى مكانها؛ والبراكين تنفث المعادن والثروات الخبيئة الباطنة وتكسو الأرض بتربة بركانية خصبة.. وأعظم الاختراعات خرجت أثناء الحروب... البنسلين والذرة.. الصواريخ..و الطائرات النفاثة كلها خرجت من آتون الحروب.

ومن سم الثعبان يخرج الترياق... ومن الميكروب نصنع اللقاح.

ولو أن أجدادنا ما ماتوا لما كنا الآن فى مناصبنا.. والشر فى الكون كالظل فى الصورة إذا اقتربت منه خّيل إليك أنه عيب ونقص فى الصورة ولكن إذا ابتعدت ونظرت إلى الصورة ككل نظرة شاملة اكتشفت أنه ضرورى، ولا غنى عنه وأنه يؤدى وظيفة جمالية فى البناء العام للصورة.

قال (يوسف) فى صدق: كلام يستحق الدراسة.

نهضت من مكانها قائلة : حسنًا هل هناك أسئلة أخرى؟

أجابها فى غموض : هناك الكثير.

قالت فى سرعة : يمكنك تأجيلها إلى الغد فلدىّ الآن الكثير من العمل وانتظر حتى أتم قراءة الكتاب..

عاد (مصطفى) فرحًا بحصوله على الإجابة من مدرس التربية الدينية، ذهب ليخبر (يوسف) ولكنه أخبره أنه حصل على الإجابة من (سارة) وأنه وعدها أن لا يتحدث معه فى شىء كهذا ثانية.

شعر بالضيق للحظات ولكنه تذكر كلام (مدرسه)، عن ضرورة ابتعاده عن هذه المسائل الكلامية التى قد تؤدى به إلى الإلحاد،هو الآخر،أو تشتته عن دراسته،وأبدى تقبله وتفهمه للأمر وانصرف.

توالت الجلسات الفكرية بين(يوسف) و (سارة) التى كانت تجيب على أسئلته فيها بصبر و إذا عجزت اتصلت بذلك الدكتور الأزهرى الذى رد على (يوسف) بنفسه أكثر من مرة وشرح له الكثير من الأمور بطريقه سلسة وسهلة وأعجب به (يوسف) لدماثة خلقه وعلمه وتواضعه.

ولقد أهدته (سارة) الكتاب حتى تريح نفسها من عناء هذه المناقشات.

ولكنه رفض أخذ الكتاب ؛معللا ذلك بأنه لن يستطيع أن يفهمه وحده إذ أن لها من الخلفية الدينية ما يعينها على فهمه.

وقبلت هى الأمر على مضض فقد كانت حواراتها معه ترهقها بشدة و إن كانت لا تنكر أنها قد استفادت حقًا من تلك الحوارات وأنها قد عرفت الكثير، مما كانت تجهله وأن نظرتها قد تغيرت للكثير من الأمور.

أصبح هو أيضًا يجد الكثير من المتعة فى تلك اللقاءات الفكرية المتعددة بينهما، يشعر بأنه قد عاد للحياة مرة أخرى..

مرحها وصخبها وحيوية أحاديثها تجعله يشعر أنه لازال على قيد الحياة، بات يجد متعة فى استفزازها تبدو وقتها كطفلة مشاكسة بتلك الحركات الطفولية، التى تفعلها عندما يسخر من كلامها، ولكنها تبدو فى الفترة الأخيرة على غير عادتها منذ سفر (أحمد) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ،حيث أوفدته القناة التى يعمل بها إلى دورة تدريبية هناك.. كانت تشعر بالخواء، تشعر بالوحدة هى بدون (أحمد) تشعر أنها وحيدة فهو توأم روحها وصديقها وكاتم أسرارها.. الكل كان يعلم أنها لا تحتمل فراقه ،ولم يدر هو لم اشتعلت أحشاؤه و(جدته) تخبره بسبب فتورها.

❖ ❖ ❖

استلقت (سيلين) على فراشها وضمت إلى صدرها ألبومًا قديمًا يحمل لمساتٍ طفولية، تحسسته فى شوق وتصاعد داخلها الحنين لمن أهداها إياه، كان ذلك الألبوم أول هدية تفوق حصلت عليها.. أهداه إليها (بابا نويل) يوم حصولها على الشهادة الابتدائية يومها قررت ألا يضم هذا الألبوم بين جنباته سوى صورهما وحدهما، مدت يدًا مرتجفة تفتح الألبوم لتطالعها صورهما فى مراحل عمرهما المختلفة، تنقلت بين صفحات الألبوم وكأنما تتجول بين سنوات عمرها الضائعة بدونه حتى حطت رحالها فى تلك اللحظة، التى سجلتها بكاميرتها الصغيرة له وخلفه يقف هذا المبنى الضخم الذى حمل اسم الجامعة، تلك الصورة التى التقطتها له حينما خرج

بها من مبنى الجامعة بعد أن لقن ذلك المدعو (تامر) درسًا لم ينسه، تنهدت فى أسى تحاول الفكاك من تلك الذكريات ولكن الذكريات شىء فوق الإرادة، فوق القلب وفوق المشاعر لهذا هى لا تنسى.

❖ ❖ ❖

النبضة السادسة

أغلقت (سارة) عينيها فى قوة وهى تزفر، فى ضيق، كانت قد انتهت للتو من حوار ساخن مع جدتها.. عادت جدتها للحديث مرة أخرى عن ضرورة ارتباطها ولكن هذه المرة ليس مجرد كلام بل اتبعته بتحديد موعدٍ لعريس منتظر، سيأتى فى تمام السادسة.. عبثًا حاولت اقناع جدتها أنها لاًّ ترفض فكرة الزواج ولكنها ترغب فى الاطمئنان على إخوتها أولًا، وعدم تركهم بمفردهم ولكن الجدة أصدرت إحدى قراراتها الصارمة ،فلم تملك هى إلا الامتثال لأمر جدتها.. ولكن أكثر ما أثار حفيظتها هو إصرار جدتها على حضور (يوسف)،ذلك الموعد ولكنها عادت تصبر نفسها بأن كرة الثلج نفسه لن يوافق أن ينفق جزءًا من وقته فى أمر كهذا.

❖ ❖ ❖

جلس فى مكانه عدة دقائق بعد انصراف الجدة..كان يشعر بمشاعر متناقضة فهو يجد نفسه مدهوشًا من طريقة الارتباط ذاتها، إذ كيف يفكر رجل بالارتباط بفتاة لم يرها من قبل؟!! أيضًا كان يشعر بضيق لا مبرر له.. كان يشعر بشعور شخص يفقد شيئًا ثمينًا.

أطل من نافذة غرفته على تلك الحديقة الصغيرة أمامه ليجدها جالسة على الأرض،تستند إلى جذع تلك الشجرة الصغيرة وهى تحدق أمامها فى شرود.

ظل واقفًا يراقبها لحظات قبل أن يخرج من غرفته ويتجه نحوها، اقترب منها فى هدوء ، هاله تلك الدموع اللؤلؤية التى انسابت على وجنتيها فى صمت.

ما إن شعرت به حتى رفعت يدها فى سرعة تمسح حبات اللؤلؤ من وجهها قبل أن ترفع رأسها لترى من يقتحم عزلتها.

تطلعت إليه فى دهشة وهى تقول: ماذا تفعل هنا؟

همس فى توتر : لمَ تبكين؟

أجابته وهى تشيح بوجهها: هذا ليس من شأنك.

تطلع اليها لحظة فى صمت قبل أن يقول فى برود: حسنًا كونى على راحتك.. أعتذر لأننى قاطعت بكاءك.. استمرى فى البكاء.

قالت فى برود: التافهون فقط هم من يتدخلون فيما لايعنيهم.

قال فى سخرية: أنتِ تحفظين كلامى جيدا وترددينه بشكل ممتاز..هذا يعنى أننى معلم جيد.

رمته بنظرة باردة : كف عن تمجيد نفسك.. سيقتلك الغرور يومًا ما.

غمغم فى ألم: لا يمكن قتل الميت مرة أخرى.

تحولت نظرتها الباردة إلى دهشة وهى تسأل فى حذر: ما الذى يدعوك لقول هذا؟

تجاهل سؤالها وهو يستطرد: استمرى فى رثاء نفسك فلن يرثى لحالك أحد.. دعى عنك حجج العجزة والفاشلين وارفضى ذلك

الغريب ما دمتِ لاتريدين الزواج به.

أحنقها تجاهله لسؤالها فقالت فى برود: ومن قال لك إننى لا أريده؟

قال فى تهكم: حقًا.. ماذا كنتِ تفعلين الآن؟ تقومين بإجراء تجربة لتعرفى كيف يبدو مظهرك وأنت باكية.

أجابت فى شرود: فقط تذكرت أبى وشعرت أنى يتيمة من جديد.

لم يدر لم آلمه كلامها ، تحرك نحوها ولكن تلك الأجراس عادت تدق حوله منذرة إياه بالخطر فعاد يتراجع فى سرعة،وهو يقول فى تردد: لست وحدك على أية حال.. إن احتجت شىء فأنا فى الجوار.

تطلعت إليه فى ذهول : ماذا.. ماذا تقول؟

أسرع يغادر وكأن شياطين الأرض تطارده.

حدقت فى أثره لحظة ثم هزت رأسها وهى تبتسم ابتسامة خفيفة: يبدو أننا فى زمن العجائب حقا.

❖ ❖ ❖

استقبلت الجدة ذلك العريس الوسيم الذى أتى برفقة والدته.. صافحه (مصطفى) فى رجوله وهو يقوده إلى الصالون.

راقبته (رنا) من أعلى السلم ثم عادت ركضًا إلى حجرة (سارة) وهى تهتف: إنه وسيم للغاية.. اسمعى سأجلس معك حتى إذا

رفضتيه حصلت أنا عليه.

قالت (سارة) فى سرعة: يمكنك النزول بدلًا منى ولكن عليك مواجهة كرة الثلج.

أجابتها فى مرح: أتعلمين كرة الثلج هذا ليس سيئًا إلى هذا الحد.. إنه وسيم للغاية، جذاب جدا وذو شخصية مبهرة ومستقبل علمى مبشر لولا أنه ملحد ولولا أنه كتلة من البرود تسبب جفافًا للمشاعر بل يجعلها تتجمد.

قالت (سارة) فى مرح مماثل: أيعنى هذا أنك قد تقبلين بمثله زوجًا لك؟.

صاحت (رنا): كلا بالطبع.. أنا أريد زوجًا حانيًا، مرحًا، محبًا للحياة استمتع معه بحياتى لا رجلًا معقدًا يصب علىّ عقده.. كرة الثلج هذا بالنسبة لى،حالة تستحق الدراسة.. أتعلمين أحيانا أتصوره يخفى تحت طبقة الجليد هذه كتلة من المشاعر الملتهبة؟ أم أننى أشطح بخيالى لأصنع منه حالة نموذجية للمعقدين نفسيا؟

شردت (سارة) ببصرها لحظة وهى تتذكر حوارهما فى الحديقة وعرضه لمساعدتها.

أفاقت من شرودها على يد (رنا) التى تحركها أمام وجهها وهى تقول: أين ذهبت؟

تمتمت فى توتر : لا شىء..أريد أن أنتهى من هذا الموقف.

شدت (رنا) قامتها فى اعتداد قائلةً فى زهو: أنا سأساعدك.

ثم مدت يدها إلى (سارة) لتقبلها التى ردت على يدها الممدودة بضربة خفيفة جعلتها تجرى خارج الغرفة.

❖ ❖ ❖

طرقت الجدة على باب حجرة (يوسف) وأطلت من عينيها نظرة محبطة وهى تراه لازال بثيابه المنزلية، فهتفت فى سرعة وهى تنصرف: لقد حضر العريس.

زفر فى شىء من الضيق وهو يرتدى ثيابه.. اصطدمت يده بكتابها الذى أعطته إياه.. مس الكتاب لحظة ثم عاد يطلق زفرات حارة، حملت معها مشاعره المختلطة.

عاد الطرق يرتفع من جديد على باب غرفته، فتح الباب ليندفع (إسلام) نحوه وهو يلقى بنفسه بين ذراعيه وينفجر باكيا.

تطلع إلى الصغير فى ذهول وامتدت يده لا إراديًا تربت على ظهره ، وهو يقول فى قلق: ماذا هناك؟

أجابه وهو يبكى فى انهيار: (سارة) سوف تتركنى وتتزوج من رجل يأخذها منى.

لم يدر لمَ حركت تلك الكلمات شيئًا داخله.

صرف عن نفسه ما به وهو يسأله فى هدوء: وماذا فى هذا؟ .. أنت رجل ويمكنك الاعتماد على نفسك كما أن جدتك موجودة.

صرخ الصغير من بين دموعه: أنا لست رجلًا..أنا أحب(سارة) كثيرًا إن (سارة) هى أمى.. هى التى تهتم بكل ما يخصنى.. كيف

يأتى رجل غريب ليأخذها منى و يحرمنى منها و يجعلنى يتيمًا مرة أخرى؟.

شعر بالألم لأجله فوقف فى اعتداد قائلا: اطمئن لن يحدث هذا.

هتف (إسلام) فى أمل: هل ستمنع هذا الرجل من أن يأخذها؟

هز رأسه فى ثقة، فابتسم (إسلام) فى سعادة، وهو يقفز هاتفًا: شكرا .. أنت حقًا صديق رائع.

❖ ❖ ❖

خطا (يوسف) إلى داخل الصالون فى ثقة..أسرعت الجدة تستقبله فى حفاوةٍ بالغة وهى تقدمه إلى ضيوفها، أجال بصره فى الجالسين ببطء حتى استقرت عيناه على وجه العريس.. ألقى عليه نظرة تقيمية ، كان شابًا فى أواخر العشرينيات من عمره.. تشع عيناه بذكاء حاد.. وسيم إلى حدٍ ما.

جلس دون أن يصافح أحدًا وهو يضع ساقًا فوق الأخرى فى برود، ساد الصمت لحظات غاب فيها (مصطفى) ثم عاد تتبعه (سارة) تمشى على استحياء.

تابعها الجميع ببصرهم وهى تدخل الصالون ، تأملها (يوسف) لحظات كانت تبدو أنيقة ببساطة فستانها.. مختلفة بحجابها المصنوع من قماش الساتان المنقوش ، فاتنة بحيائها وتلك الرقة التى تخطو بها ، بدت جميلة للغاية.. لم يرها هكذا من قبل ، لم يعتد عليها هكذا كأنما زادها الحياء فتنة وجمالا.. كان كل ما يراه منها هو تلك المشاكسة العنيدة القوية الحامية لأسرتها.. لكن تلك

الفتاة الحيية الرقيقة هى بالنسبة له اكتشاف.

تعلقت عيناه بها للحظات.. رفعت فيها وجهها لتنظر إلى من فى الحجرة.. ولكن عينيها اصطدمت بعينيه التى أسرت عينيها فى قوة وحبستهما داخل مقلتيه فلم تر فى الحجرة سواه.

حررت عينيها من أسر عينيه وهى تتجه إلى والدة العريس وتصافحها فى أدب ثم حيت العريس من بعيد فى لباقة قبل أن تجلس فى حياء.

استرق العريس النظر إليها وظهر الإعجاب فى عينيه واضحا .. شعر (يوسف) بضيق لا مبرر له، وبكتلة من اللهب تطوف بقلبه فتتساقط كتل الجليد داخله تمزق أحشاءه.

قال (مصطفى) فى رجولة: لم تخبرنا بعد سيد (حسام) بمهنتك.

حسام فى سرعة : أنا طبيب مخ وأعصاب.

قالت الجدة فى ترحاب: تشرفنا.

وجه (حسام) حديثه إلى (سارة) : أنتِ فى السنة النهائية بكلية الهندسة صحيح آنسة (سارة)؟

هزت رأسها موافقة دون أن تجيب.

تابع (حسام)فى اهتمام: لم اخترت كلية الهندسة؟

أجابت فى هدوء: أنا أحب مجال الهندسة جدًا.. كما أننى أعشق برمجة الكمبيوتر منذ صغرى و كانت إحدى أمنيات أبى رحمه الله.

قال (حسام) فى إجلال: رحمه الله.. صمت لحظة ثم استطرد: أنا أيضًا أعشق مجال الهندسة كثيرًا،وكانت حلمى منذ صغرى يبدو أننا نتفق فى اهتمامتنا العلمية.

تدخل (يوسف) فى الحوار قائلًا فى برود: ولمَ دخلت مجال الطب، طالما كانت الهندسة حلمك وأنت صغير؟

أجابه فى سرعة : كان هذا حلم والدى رحمه الله.

قال فى استنكار : تنازلت عن حلمك لتحقق حلم غيرك!! (مارى كورى) كانت تقول (في العلم يجب أن نكون مهتمين بالأشياء وليس بالأشخاص).

توترت عضلات وجه (حسام) وهو يُوجه سؤاله إليه: وماذا تعمل أنت سيد..صمت لحظة ليترك لـ (يوسف) الفرصة ليخبره باسمه.

تجاهل (يوسف) محاولته لمعرفة اسمه وهو يجيب : أحب العلم بكل صوره،ولكنى متخصص فى مجال البرمجة ..

قال (حسام) وهو ينظر إليها : مثل الآنسة (سارة).. لاعجب فأنتما أبناء عم.

نظر إلى (سارة)التى أطرقت فى خجل، وكأنه ينتبه لأول مرة أنهما مشتركان فى نفس التخصص العلمى وتركزت عيناه على نظرة (حسام) لها ومرة ثانية شعر بكتلة النار التى طافت بقلبه وألهبت شيئا داخله لايدرى ماهو أو ماذا يسمى؟!، فقط يشعر بشىء ينهش فى أعماقه كوحش ضارى إلا أنه حافظ على بروده الظاهرى وهو يعود ببصره إلى العريس : أخبرنى لم ترتبط بتلك الطريقة؟

قال (حسام) في استفسار: أية طريقة؟

أجاب في برود : شابٌّ مثلك له مستوى علمي جيد وعمل جيد أيضا وتبدو ذا بنية جيدة وشكل مقبول،ثم تقدم على الارتباط بفتاة لا تعرفها وتترك خطوة مصيرية ومحورية كهذه فى حياتك يخطوها لك غيرك ولو كانت السيدة والدتك.

قالت الجدة فى حرج : معذرة إن حفيدى عاش عمره كله فى أمريكا.. لذا لا يعرف شيئا عن عاداتنا.

هزت الأم رأسها بتفهم فى حين قال (حسام) فى ارتياح: حسنًا دعنى أخبرك أن كثيرا من الزيجات التى تتم بعد علاقات الحب وعلاقات ما قبل الزواج تفشل غالبا.. فى حين أن الزيجة التى يباركها الأهل وتتم باختيار العائلة بعد حدوث القبول والارتياح بين العروسين تكون من أنجح الزيجات ؛ لأنك فى النهاية لا ترتبط بشخص بمفرده إنما ترتبط بعائلة وكلما زاد التوافق العائلى كلما ساعد ذلك على نجاح الزواج... فأنت بعد فترة من الزواج لاترى ملامح فى شريك الحياة بقدر ما تري طباعه وتؤثر فيك أخلاقه، وترتاح إلى أصالة معدنه وكمال أخلاقه، وهو مايبقى العلاقة الأقوى والأعمق من الحب، والتى وصفها القرآن بقوله (وجعلنا بينكم مودة ورحمة).

تطلعت (سارة) إلى (حسام) فى إعجاب وقد راقها حديثه ، حانت منها التفاتة إلى (يوسف) لتجده يسدد لها نظرة حانقة لم تفهم لها سببا.. عادت تشيح بوجهها إلى حيث يجلس (حسام)..

شعر هو بالنار تسرى داخله ولكنه احتمى بغلافه الجليدى ولاذ بالصمت وهو يتابع ذلك الحوار الدائر بينهم، كان يتمزق داخليا وهو يراه يتحدث معها فى ود.. كان يدور فى دوامة مشاعر متصارعة لم يعتد عليها.. مشاعر يحس بها لأول مرة فى عمره.. تلك النار التى تشتعل فى أعماقه ويتصاعد دخانها أمام عينيه،ليحيط بعقله فيحجب عنه التفكير السليم.. هذا شعور لم يمر به من قبل ولا يعرف له اسما.. إحساسه بأنه على وشك أن يفقد شيئا ثمينا وهو الذى لم يهتم بشىء من قبل فى حياته ولم يكن يعنيه شخص من قبل.. يشعر بمشاعر بدائية تتملكه بل وتسيطر عليه.

نفض عن نفسه ما يشعر به.. وتسلح ببروده وراح يستمع إلى عقله فقط وهو يقاتل ليخمد تلك النار التى لايعرف لها سببا.

أفاق من صراعه الداخلى على ضحكة (حسام) العالية وهو يقول: أنت رائعه آنسة (سارة)..

انتبه إلى تلك النظرة التى أطلت من عينى (حسام) تحمل إعجابًا واضحًا.. بينما كست حمرة الخجل وجهها فزادتها فتنة وجمالًا.. ومرة أخرى انطلق ذلك الوحش الضارى ينهش داخله ويلتهم أحشاءه وسيطرت عليه تلك العاصفة الدخانية فقال فى غضب مغلف بالبرود وهو ينظر إلى ساعته: لقد وافقت على أن أمنحكم ساعة من وقتى والوقت الممنوح لكم قد انتهى فلدىّ عمل كثير.

شعر الجميع بالحرج فقال (حسام) فى ارتباك : نأسف على أننا قد أخذنا من وقتك الكثير و..

قاطعته (أمه) فى استياء : ائذنوا لنا بالانصراف.

قالت الجدة فى سرعة: صحيح أن حفيدى مشغول ولكننا لسنا كذلك.

تمتمت الأم فى حرج: معذرة سيدة (كريمة).. لقد تأخرنا نحن أيضا.

قال (حسام) فى سرعة: سوف نأتى ثانية ونجلس وقتًا أطول فى المرة القادمة.. صمت لحظة وهو يرنو ببصره إلى (سارة) قبل أن يتابع : هذا إذا رغبت الآنسة (سارة) فى ذلك.

كادت تذوب من الخجل وهى تستأذن بالانصراف بعد أن صافحت والدته التى احتضنتها فى ود وتابعها (حسام) ببصره فى إعجاب قبل أن يصافح (مصطفى) وينصرف.

❖ ❖ ❖

عاد إلى غرفته ليغلق بابه عليه.. كان يريد أن ينفرد بنفسه.. عليه أن يفهم ماحدث له.. ما الذى كان يشتعل فى أعماقه الباردة..لم كان يغلى بهذا الشكل؟! مالذى دفعه إلى ذلك؟!

ارتفعت تلك الطرقات على باب حجرته لم يكن يرغب أن يرى أحدًا أو يتحدث مع أحد.

ولكن الجدة أصرت على اقتحام عزلته وهى تخطو إلى داخل الحجرة ، ألقت عليه نظرة متفحصة قبل أن تجلس بجواره قائلةً فى حنان: لم فعلت ذلك؟

أجابها فى برود: لقد وافقت على منحهم ساعة من وقتى والوقت الممنوح لهم قد انتهى.

همست فى حذر: وماذا قررت بشأن زواجها؟

قال وقد أدرك محاولتها : هذا شىء لا يعنينى.. هى نفسها لا تعنينى.

قالت الجدة فى إحباط: كنا نريد أن نقرر أمر زواجها بموافقتك.. ولكن طالما أن الأمر برمته لا يعنيك فهذا معناه أننا سوف نقرر وحدنا ونرسل بالرد إلى العريس الذى غالبًا ما أرى أنه سيكون بالقبول.

صاح فى استنكار : هل جننتم كيف تقبل برجلٍ لم تره إلا مرة واحدة ولا تعرفه؟.. ماهذا التخلف؟

أجابته فى حذر: إن الأمر يبدأ بالقبول ثم تكون مرحلة الخطبة التى يتعرفا فيها على بعضهما بشكل أفضل.. فإذا وثقا ببعضهما وتبلورت مشاعرهما تم الزواج.

قال فى تردد: وهل وافقت؟

قالت فى مكر: جئت أستطلع رأيك أولا.

أشاح بوجهه وهو يقول فى غضب بارد: والعريس أليس من حقه أن يقرر؟

أجابته بنفس اللهجة الماكرة: لقد أعجب بها لدرجة أنه لم يستطع أن يرفع عينيه عنها..وقد أعطانى رده وهو فى انتظار ردنا نحن.

قال وهو يهرب بعينيه من نظرات جدته الثاقبة: إسأليها.

ولت على عقبيها وهى تقول فى خيبة أمل: يبدو أنها ستوافق فقد بدت مرتاحة لوجوده..والحقيقة أنه شاب مميز ورائع من الصعب رفضه وأرى أنهما مناسبين لبعضهما.

استعرت تلك النار مرة أخرى فى أعماقه فقذف بذلك الكتاب أرضًا فى محاولة منه لتسكين شحنة الغضب التى لايعرف لها مصدرًا.

❖ ❖ ❖

تناهى إليها صوت خالتها الغاضبة من انعزالها فى حجرتها منذ ما يزيد على الخمسة أيام، أرادت أن تخرج إليها وتطمئنها أنها ليست وحدها فهو رفيقها فى صحوها ومنامها وأنها تقضى أفضل أوقاتها باجترار ذكرياتها معه حتى تلك اللحظات التى غضب منها لأنها لم تخبره بأمر (تامر) منذ البداية ، كان غضبه الشديد منبعه خوفه عليها وقلقه المتزايد خاصة بعد تلك المعلومات التى جمعها عن (تامر) والتى عرف من خلالها مدى نفوذ والده فى الداخل والخارج، وما سمعه عن أعماله الغير مشروعة وفساده، وما وصل إليه عن (تامر) نفسه وكيف أنه فاسد الأخلاق، منعدم التربية، فهو وحيد والده ومدللـه، أكل من الحرام وشب عليه ، ولقد عاينه بنفسه وكان رأيه فيه، أنه يتسم بالجبن والخسة و إذا اجتمعت هذه الصفات فى شخص لديه نفوذ فإنه يتحول إلى ثعبان قاتل، وأدركت فيما بعد كم كان رأيه صائبا .

❖ ❖ ❖

هتفت (رنا) فى لهفة: هيا قصى على ما حدث بالتفصيل.

قالت (سارة) فى مكر: لمَ؟ ألم تكونى تراقبين المشهد بالكامل من غرفة جدتى؟

قالت (رنا) فى إحباط: إذًا ما رأيك؟

أجابتها فى حيرة: لست أدرى.. لم أستطع أن أكون رأيا.. عموما سأصلى صلاة الاستخارة.

بدا التساؤل على وجه صديقتها فتابعت فى هدوء : إنها صلاة قرأت عنها فى أحد الكتب وأنا أبحث عن ردود على كلام كرة الثلج.. أتعلمين لقد أفادنى كرة الثلج كثيرا.. جعلنى أعرف أشياء لم أكن سأعرفها فى عمرى بأكمله.

قالت فى استياء: وكاد أن يفسد الأمر ببروده وعنجهيته.

تمتمت (سارة) وهى تتذكر نظرته الحانقة لها: بدا اليوم مختلفا..

صاحت (رنا) فى سخط: مختلفًا من أى زاوية.. لقد كان كتلة من البرود والصفاقة وأحرج الشاب الوسيم، صمتت لحظة ثم استطردت فى حماسة: سأنصرف الآن فلدىّ موعد غدًا فى الكلية مع الدكتور (عاشور)، لا تتوقفى عن الدعاء لى، بأن يوافق على الإشراف على بحثى.

غمزتها (سارة) قائلة : يبدو أن كرة الثلج كان له تأثير إيجابى عليك.

قالت فى مرح: من سم الثعبان نحصل على الترياق أحيانا.

ثم قبلتها وانصرفت.

❖ ❖ ❖

أرخى الليل سدوله وخلد الجميع إلى النوم ، ضاقت بها نفسها فنزلت إلى الحديقة ، ألجأت ظهرها إلى شجرتها المفضلة.. أخذت تملأر ئتيها بنسيم الليل عله يبدد شيئًا من كآبة نفسها ، ظلت جالسة لبعض الوقت شاردة، تشعر باليتم ، كم تتمنى لو كانت والدتها اليوم على قيد الحياة، تحتاج أن تجلس معها وتفضى لها بمكنون صدرها وتفسر لها اضطراب فكرها..أليست الأم هى أعلم الناس بأبنائها.. سالت الدموع من عينيها غزيره كمطر منهمر على صفحة وجهها الصافى.. رفعت رأسها إلى السماء، تبثها همومها وشكواها وتبوح لها بسرها ونجواها، فوحده الله يعلم ما بداخلها وهو القادر على مساعدتها.

تململ (يوسف) فى فراشه.. النوم يهرب من عينيه كلما حاول أن يطبقهما عليه،يشعر بأغلال حريرية تقيد صدره فتجعله يكاد يختنق، يشعر بصدره ضيقًا حرجًا كأنما يصَّعَد فى السماء،خرج إلى الحديقة، وقف يتنسم هواء الليل العليل و يملأ صدره به عله يشعر ببعض الراحة..حانت منه التفاته نحو شجرتها ليجد شبحًا لشخص يجلس تحتها ، ميزها على الفور.. اتجه نحوها وهو يقول فى خشونة: لم أنتِ هنا؟

انتفضت فى مكانها هاتفة : لقد أفزعتنى.

همس فى رقة فاجأته: آسف.

تطلعت إليه فى دهشة لحظة ثم قالت وهى تتحرك لتعود للداخل: لا عليك.

قال فى خشونة: لم تجيبى على سؤالى.

وقفت أمامه وهى تقول: نفس السؤال يمكننى أن أوجهه لك.

زفر فى ضيق : ما رأيك؟

قالت فى دهشة: رأيى فى ماذا؟

أجابها بنفاد صبر: هذا الرجل الذى كان هنا.

- وما رأيك أنت؟

- أنت من ستتزوج.

- وأنت ابن عمى.

صاح فى ضيق: هذا شىء لا يعنينى.

قالت ببرود: ولم تسأل إذا؟

أجاب فى لامبالاة : أطبق مقولة (غاندى) يصبح الإنسان عظيمًا تمامًا بالقدر الذي يعمل فيه من أجل رعاية أخيه الإنسان.

حدقت فيه لحظة بدهشة ثم ضحكت فى رقة وهى تقول: هل تريد إقناعى أنك تعتبرنى أختك فى الإنسانية وتسأل من أجلى.

قال بخشونة: وماذا فى هذا؟

هزت كتفيها وهى تتحرك للعودة للمنزل : ربما..أنت حقا تعتبرنى كذلك و تعمل من أج...... بترت عبارتها وهى تتعثر فى ذلك السلك المشدود أرضًا وتسقط على وجهها.. فجأة التصق وجهها

بحائط صخرى ينبض فى عنف بينما أحاطت ذراعان قويتان بخصرها رفعت رأسها لتطالعها عيناه اللتان بدتا أشبه ببحر غائم بمشاعر متصارعة .. غرقت فى بحر عينيه الزرقاوين.. لم يستغرق الأمر ثوانٍ معدودة قبل أن تبتعد عنه وهى تبدو مبعثرة الحال.. تاهت الكلمات على شفتيها وهى تتمتم بارتباك بكلمات شكر واعتذار،غير مفهومة ، بينما تصلبت عيناه عليها ووقف كتمثال لا تصدر منه أدنى حركة.. تجاوزته فى سرعة وهى تركض نحو البيت وتهرع إلى غرفتها

فى حين ظل هو مكانه واقفًا لا يتحرك..لم يكن يدرى ماهذا البحر الزاخر من المشاعر الذى اجتاحه حين وجدها بين يديه.. تملكته أحاسيس مختلفة..فى لحظة شعر بأنه قد التقط شيئًا ثمينًا طاهرًا نقيًا بين يديه ولا يريد أن يفلته وفى لحظة أخرى شعر بأنه قد ملك الدنيا بأسرها.. شعر بأنه قد وجد ما ينقصه..

أفاق من تلك الحالة وهو يتساءل : كيف يمكن لوجود امرأة بين يديك أن يساوى الدنيا فى لحظة.. ارتباكها أمامه وخجلها وحياؤها أربك مشاعره.. ربما قوتها وعنفوانها يستفزه أما خجلها هذا فيربكه حقا.. ترى مالذى يحيره فيها إلى هذا الحد؟

أغلقت هى باب حجرتها عليها.. كانت ترتجف بشدة.. إنها المرة الأولى التى يمسها فيها رجل غريب.... تلك النظرة فى عينيه ملأت عقلها.. رباه لم تر من قبل أحدا ينظر إليها بهذه الطريقة.. إنها نظرة لن تنساها.. نظرة تتصارع فيها المشاعر فى دوامة رهيبة..

نظرة تنفذ إلى أعماق النفس فتهتك سترها وتسبر غورها، لن تنسى أذناها صوت ضربات قلبه التى تعالى نبضها فى عنف.. أمن الممكن أن يمتلك كرة الثلج كل تلك المشاعر؟.. أمن الممكن أن يمتلك قلبا نابضًا بهذه القوه؟.. هل من المعقول أن يفيض الجليد بهذه الحيوية؟ .. راحت الأسئلة تنهمر على عقلها حتى حل النوم ضيفًا عليها.

❖ ❖ ❖

تحركت فى المطبخ بشرود.. لم تنتبه إلى (إسلام) الذى راح يحدثها حتى قال (مصطفى) فى مرح: يبدو أن الدكتور(حسام) لازال هنا

ضربته بتلك الملعقة فى يدها : تأدب يا (مصطفى).. هيا احمل الأطباق إلى المائدة بسرعة.

جلس الجميع إلى المائدة ولكن (يوسف) لم يأت.. كانت فى داخلها تتمنى ألا تراه.. تشعر بالحرج كلما تذكرت ماحدث بالأمس.. كانت غارقة فى أفكارها ولم تنتبه إلا على صوت (إسلام) يخبر جدتها أن كرة الثلج ليس بغرفته وهو ينصرف برفقة أخيه، ودعتهم وهى نصف شاردة.

بينما راقبتها الجدة لحظات قبل أن تقول : لم تخبرينى رأيك.. هل راق لك الدكتور (حسام)؟

همت بأن تجيب عليها ولكن الكلمات ماتت على شفتيها أمام تلك النار الزرقاء التى أطلت من عينيه وهو يسدد نحوها تلك

النظرة الملتهبة.

تطلعت الجدة إلى حيث تنظر حفيدتها ثم قالت بابتسامة واسعة: حبيبى أين كنت؟

أجاب فى برود يتناقض تماما مع ذلك الغضب المطل من عينيه: (نيتشه) كان يقول.. إن أعظم الأفكار هى التى تأتينا ونحن نمشى.

قالت الجدة فى مكر: وما هى الفكرة العظيمة التى توصلت إليها؟

أجاب بنفس اللهجة الباردة : عندما أنفذها ستعلمين.

أشارت له الجدة بالجلوس وهى ت قول فى دهاء: أرى أنك تميلين إلى الموافقة على الدكتور(حسام).. عمومًا أنا أيضًا أرى أنه شاب ممتاز، وسيكون الزوج المناسب لك الذى يحبك وتحبينه..وسيكون محظوظًا ؛لأنه سيحظى بزوجة جميلة ، حانية ، محبة وأمينة.. وسيحظى أولاده بأمًا رائعة، ترعاهم وتحرص على مصلحتهم.

كانت تتحدث وهى تختبر أثر كلامها على وجه حفيدها الذى ظل جامدًا كتمثال.

همت (سارة) بأن ترد ولكن الجدة لم تعطها فرصة وهى تتابع حديثها فى سرعة: أعلم كم أنت خجولة وحيية حبيبتى عمومًا لا أريدك أن تتسرعى بالموافقة خذى وقتك كما تشائين.

ثم نهضت دون أن تمنحها فرصة الرد على كلامها.

تطلعت إلى جدتها التى انصرفت مسرعة بدهشة بالغة قبل أن تنهض من مكانها ولكنه أوقفها بإشارة من يده وهو يقول: هل حقًا ستوافقين؟

تمتمت فى ارتباك: هذا ليس من شأنك.

وضع ساقًا فوق الأخرى ثم قال فى استخفاف : أتعلمين كان (هنريش هاينه) يقول: (لن أقول إن النساء ليس لديهن شخصية، بل لديهن كل يوم شخصية جديدة.) .. أعتقد أن هذا الكلام ينطبق عليكِ.

تمتمت فى ضيق: لست أفهم أهذا مدح أم ذم؟

أجاب فى برود :قد يساعدك على الفهم أن تعلمى أن (هاينه) كان رأيه فى المرأة أنها هى التفاحة والحية فى نفس الوقت..

قالت فى برود مماثل : (ديكارت) كان يقول (لا يكفي أن يكون لك عقل جيد، المهم هو أن تستخدمه بشكل حسن) وأرى أنك لا تستخدم عقلك سوى فى إيذاء من حولك.. صمتت لحظة ثم استدارات لتنهى الحوار فى عصبية: عمومًا رأيك لا يعنينى.

شعر بدماء حارة تسرى فى عروقه لم يتخيل يومًا أن تكون موجودة فى داخله وهو يقول فى حقد: ومن قال إننى قد أهتم لأمر تافهة مثلك.. أنا أكرهك.. أكرهك حقا.

حدقت فى وجهه بدهشة وقد جرحتها الكلمة فى الصميم وألجمتها بلجام الصمت وهو يتابع فى شراسة وقد أعماه الغضب: لم أكره فى حياتى شخصًا مثلك..لأنك تذكريننى بأكثر الأشياء

التى كرهتها فى حياتى.. فأنت تذكريننى بتلك القرابة التى تدعينها بأكثر رجل كرهته فى حياتى ، رجل ألقى بى على طول ذراعه دون أن يكترث.

اسمك يذكرنى بالخيانة.

نوعك يذكرنى بالنبذ وأحط المشاعر الإنسانية.

إيمانك بشىء غير موجود يذكرنى بشىء إن كان موجودًا فهو أكثر ما كرهته فى حياتى فهو لم يرحم توسلات طفل صغير..أتى بى إلى دنيا رهيبة وتركنى فيها وحيدا.

حدقت فى وجهه بذهول وهو يوليها ظهره وينطلق صوب غرفته ويغلق بابها عليه.

تهاوت (سارة) فى مقعدها وهى تقول: يالك من معقد.

❖ ❖ ❖

ألقت الجدة نظرة قلقة على حفيدتها الشاردة، تأملتها (الجدة) بنظرة متفحصة كأنما تحاول أن تخترق عقلها لتتعرف ماوراء شرودها ولما انقلب إليها بصرها خاسئًا وهو حسير، عادت لتستنطقها علها تسبر غورها فهمست فى بطء: ما رأى حفيدى فى العريس؟

أشاحت (سارة) بوجهها لتخفى توتر عضلات وجهها وهى تتذكر كلماته الجارحة التى نفذت إلى داخلها كخنجر مسموم: قال إن الأمر لا يعنيه.

غمر (الجدة) شعور بالإحباط وهى تمط شفتيها ؛ لتدارى شعورها قائلةً في لامبالاة مصطنعة: المهم فى النهاية هو رأيك أنت.

نهضت من مكانها قائلة: لا أريد التحدث الآن جدتى.. ائذنى لى.

بين جنبات نفسها راحت مشاعرها المتضاربة تتصارع فى داخلها .. جزء منها أحرقته نيران الكراهية التى اندلعت من كلماته بينما الجزء الآخر بقى كقطعة ثلج غير عابئ بشقه المحترق .

❖ ❖ ❖

النبضة السابعة

اندفعت (رنا) داخل أروقة الكلية فى سرعة، فقد تأخرت عن موعدها مع الدكتور (عاشور) الذى وافق على الاطلاع على بحثها، وفى حال أعجبه سيوافق على الإشراف على رسالة الماجستير الخاصة بها التى حثها (أحمد) على ضرورة الحصول عليها.

أسرعت تحث الخطى بطريقة أقرب للعدو فلم تنتبه لذلك الرجل الذى وقف يتلقى اتصالًا من هاتفه،بينما يحمل قدحًا من القهوة بيمناه ليصطدم الملف الذى تحمله بقدح القهوة فى يده وتسيل القهوه لتختلط بالأوراق داخله فى سرعة جنونية.

حدقت إلى تلك الأوراق التى تحمل خطة بحثها والتى اصطبعت أجزاء منها بلون القهوة.. للحظات عجزت عن النطق قبل أن يقول الرجل فى أدب: أعتذر يا آنسة.

حدقت فى وجهه لحظة كالمصدومة ، هزت رأسها كأنما تنفض عنها أثر الصدمة ثم صاحت فى استنكار: تعتذر.. ماذا أفعل بأسفك هل سيزيل لون القهوة.. هل أقدم بحثًا بطعم القهوة؟!!

قال فى أسف: أنا أعتذر حقا ولكنك أيضا لم تكونى منتبهة وكنت مسرعة وهذا ما...

قاطعته فى حدة: كف عن تلك الحيل الدفاعية التى تقوم بها الآن فلن تجدى معى نفعًا.

قال فى استنكار: حيل دفاعية ؟!! .. أنا لم أرتكب جرمًا يا فتاة.. وأنتِ المخطئة.

هتفت فى غضب : أنا المخطئة؟! أنت تعانى من انعدام القدرة على تحمل المسئولية وتهرب من مواجهة أخطائك، باستخدام الإسقاط كحيلة نفسية دفاعية وذلك بأن تسقط أخطاءك وعيوبك على الآخرين.. أنت بحاجة إلى تعديل سلوك يستغرق عشر جلسات كخطوةٍ أولى.

حدق فى وجهها لحظة قبل أن ينفجر ضاحكا: أنتِ مجنونة.

قالت فى غضب: هكذا الحمقى لا يستمعون لصوت العقل ولا يظنون أنهم مرضى بحاجة إلى العلاج.. يمكننى أن أشرف على علاجك عندما تأتى إلىّ فى المركز.

كظم غيظه وهو يقول: الحمقى فقط هم من يظنون أن الآخرين هم الحمقى.

ثم تركها واستدار عائدًا من حيث أتى تاركًا إياها تحاول تنظيف أوراقها فى يأس.

❖ ❖ ❖

عادت (سارة) إلى غرفتها أمسكت دفتر يومياتها الذى تبث فيه همومها وتنفث فيه عن نفسها.

تطلعت إلى صورة والديها التى تضعها فى مقدمة الدفتر وهى تقول: آه أمى كم أفتقدك الآن.. أحتاج أن أتحدث معك بدون أن أفكر، كما اعتدنا أن نفعل سويا.. رباه كم أعانى من بعدك.. راحت

تبثهم همومها، وتشكو لهم قسوة (يوسف) عليها، وإعلانه الصريح لكرهه لها.

وكم جرحتها كلماته، لم تدر لم شعرت بكلماته كخنجر من نار،يخترق صدرها ليستقر فى قلبها فيحرق ثناياه، لم يكونا أبدًا على وفاق ولكن أن يعلن عن كرهه الصريح لها، فهذا أدمى قلبها وأسال الدمع من عينيها، توقفت لحظات قبل أن تعود لنفسها تعنفها لاهتمامها بكلامه بينما هو لا يأبه لآحد.

❖ ❖ ❖

انفجر الدكتور (عاشور) ضاحكًا و(ماجد) يقص عليه ماحدث من تلك الفتاة.

تطلع إليه (ماجد) لحظة ثم قال فى مرح: اضحك كما تشاء يا دكتور فأنت لم تر تلك المجنونة، وهى تطلب منى الذهاب إليها فى المركز لتقوم بتعديل سلوكى.

استمر (عاشور) فى الضحك فتابع (ماجد): أريد أن أعرف من الدكتور المسكين الذى سيقوم بالإشراف على هذه المجنونة؟.

جاءته الإجابة فى صورة طرقات على باب الحجرة، تبعها فتح الباب لتطل (رنا) برأسها وهى تتجه مباشرة نحو الدكتور (عاشور)،وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة مرتبكة ، بادرت بالاعتذار عن تأخرها عن موعدها،وهى تمد له يدها بالبحث الخاص بها الذى تلونت أوراقه بلون القهوة.

قال الدكتور (عاشور) فى مكر: ماهذا؟ هل يصح أن نقدم

خطة بحث ملطخة بالشيكولاته؟

أجابته فى سرعة: لا دكتور إنها قهوة وليست شيكولاته.. لقد اصطدمت بمعتوه كان يشرب القهوة فى الممر أمام مكتبك.

كتم الدكتور (عاشور) ضحكته وهو يقول فى لهجةٍ حاول أن يجعلها جادة: حسنًا دعينى أقدم لك الدكتور (ماجد) الذى سيشرف معى على رسالتك.

التفتت نحو الدكتور (ماجد) فى لهفة قائلةً بابتسامة مهنية: تشرفنا يا دكت..... بترت عبارتها وهى تتطلع إلى (ماجد) بذهول الذى ابتسم بدوره فى مكر : أنا المعتوه الذى سيشرف على رسالتك.

❖ ❖ ❖

أغلق (يوسف) باب غرفته بإحكام، تمنى لو استطاع أن يغلق أبواب خزائن ذكرياته المشرعة على الدوام.. تمنى لو استطاع أن يتخلص من مرارة الماضى، الذى يلقى بظلاله القاتمة عليه كشبح أسطورى،لا سبيل للفكاك منه، أدار ظهره لماضيه وهو يفتح حاسوبه ليقفز إلى نافذة المستقبل، ولكن هيهات فالماضى كأخطبوط،تمتد أذرعه فى كل مكان فها هو يمد أحد أذرعه ليفتح أمامه ملفًا مغلقًا ؛لتطل منه صورة تلك الفتاة الشابة الباهرة الجمال،التى وقفت وسط حديقة غناء تبتسم ابتسامه زادتها فتنه وجمالا.

شعر بقبضة باردة تعتصر صدره، وهو يتذكر يوم تلك المحاضرة التى تحركت فيها مشاعره نحوها، أغمض عينيه ولكن مشاهد متتالية لهما معًا تنساب إلى عقله وصورًا متتابعة له معها فى أماكن

مختلفة وكلماتها الناعمة، تتردد فى أذنيه قبل أن يهوى فى بئر سحيقة مظلمة، مكبلًا بأذرع الماضى التى جذبته إلى الأعماق.

❖ ❖ ❖

تطلعت (سيلين) إليه وهو يجلس وحيدًا فى الظلام قبل أن تمتد يدها وتضئ المكان قائلة فى قلق: لم تجلس فى الظلام؟

أغلق عينيه لحظة وهو يجيبها فى توتر: نظرة هذا الوغد لم ترحنى،إنه جبان خسيس ومغرور وذو نفوذ وهى تركيبة مثالية لمجرم عديم الأخلاق ولقد كسرنا هيبته أمام الطلاب وأتوقع أنه لن يترك الأمر يمر بسلام.

طوقت عنقه بذراعيها وهى تستطرد: لن يستطيع أن يفعل شىء طالما ملاكى الحارس بجوارى.

زفر فى توتر : وهذا ما قررته.. لن تخرجى من المنزل إلا فى أضيق الحدود ولن تتحركى إلى مكان بدونى.

أطلقت ضحكه قصيرة : هل ستعمل حارسًا خاصًا لى؟

قال فى حدة: لن أتركك دون حماية.

هتفت فى مرح طفولى: أيعنى هذا أنك سترافقنى إلى حفل زفاف (ساندى) غدا.

غمغم فى ضيق: لست أدرى كيف تصادقين فتاة سخيفة كهذه؟!

همست فى دلال: إنها لطيفة.. صحيح إنها ثرثارة بعض الشىء

ولكنها فتاة طيبة القلب.

تمتم فى ضجر: ثرثارة بعض الشىء فقط... إنها تثرثر طوال الوقت وفضولية وتتدخل فيما لا يعنيها.

قالت فى مرح: حسنا ها قد تخلصنا منها وستتزوج وسيعانى زوجها المستقبلى من هذا... هل ستأتى معى؟

زفر فى ضيق: لن تخرجى ليلًا بعد الآن لأى سبب كان.

أطرقت برأسها فى خيبة وهى تولى على عقبيها كالأطفال

تطلع إليها وهى تنصرف قبل أن يقول: حسنًا سنذهب ولن نتأخر.

تعلقت بعنقه فى سعادة وهى تغمر وجهه بالقبلات قبل أن تتركه وتصعد درجات السلم قفزًا بينما تابعها بعينيه وهو يطلق تنهيده حارقة أحرقت الهواء الذى يحيط بها فى تلك الغرفة التى أحاطت بها جدرانها كسجن صغير وحملتها من خزائن الذكريات لتلقى بها فى واقعها البائس الذى تتقوقع فيه وحيدة لا تملك سوى أن تختلس بعض اللحظات المسروقة ترسلها لها صورته الفضية الرابضة أمامها على الحائط المقابل.

❖ ❖ ❖

أطلقت (رنا) تنهيدة حارة وهى تختم روايتها قائلة: كما يقول المثل: (المنحوس منحوس ولو علقوا على رأسه فانوس).

انفجرت (سارة) ضاحكة فغمغمت (رنا) فى ضيق: علام تضحكين؟

أجابتها دون أن تتوقف عن الضحك : أحاول فقط تخيل منظرك حينما أخبرك أنه سيكون المعتوه الذى سيشرف على رسالتك، أعتقد أن هذا درس مثالى لك حتى تكفى عن محاولة تعديل سلوك كل شخص تقابلينه.

هتفت (رنا) فى غيظ: أنت أكثر شخص حاولت تعديل سلوكه وفشلت.

قالت (سارة)فى مرح: هذا دليل صارخ على فشلك فى هذا المجال.. لذا أنصحك أن تتركيه.

رفعت (رنا) رأسها فى إباء وهى تقول: سأظل أنا وعلم النفس لصيقين لا يفترقان رغم أنفك.. أتعلمين أحيانًا أشعر أن ابن عمك هذا عقاب على ما تفعلينه بى.. فعلا صدق المثل القائل: (ربنا يسلط أبدان على أبدان).

عبرت سحابة من الحزن وجه (سارة) للحظات وهى تتذكر كلام (يوسف) و إعلانه الصريح لكرهه لها قبل أن تعود لمشاكسة صديقتها قائلة: هاقد سلط الله عليك المعتوه يشرف على رسالتك.

قفزت (رنا) تجرى خلفها بينما فرت (سارة) من أمامها و(رنا) تهتف: سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى.

ضحكت (سارة) وهى تجرى من أمامها قائلة فى مرح: هذا سلوك إجرامى أنت بحاجه لتعديل سلوك يستغرق خمسًا وعشرين عامًا خلف القضبان.

❖ ❖ ❖

مضى يومان لم ير فيهما (يوسف) (سارة) بعد آخر حوار بينهما، كان يشعر بشعور جديد عليه.. الافتقاد.. يشعر أنه يفتقد حوارتهما الساخنة ، يفتقد صخبها، حيوية أحاديثها ، أدهشه هذا الشعور لأقصى حد.. فلطالما كان ابن الصمت البار ، كان دائمًا يحترم أباه بالتبنى ويلازمه فلقد منحه الجلال والمهابة التى حمته فى كثير من المواقف، كان يحترم الصمت ويعشقه، يرى الصمت مفتاح الابتكار، والتأمل مفتاح الابداع، يرى الصمت رداء الحكمة، أما الآن فهو يهرب من أبيه بالتبنى عند تواجدها معه، فى حضرتها يشتهى الكلام، يمتعه مرحها.. حنانها واهتمامها..حتى سخريتها منه ، حتى اسم كرة الثلج الذى تصحبه تلك الابتسامة التى أصبحت محببة إلى نفسه.

لا يستطيع أن يفسر شعوره هذا.. فقط يريد أن يراها ويجلس معها، كما فى السابق ولكنها بعد أن أعلن كراهيته لها أصبحت تبتعد عنه تماما.. تتجنب الكلام معه.. لاتجلس مع جدتها فى وجوده ، تركته على راحته داخل البيت تمامًا.. ولكن العجيب أنه لم يشعر بالراحة قط بل راح يفتقد حتى إزعاجها له واقتحامها الدائم لعزلته ، لذا قرر أن ينهى هذا الوضع فكان هو أول من جلس إلى مائدة الإفطار فى سابقةٍ لم تحدث منذ وطأت قدماه البيت.. راح يرقبها فى صمت وهى تودع إخوتها عند ذهابهم إلى المدرسة، انتظر حتى ذهبت جدته لتتناول دواءها عقب الإفطار كعادتها، ظل جالسًا إلى المائدة كصيادٍ صبور ينتظر فريسته الغافلة التى أتت إليه بقدميها لتحمل الأطباق إلى المطبخ.

(انتظرى) خرجت هذه الكلمة من بين شفتيه عميقة كأنما تخرج من بئر سحيق، توقفت دون أن تستدير نحوه وهى تقول فى سخرية مريرة: التحدث مع شخص تكرهه قد يؤدى إلى انفجار المرارة لديك.. لذا أنصحك ألا تفعل.

قال فى بطء: أريد أن أوضح أننى لا أكرهك.

- مشاعرك لا تعنيني و إذا كنت تكرهنى فهذا شعورك وأنت حر فيه.

- لم تتجنبيني إذا؟

- أنا لا أتجنبك أنا أنفذ وعدى لك بـألا أزعجك وأنت أعلنت عن كرهك لى.. لذا سأتركك وشأنك.

- يمكنك إزعاجى كما تشائين.

قالت فى لهفة: إذًا ماذا كنت تعنى بقولك أن اسمى يذكرك بالخيانة؟؟

التهبت عيناه بالغضب وهو يقول: لا تتحدثى فيما لايعنيك.

نهضت من مكانها قائلة : لامعنى لكلامك إذا.

قالتها ولم تعطه فرصة الرد على كلامها وهى تتجه نحو غرفتها فى شموخ.

❖ ❖ ❖

مر على هذا الحوار عدة أيام ظلت (سارة) على موقفها المتباعد بينما عاد (يوسف) لعزلته وتساؤلات شتى تطرق أبواب عقله فى

عنف.. ما الذى يزعجه فى ابتعادها ؟ لقد كان مستعدًا أن يعرضها لصدمة كهربية حتى يتخلص من إزعاجها.. ما الذى دهاه الآن؟ لمَ هو غير سعيد بتلك الخصوصية التى منحته إياها ؟ كان يحيره أيضًا موقف جدته الذى بدا عجيبا ، فهى تارة تبدو منزعجة وتارة تبدو مرتاحة، بدون أن يفهم أحد سببًا لذلك مع عزوفها التام عن الكلام فى أى شىء.

❖ ❖ ❖

خطت (رنا) إلى داخل الكلية وهى تتمتم بكل الأدعية التى تحفظها قبل أن تدلف لمكتب الدكتور (ماجد) ، وقفت أمامه قائلة فى أدب: لقد أحضرت المراجع التى طلبتها.

تأملها (ماجد) لحظة قبل أن يلتقط المراجع، التى وضعتها أمامه ويراجعها بدقة ، مما منحها الفرصة لتتأمل ملامحه، كان ذا ملامح رجولية لا يمكن وصفه بالوسامة، ولكن تحيط به هالة من القوة تمنحه جاذبية خاصة، له شعر بنى خفيف سيصل به إلى الصلع، فى غضونِ سنواتٍ قليلة، ابتسمت فى داخلها وهى تتخيله أصلع الرأس.. رفع رأسه إليها فى تلك اللحظة ليلمح تلك الابتسامة الخفيفة، التى ارتسمت على شفتيها وهو يقول فى برود: أرى أنك معجبة بعملك يا آنسة.

تمتمت فى ارتباك: أتمنى أن يروق لك أيضا.

قال وهو يلقى بالمراجع فى إهمال: هل تجيدين الإنجليزية يا آنسة؟

حدقت فيه لحظة قبل أن تجيب فى سرعة: ليس تماما.

هز رأسه دلالة الفهم : لهذا السبب أنت تبحثين عن متغيرات غير متغيراتك.

تطلعت إلى الأوراق فى دهشة : كيف؟

أجابها فى برود: إذا كنتِ لاتجيدين الإنجليزية يمكنك الاستعانة بشخصٍ يترجم لك ترجمة صحيحة، أو تذهبى إلى مركز يعدل لك مستواكٍ فى اللغة.

أدركت ما يرمى إليه فهتفت فى قوة: هذا ليس عدلا.

تطلع إليها فى دهشة فتابعت : أنت تعاقبنى طوال الوقت على موقف حدث، ولم أكن أعرفك فيه، وتستغل سلطاتك كونك المشرف على رسالتى وتقوم بتعطيلى.

هب من مقعده قائلًا فى حدة: ماذا تظنينى يا آنسة معتوه بحق.. أنت بحاجة إلى تعديل أفكار.. أنت عديمة الخبرة فى البحث العلمى، وانا أسعى لوضعك على الطريق الصحيح، وهذا ما أفعله مع الجميع ولكنك لا تريدين أن تبذلى بعضًا من الجهد، فى جمع المعلومات.. أنتِ تتحركين فى رسالتك بمنتهى السطحية،وهذا المستوى لا يتناسب مع إشرافى.

ثم ألقى إليها بأوراقها وهو يتابع فى غضب: بإمكانك البحث عن مشرف آخر غيرى.

تطلعت إليه لحظة فى ذهول قبل أن تغادر محتقنة الوجه.

تابعها ببصره وهو يتمتم: معتوهة.

❖ ❖ ❖

تقدمت والدة (تارا) من (سيلين) التى جلست تتطلع إلى صورته فى حزن ثم جلست بجوارها وهى تربت على كتفها فى حنان قائلة: كفى عن اجترار الذكريات.

تمتمت (سيلين) فى حزن: لا أملك غيرها.

احتوتها الخالة فى عطف : يجب أن تعيشى حياتك حبيبتى ماحدث قد حدث أنت حبيسة حجرتك منذ مايزيد على العشرة أيام أنت تقتلين نفسك.

همست فى يأس : لقد مت منذ زمن.

قالت الخالة فى غضب: كفى.. أنتِ مازلت فى مقتبل العمر وشابة جميلة.. كُفى عن تعذيب نفسك..منذ أتيت إلى هنا وأنتِ تحبسين نفسك داخل ذكريات.. لقد تركتك على راحتك كثيرا ولكن ماالنتيجة؟! أنت تسيرين من سئ لأسوأ.. صمتت لحظة ثم تابعت فى صرامة: من اليوم لن أسمح لك بتعذيب نفسك ثانية.

قالتها ثم أتبعت قولها بأن حملت ألبوم ذكرياتها وتركت الغرفة فى حزم.

ألقت (سيلين) نظرة خاوية على ألبوم ذكرياتها،الذى يسير مبتعدًا عنها، والذى كان وسيلتها للإبحار عبر الزمن فى حقب الذكريات، كانت تتجول به بين مناطق زمنية مختلفة كانت هى المناطق الأسعد فى حياتها.. فما أجمل أن تتجول بين بساتين

الذكريات المتفتحة، فترى فيها أرواحًا تشتاق إليهم ولكن المؤلم هو أن تكون روحك مقيدة بعيدة عنهم، منذ الحادث وهى دائمة السفر عبر الزمن وكانت وسيلتها هو ألبومها الجميل الذى تحدد على صفحاته حقبتها الزمنية، التى تود العودة إليها ليحملها على أجنحة الشوق، ولكنه يتوقف عند تلك الليلة فآخر صورة تضمهما تلك التى جمعتهما فى حفل الزفاف، تلك النقطة الزمنية التى لا تستطيع عبورها والتى تمثل أمامها ثقبًا أسود يكاد يبتلعها إذا حاولت أن تنظر إليه فضلًا عن الإبحار فيه، لم تحاول يومًا أن تسافر إلى المستقبل..فالإبحار فى الذكريات هو فى اتجاه واحد فقط، اتجاه الماضى بينما المستقبل يحتاج إلى الأحلام، وهى لا تملكها فقد ماتت كل أحلامها فى ذلك اليوم، يوم الزفاف.

❖ ❖ ❖

النبضة الثامنة

تقافزت (سارة) فى مرح وبدت مبتهجة داخل المنزل على غير عادتها هذه الأيام.. كانت تشعر بسعادة حقيقية فاليوم هو موعد عودة (أحمد) من سفره، تحركت بين المطبخ والبهو الواسع كفراشة رقيقة، راقبها لحظات.. شعر بالسعادة لتلك البهجة التى تطل من عينيها وتلك السعادة التى تشرق من قسماتها، كان يشعر بالدهشة من نفسة لسعادته لمجرد أنها سعيدة رغم أنه لا يعرف سبب سعادتها.

عاد لحاسوبه فهو صديقه الذى لم يخذله أو يتخل عنه يوما، راح يجرى بحثًا ما فى سرعة قبل أن تبرق عيناه فى شدة وهو يهمس لنفسه : هذا هو.

خرج من غرفته ، اتجه نحو غرفة المعيشة حيث وقفت تتحدث مع جدتها.

همت بالمغادرة ما إن رأته يقترب منهما ولكنه استوقفها قائلًا فى قوة: انتظرى.

❖ ❖ ❖

(يوسف) توقف.. نطقت (سارة) بهذه العباره فى حزم.

قال فى برود: اسمى (جوزيف).

هتفت فى عناد: سأظل أناديك بما تكره طالما تتحدث عن نبينا بما أكره.. عمومًا كلامك عنه لا يقلل من شأنه فكما قال (أينشتاين) (الروح العظيمة دائمًا تواجه معارضة من متوسطي الذكاء).

قال فى تحدٍ : حسنا أخبرينى كيف لرجل قد تجاوز الخمسين من عمره أن يتزوج من طفلة فى التاسعة من عمرها كانت تلعب بالعرائس ؟ ولا تخبرينى أن المجتمع بأسره لم يرفض هذا فهذا يدلل على أنه كان مجتمعًا سلبيًا يغض الطرف عن جرائم قائده.

أجابته فى سرعة: وماذا عن الكفار أعدائه ومعارضيه ؟ هل كانوا سيتركون فرصة كهذه تفوتهم دون أن يشهروا به ويطوفوا القبائل منددين بفعلته.. لمَ سكتوا عن ذلك؟

قال فى عناد : ربما كانوا أشد إجرامًا أو ربما لم يصلهم الأمر.

هتفت فى لهجة مماثلة : كلا.. لا هذا ولا ذاك.. وعموما سيعود الدكتور (محمود) من السفر بعد يومين وسأسأله.

(كلا) نطق (أحمد) بهذه الكلمة فى حزم.

تهللت أسارير (سارة) وهى تتجه نحوه هاتفة: متى أتيت؟

قال (أحمد) فى مرح: منذ كنت محاصرة.

وكزته (سارة) بمرفقها : مرحبًا بعودتك.

اتجه نحو (يوسف) الذى اشتعل شىء فى أعماقه ولكنه تحلى بالبرود. وهو يصافح يد (أحمد) الممدودة نحوه دون أن يتحرك من مكانه.

تجاوزه (أحمد) وهو يجلس على المقعد المواجه له قائلًا فى هدوء: النبى ﷺ لم يتزوج طفلة.. والسيدة (عائشة) - رضى الله عنها - حين تزوجها النبى لم تكن طفلة بل كانت شابة وكانت مخطوبة لرجل قبل النبى ﷺ هو ابن (المطعم ابن عدى) وهو من قيادات كفار مكة ولو كان هذا غير طبيعى لما وافق أبوها (أبو بكر) وهو من أثرياء مكة وأشرافها.. وليس صحيحًا ما كنت تقول من أنهم غضوا الطرف عن قائدهم فهل غضوا الطرف عن ابن (المطعم) أيضا؟!..إذًا كان هذا وضعًا طبيعيًا فى هذا المجتمع، وله أساس علمى فالمرأة فى المناطق الحارة تبلغ مبكرًا وتشيخ مبكرًا أيضًا بعكس النساء اللواتى يسكن المناطق الباردة.. ومع ذلك فإن الكثير من أميرات وملكات الغرب قد تزوجن أيضا فى سن مبكرة كالملكة (مارى أنطوانيت) ملكة فرنسا ، تزوجت من الملك (لويس السادس عشر) وهى فى الرابعة عشر من عمرها.. وتزوجت «مارغريت ماريا هنجاريا» إمبراطورة المجر من «إيزاك أنجلوس الثاني» في عمر التاسعة. أى أنها كانت طفلة بمقياس عصرنا .. ولكنه كان طبيعيًا فى زمنهم .. ولن نذهب بعيدًا فجدتك قد تزوجت من جدك وهى فى الثانية عشرة من عمرها.. وقولك إنها كانت تلعب بالعرائس فذلك لأنها كانت شخصية منطلقة محبة للحياة .. وكان النبى يجاريها فى انطلاقها فكان يعقد مسابقات للجرى بينه وبينها وكانت تحبه وتغار عليه بشدة حتى إنها كانت تغار من السيدة (خديجة) وهى متوفاة وهذا يدلل كم كان هو زوجًا حانيًا كريمًا محبًا عطوفا.. والواقع أنه ﷺ قد تزوج

البكر والأرملة والمطلقة والمرأة المسنة والمثقلة ، ليعطى القدوة فى كيفية معاملة الزوجة مهما كان وضعها حرصًا على سلامة الأسرة ولكى تُبنى بناءً سليمًا فيتم الحفاظ على الأطفال داخلها وعلى سلامتهم النفسية ،وكيف كان ﷺ يعامل أبناءه وأحفاده وأبناء زوجاته وأقاربهم من الأطفال بحب ورحمة و يوليهم عناية مطلقة ورعاية فائقة و يهتم بتربيتهم وتوجيههم برفق ولين وحب ،وكيف كان يمنحهم من وقته وهو النبى المرسل ورئيس الدولة والقائد العسكرى ورغم كل هذا كان يلاعب الأطفال و يساعد زوجاته فى شئون المنزل.. وسيذهلك أن تعرف أن النبى ﷺ هو الرجل الوحيد على وجه الأرض الذى يمكنك أن تعرف عنه كل شىء حتى فى حياته الخاصة ، وعلاقته الشخصية بأهل بيته، وأصحابه وسياساته الاقليمية والدولية.. مما يعنى أنه كان طرازًا ليس له مثيل وأنه القدوة الحقيقية لكل الناس.

شعر (يوسف) بالاستياء لم يكن هذه المرة،يرغب بالحصول على إجابة حقًا.. بل كان كل ما يريده هو أن تعود المياه لمجاريها بينهما حتى و إن ظلت تناصبه العداء... ما عاد يدرى مالذى يريده؟ هل حقًا يريدها أن تبتعد عنه أم يشتاق لشجارهما المستمر الذى يشعره أنه لازال على قيد الحياة أم أنه..

قطع عليه شروده يد (أحمد) التى تحركت أمام وجهه وصاحبها يقول فى مرح: أين ذهبت؟

رفع رأسه إليهم وهو يرى تلك الابتسامة المنتصرة التى ارتسمت

على شفتيها فقال في برود: تبتسمين وكأنك قد خرجت للتو منتصرة في معركة حربية. ؟

أجابته في برود مماثل : وأنت تجلس كمهزوم خسر مباراة لم يحرز فيها هدفًا واحدا.

هتف (أحمد) في سرعة: ماهذا ؟ ألا تكفان عن الشجار أبدا؟

قالت في تعالٍ: أنا لا أتشاجر مع الحمقى.

ثم انصرفت دون أن تمنحه فرصة الرد عليها.

❖ ❖ ❖

ربتت (سارة) على كتف (رنا) مهدئة وهي تقول: إهدئي حتى نستطيع التفكير.. ولا تتخذي قرارات هامة وأنت تحت تأثير الانفعال.

صاحت في غضب: الوغد يسعى لإذلالي..ولكن هذا لن يكون.. فلتذهب الرسالة إلى الجحيم ولن أدع وغدًا مثله يتحكم فيّ.

ناولتها (سارة) كوبًا من عصير الليمون قائلة : لم لا تطلبين من (أحمد) مراجعة الترجمه ؟، و إذا كانت مغايرة لمتغيرات بحثك فعليكِ مراجعة موقفك والتسليم بأن الرجل يسعى لمصلحتك حتى تقدمي بحثًا علميًا حقيقيا.

تمتمت (رنا) وقد بدأت ثائرة غضبها تهدأ: وأين (أحمد)؟

أجابتها على الفور : لقد رحل منذ ما يقرب من ساعة. جلس مع كرة الثلج بعض الوقت بمفردهما قبل أن ينصرف على عجل..

لاريب أنه قد أساء إليه كعادته.

قالتها وعاصفة جليدية تحيط بنفسها وتعتصر قلبها بقبضة باردة.

❖ ❖ ❖

طرقت (تارا) باب غرفة (سيلين) وهى تهتف باسمها فى قلق قبل أن تمتد يدها لتفتح الباب وتدلف إلى داخل الحجرة.

تأملت (سيلين) التى لا زالت مستلقية على ظهرها وقد سالت الدموع على وجنتيها ، وشخص بصرها نحو صورته الرابضة على الجدار وبدا أنها فى عالمها الخاص المغلق عليها وحدها وصاحب تلك الصورة، كانت تعلم كم هذه الأيام صعبة عليها ففى مثل تلك الأيام حدث هذا الحادث الذى كان السبب فى فراقهما، كانت تعلم أنها ككل عام فى تلك الأيام تغلق على نفسها حجرتها وتحدق إلى صورته وتجتر وحدها ذكرياتها التى لا تحوى سواه.. تعلم كم اليوم مؤلم عليها فاليوم تحديدًا هو يوم الحادث، تعلم أنها الآن تسترجع أحداث اليوم بكل تفاصيله منذ جلوسها فى السيارة لتعتذر عن تأخرها فى الحفل.. وتلك النظرة الغاضبة التى ألقاها عليها وهو ينطلق بالسيارة دون كلمة.

قالت فى دلال: لم أكن أقصد أن أتأخر عليك، لقد رأيت أصدقاء لم أرهم من سنين.

ظل ينظر أمامه صوب الطريق دون أن يلتفت إليها أو يرد على كلامها.

فعادت تقول بنفس اللهجة: أرجوك لا تغضب.

هتف فى ضيق : حضرنا بشرط ألا تتأخرى.. أخبرتك أن الطريق هنا موحشة ليلا وأننى أخشى عليك.

ربتت على كفه قائلة: لا تقلق... لن يحدث شىء.

تمتم فى عبوس: أتمنى هذا.

همست بابتسامة صغيرة: تبدو عجوزًا وأنت عابس.

قال بابتسامة مغضبة: وأنت ستظلين طفلة أبد الدهر.

سالت الدموع من عينى (سيلين) وهى تنظر إلى صورته المعلقة أمامها على الحائط ، تمتمت فى خفوت: لقد سرقوا منى هذه الطفلة.

❖ ❖ ❖

ارتدت (سارة) ثيابها على عجل فاليوم لديها محاضرة هامة ولديها موعد مع أحد الأساتذه لتشرح له مشروعها وتأمل فى مساعدته.

أسرعت تقفز درج السلم فى سرعة حتى وصلت إلى البوابة الخارجية للبيت كادت تصطدم (بيوسف) الذى وقف عند البوابة يتهيأ للخروج أيضا، تجاوزته فى سرعة وهى تتمتم بكلمة أسف.

أوقفها قائلا فى هدوء: إلى أين أنت ذاهبة؟

أجابته فى برود: ولو أن هذا ليس من شأنك ولكنى ذاهبة إلى الكلية.

كانا قد وقفا على الرصيف الخارجى للبيت.

فقال فى غطرسة: أنا أيضًا ذاهب إلى الكلية.. يمكننى أن أسمح لك بركوب التاكسى معى.

قالت فى سخرية: لمَ ؟ هل تريد أن تجد شخصًا تتقاسم معه الأجرة؟

أجابها فى سخرية مماثلة: يمكنك قول هذا ولكنى سأدفع لك هذه المرة.

قالت فى تهكم: وفر نقودك لنفسك فستحتاج إليها حين ت.... بتر عبارتها تلك الدراجة النارية التى أتت من الاتجاه المعاكس للطريق وعليها شابان خطف أحدهم حقيبة جهازالكمبيوتر المحمول الخاص بها بينما اصطدمت بهما الدراجة النارية فألقت بهما إلى الخلف فى عنف، لم تتمكن من الحفاظ على توازنها فاصطدمت بالبوابة الحديدية للبيت لتسيل الدماء من مقدمة رأسها على جبينها فى غزارة قبل أن تسقط فاقدة الوعى.

نهض من سقطته وقلبه ينتفض بين ضلوعه حين وجدها ملقاة على الأرض بلا حراك.

هرع نحوها يهزها فى قوة هاتفًا باسمها فى لوعة.. حملها منطلقًا بها إلى داخل البيت كالسهم وقد هاله مرأى الدم النازف من جبهتها.

لم يدر كيف أوصلها إلى غرفتها ولا كيف صرخ طالبًا المساعدة، ولا كيف انقض على ذلك الجرح ينظفه و يوقف تدفق الدماء منه.. لم يشعر أبدًا بالجدة، التى كانت تبكى فى انهيار خوفًا عليها.. إنه حتى لم يرها.. كانت هى كل ما يراه، كان يرتجف من

فرط الخوف عليها.. لم يتخيل فى حياته كلها أن يشعر بالخوف على شخصٍ ما..

لقد ظلَّ ينازل الموت لأشهر عدة حتى انتصر..ولكن هاهو الموت يعود مواصلا القتال، مشهرًا أسلحته الخفية ليسلبه شيئًا لم يكن يعرف قيمته، هل حقًا يمكن الانتصار على الموت؟ أم أننا منذ ولادتنا ونحن نفر من الموت دون أن ندرى أننا نفر منه إليه.. وأننا نسير إليه بأقدامنا.. وأننا أمامه نفقد إرادتنا وتضعف عزيمتنا ويصيبنا الخرس فى حضرته.. ويأتى الصمت الأبدى رفيق الموت المخلص ونديمه وملازمة ليختم على ألسنتنا وينازل الكلام أمامنا قبل أن يطرحه أرضًا أمام أعيننا..لننعى يومًا كلمات قلناها أو نأسى على كلماتٍ لم نقلها.

❖ ❖ ❖

بحث (أحمد) بعينيه عنها داخل تلك القاعة التى سيلقى فيها محاضرته الختامية للدورة، كان يعلم أنها لن تأتى ولكنه كان يتمنى أن تخالف توقعاته.. شعر بشىء من الضيق ثم لم يلبث أن شرع بإلقاء محاضرته.

لم تمض بضع دقائق حتى رآها تخطو إلى داخل القاعة، وهى ترفل فى ثوب حريرى أسود وحجاب من الساتان الأبيض المنقوش بزهور صغيرة سوداء.. كانت تبدو هشة رقيقة، كأنما تطير فى الهواء..شعر بنبضات قلبه تتسارع، وهو يتابعها بعينيه حتى استقر بها المجلس فى أحد المقاعد على يسار القاعة.. ظل يتابعها بعينيه خشية أن يلتفت فلا يجدها مرة أخرى حتى انتهى من محاضرته

واتجه نحوها، مباشرة وهو يرحب بها ببشاشة.

همست فى خجل : أعتقد أننى لا أستحق ترحيبك هذا بعد آخر مقابلة بيننا.

قال فى صدق: أنا أقدر ما تمرين به وأعذرك.

تمتمت فى حزن: لا أحد يمكنه أن يدرك ما أمر به. ثم نهضت من مكانها وهى تتابع: عمومًا لقد شعرت أننى مدينة لك بالاعتذار فجئت لأعتذر.

قال فى سرعة: لدى معلومات تهمك عن المدعو (تامر).

انتفض جسدها فى قوة وهى تقول فى حدة: ماذا؟

تابع فى إشفاق : أنا أؤمن بالعقاب العادل..وأرى أنه لا يمكن للمجرم أن يفلت بجريمته، هلا جلسنا لأخبرك ما لدى.!!

تبدلت ملامحها كاملة وأشرق وجهها بالأمل وهى تتجه معه نحو وسط القاعة.

❖ ❖ ❖

وقف (يوسف) أمام (سارة) التى رقدت فاقدة الوعى..تحسس جبهتها فى حنانٍ لم يعهده فى نفسه..مست يده بشرتها الناعمة... أطلق تنهيده حارة من أعمق أعماق صدره..جاوبها صوت الجدة وهى تدعو الطبيب للدخول ، راح يفحصها فى سرعة بينما وقف هو كتمثالٍ من الحجر لا يرف له جفن وهو يتابع الطبيب حتى انتهى من الفحص ثم كتب الدواء وطلب سرعة احضاره، التقط (يوسف) الورقة فى سرعة قائلًا فى لهفة: هل هى بخير؟

هز الطبيب رأسه مطمئنًا فاختفى من أمامه ولم تمض بضعة دقائق حتى عاد حاملًا معه دواءها ، أخذ يتطلع إليها فى لهفة وقلق، حين فتحت عينيها كان هو أول من انكب عليها وهو يهتف بصوت ملؤه القلق: ءأنت بخير؟.. كيف تشعرين؟

سألها الطبيب فى اهتمام: هل ما زال رأسك يؤلمك؟

أجابت فى ألم: قليلا.

ناوله الطبيب ورقة صغيرة خط عليها بضعة كلمات باللغة الإنجليزية : يجب إجراء هذه التحاليل والأشعة بأسرع وقت.

أومأ برأسه إيجابًا وهو يرافق الطبيب إلى الخارج ، عاد فى سرعة .. كانت الجدة تقبل رأسها وتحتضنها فى حبٍ واضح وهى تقول: حمدًا لله على سلامتك حبيبتى.

رفعت عينيها إليه عند دخوله لتطالعها عيناه الملهوفتان القلقتان.

لم ينطق بكلمة ولم يتحرك من مكانه فقالت فى مرح: هل سأموت؟

هتف فى غضب: لا تتفوهى بتلك الترهات.

تأوهت فى ألم وهى تتذكر ما حدث دفعة واحدة.. تلفتت حولها هاتفة: مشروعى.

نظر إليها فى تساؤل فتابعت: لقد كنت أحمل مشروع التخرج الخاص بى.. وضعته على بطاقة ذاكرة ثم انتبهت وهى تتابع: الحمد لله لقد وضعته فى جيبى.

تنهدت (الجدة) فى ارتياح وهى تتمتم بكلمات الحمد قبل أن تنهض من مكانها لتحضر لها كوبًا من الحليب تاركة إياها تحت عينى (يوسف)، الذى وقف يرقبها فى قلق صامت.. جعلها تشعر بالارتباك وهى تقول: كنت أود أن أعتذر عن كلامى السابق، فلم أكن أعلم أن سؤالى قد يجرحك إلى هذا الحد.

قال بابتسامة ضغيرة: أهذا اعتذار أم استدراج؟ أشعر أن الفضول سيقتلك لتعرفى القصة.. قالها وعقله يقفز عبر الزمن لسنوات عديدة مضت، ليستحضر منها شيئًا بعيدا.

❖ ❖ ❖

هتفت(سيلين) فى لهفة: إنها معلومات هامة ولكن كيف وصلت إليها.

قال (أحمد): لقد ساعدنى فيها شخص هو آخر من كنت أظن أنه قد يساعدنى.

تابعت بنفس اللهفة : وماذا سنفعل الآن؟. هل يمكننى أن أراه خلف القضبان؟

أحمد: لقد وضعت مع صديقى خطة محكمة سنبدأ فى تنفيذها عقب عودتى من أسوان، أنا لن أتوقف عن مطاردة هذا المدعو (تامر) حتى وأنا هناك اطمئنى.. ستقتصين منه لا محالة.

أشرق وجهها بالأمل فأضاء قسماتها التى سحرته بفتنتها النقية وهى تقول برقة فطرية: لقد أعدتنى إلى الحياة.. لست أدرى كيف أشكرك.

تطلع إليها لحظة كالمسحور قبل أن يفيق قائلًا فى رجولة:لم أفعل شىء حتى الآن يستوجب الشكر، من يستحق الشكر بحق

هو صديقى.

قالت فى امتنان : أبلغه كامل امتنانى وشكرى.

هز رأسه موافقًا : سأفعل.. أما الآن فأنا أحتاج إلى أن تقصى على ماحدث تلك الليله كاملا.

ظهر الألم على محياها بوضوح فتابع (أحمد) فى سرعة: هذه التفاصيل ستساعدنا حتمًا.. ولقد أبلغت أحد أصدقائى من المحامين ليساعدنا فى الشق القانونى فطلب مقابلتك ولكنى أشفقت عليك وأخبرته أننى سأحضر له كل المعلومات التى يحتاجها.

تنهدت فى حسرة : ماذا تريد أن تعرف؟

تراجع(أحمد) فى مقعده قائلًا : كل شىء.

❖ ❖ ❖

النبضة التاسعة

تنهد (يوسف) فى ألم وهو يقول فى مرارة: كانت تلك المدعوة أمى على علاقة برجلٍ آخر غير المدعو أبى، لازلت أذكر هذا اليوم الذى اكتشف فيه هذًا المدعو (أبى) ذلك،عندما أتى إلى البيت فى غير موعده، ليجدها مع ذلك الرجل فثارت ثائرته، وقام بضربهما فثارت هى الأخرى وتوعدته بالسجن،بعد أن فر عشيقها من المنزل ولم تمض ساعات حتى حضرت الشرطة لتلقى القبض عليه ولكنه فر قبل أن يصلوا إليه.

وبعد فرار أبى ظللت لعدة أيام فى البيت بمفردى.. لا أحد يسأل عنى أو يعلم من أمرى شيئا.. كنت أبكى ليل نهار، كنت أشعر بخوفٍ شديد.. كنت مرتعبا.. أتخيل كل شىء حولى كأنه شبح.. ظللت عدة أيام لا أجد ما آكله فى البيت سوى بضعة قطعٍ من الجبن.

عندما عاد ذلك الذى يُسمى (أبى) ، كان وجودى فى البيت مفاجأة قوية له .. وبدلًا من أن يحتضننى ويفرح بوجودى صب علىّ جام غضبه وراح ينتقم من تلك المدعوة (أمى) فى صورتى بل إنه قد أصر على إجراء تحليل الـ DNA لى ليتأكد من بنوتى.. وظل فترة يعنفنى على ما فعلته هى كنت أشعر أنه يحملنى أخطاءها وخطاياها.. كان كتفى الصغير لا يتحمل كل هذا.. أثقل كاهلى

ولم يراع أننى الطفل الصغير الذى لا ذنب له وقد حرم من أمه دون ذنب جناه وهاهو يتحمل مسؤولية خطأ هو ليس مسؤولًا عنه...ولم يكتف بهذا بل خطط لإبعادى عنه وعن البيت وكأنما وجودى أمام عينيه كان يذكره دائمًا بالخيانة والخديعة.

وفوجئت بعد عدة أيام بالمدعو (أبى) يذهب بى إلى مدرسة داخلية وهناك قضيت أسوأ أيام حياتى.

كان الأولاد يضربوننى و يتعاملون معى بشكلٍ غير آدمى بسبب اسمى ولأننى عربى.. رغم أننى أحمل الجنسية الأمريكية.. كنت منعزلا.. لا أحد منهم كان يرغب فى صداقتى.. كنت أبكى كل يوم وحدى وأدعو ذلك الإله الذى أخبرنى ذاك المدعو (أبى) عنه يوما.. كنت أطلب منه أن يخرجنى من هذا المكان و ينقذنى من هؤلاء الأولاد.. لكنه إن كان موجودا فهو لم يكترث لتوسلاتى ولم يأبه لدموع طفلٍ صغير..حتى فوجئت وأنا أبكى وأتوسل إليه بذلك المدرس الذى أتٍى من خلفى ووضع يده على كتفى وقال كلماته التى غيرت مسار حياتى وأخبرنى أننى أدعو أحدًا غير موجود.. وأننى علىّ أن أصنع حياتى بنفسى..وأننى الوحيد القادر على تغيير حياتى وليس أحد آخر..وكان من ضمن ماقاله هو إنه يلمح فىّ ذكاءً غير عادى.. وكانت تلك هى اللحظة التى غيرت مجرى حياتى فأخذت أنفق وقتى فى القراءة والكمبيوتر وألعب إحدى رياضات الدفاع عن النفس حتى أستطيع حماية نفسى من الأولاد هناك..وشيئًا فشيئًا أصبحت أجد متعتى فى القراءة واستمتع وأنا

اقرأ لكبار الكتاب ، أصبحت شغوفًا بالقراءة فى كل المجالات وبدأ عالم الكمبيوتر يستهوينى، إنه عالم افتراضى لا يزعجك فيه أحد تتحكمين فيه كما يحلو لك.. كَوّنَت الكثير من المعارف عليه فلم يكن لدىّ أصدقاء.. حتى أصبحت بارعًا فى هذا المجال تحت رعاية أستاذى الذى أولانى من عطفه واهتمامه ما عوضنى عن غياب ذاك الأب المزيف وتلك الأم الحقيرة التى لم تفكر فى طفلها ولو لحظة واحدة..

صمت لوهلة وهو يستطرد: لن تصدقى أننى كنت رغمًا عنى أقارن بينك وبينها وأتساءل كيف لفتاة صغيرة مثلك أن تعتنى بإخوتها إلى هذا الحد.. حينما قبضت على عنقى خشية على عقيدتهم أدركت كم أنت مختلفة وكم أنت على استعداد لفعل أى شىء لحمايتهم.. وسألت نفسى ماذا ستفعلين إذًا لأبنائك..صمت لحظة وارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة وهو يستدير نحوها: أدركت أنك ستكونين أمًا رائعة و....

بتر عبارته وقد هاله مرأى الدموع التى سالت على وجنتيها فى غزارة فقال فى قلق: لم تبكين؟

أجهشت بالبكاء قائلة من بين دموعها : لقد تألمت كثيرًا وأنت طفل صغير.

تمتم فى مرارة: لقد اعتدت أن أعيش مع الألم.

كفكفت دمعها وهى تقول فى حذر: ولكن الله لم يتخل عنك واستجاب لتوسلاتك فأرسل لك ذلك المدرس.

تطلع إليها لحظات دون أن يجيب وإن توهجت عيناه بنار الحقد فأسرعت تغير مجرى الحوار بذكاء : أنا آسفة لأننى أنا أيضًا عاملتك بقسوة وكنت أزعجك.

همس فى خفوت: لا عليك ربما إزعاجك الدائم كان من أفضل الأشياء التى حدثت فى عمرى.

هتفت فى لهفة: حقا.

أومأ برأسه إيجابًا وقد ازدان وجهه بابتسامة صغيرة ، فتابعت فى فضول: حسنًا أكمل.. ماذا حدث بعد ذلك؟

❖ ❖ ❖

تطلعت (سيلين) أمامها فى شرود وهى تستحضر تلك الذكرى الأليمة ، بدا على وجهها الألم وهى ترى ذلك الطريق الموحش أمامها وتلك الشاحنة العملاقة التى سدت الطريق أمامهما، أدرك على الفور أن أمرًا سيئًا يحدث فأطلق سبابًا ساخطًا وهو يرجع بالسيارة للخلف فى سرعة قائلًا: هذا ما حذرتك منه.

تساءلت فى قلق: ماذا هناك؟

فتح فمه ليجيبها ولكن اصطدام سيارته بتلك الشاحنة التى أغلقت الطريق خلفهما وأوقفت سيارته بين الشاحنتين جعله يهتف وهو يفحص المنطقة بعينيه: أغلقى الأبواب جيدا.

أسرعت تنفذ طلبه وقد بدأ الذعر يتملكها وبلغ منها مبلغه حينما ترجل (تامر) من الشاحنة الأمامية ومعه عدد من الرجال الاشداء وهو يتجه نحو سيارتهم فى برود.

صاح هو فى سرعة: اتصلى بأحدٍ ممن كان معنا فى حفل الزفاف واتصلى بالمنزل .. أسرعى.

جرت يدها على شاشة الهاتف فى توتر وهى تبحث فى عقلها عن أحدٍ ممن كانوا معها فى الفرح حتى عثرت عيناها على رقم إحدى صديقاتها تركتها خلفها هى وأسرتها.. راحت تتصل بها فى إصرار حتى أجابتها فى المحاولة الثانية.. أخذت تتحدث فى هلع بينما (تامر) يقترب فى بطء مميت فى حين راح هو يقيس المسافة بعينيه قبل أن يقدم على تلك الحركة المجنونة و يندفع بالسيارة فجأه ليصطدم بـ (تامر) وحراسه فأصاب اثنين من حرسه وألقى بهما على جانب الطريق ثم دار بالسيارة حول نفسها وقد صرخت إطاراتها فى عنف وهو ينزلق بالسيارة إلى جانب الطريق و يخترق تلك الأرض الرملية التى شكلت أشجار النخيل فيها عائقًا أمام تقدم السيارة السريع ولكنه راح يناور بها فى مهارة و(تامر) يزمجر خلفهم فى غضب وهى تجرى اتصالات عدة عل أحدهم يتمكن من اللحاق بهم وانقاذهم حتى ارتجت السيارة فى عنف وقد أطلق أحد الرجال رصاصة على إطارها الخلفى فانفجر فى عنف ولولا قوته وسيطرته على السيارة لانقلبت على جانبها.. حاول الاستمرار فى قيادتها ولكن وابل النيران الذى انهمر على السيارة كمطرٍ غزير أدى إلى انفجار الإطار الثانى للسيارة مصحوبًا بصوت (تامر) وهو يهتف: أريدهم أحياء.

زمجرت السيارة فى عنف قبل أن تعلن عصيانها وتتوقف نهائيًا

عن العمل.. حدقت فيه بوجه حاكى بياض الموتى فربت على وجنتها قائلًا فى حنان: لا تغادرى السيارة أبدًا وسجلى كل ما يدور.. لا أريد لهذا المجرم أن يفلت بفعلته.

صاحت فى ذعر: لا.. لا تنزل من السيارة.. لا تتركنى عدنى بذلك.

قال فى حب: سأظل دائمًا بجوارك أرعاك وأطمئن عليك.

تطلع إلى اقتراب (تامر) منهم فتابع فى سرعة: لا تتوقفى عن التسجيل واتركى الهاتف فى مقدمة السيارة ولا تحركيه من مكانه... مهما حدث.. لن يُفلت هذا المجرم من العقاب.

أجهشت ببكاء حار وهى تقول: ولكنه أفلت من العقاب.

قال (أحمد) فى قوه: لا لن يفلت.. ولو أفلت من عقاب الأرض فلن يفلت من عقاب السماء .. صمت لحظة ثم قال وهو يحثها على مواصلة الحديث: أكملى.. ماذا حدث بعد ذلك؟

❖ ❖ ❖

تنهد (يوسف) قائلًا : لا يوجد الكثير لقد حصلت على العديد من الجوائز فى علوم الحاسب الآلى وتمكنت من اختراع عدة أشياء صغيرة وازداد اهتمامى بتصنيع الإليكترونيات الدقيقة وخاصة الرقائق الاليكترونية وحصلت على العديد من الجوائز ثم ارتدت تلك الجامعة العريقة وتخرجت منها وحصلت على الدكتوراة فى فترة وجيزة للغاية وأصبحت من أصغر الأساتذة فى الجامعة وعكفت على اختراعاتى.

قالت فى اهتمام: من كان ينفق عليك؟

ضيق عينيه فى تساؤل : ماذا تعنين؟

أجابت فى سرعة: من كان يدفع لك مصروفات الجامعة؟ على حد علمى مصروفات الجامعات فى الولايات المتحدة عالية فمن كان يدفعها؟

غمغم فى استياء: ذاك المدعو عمك.

قالت فى حذر: إذًا هو لم يتركك أو يتخل عنك.

تمتم فى مرارة: يمكنك أن تنفقى على كلب هناك الكثير من المال.

تابعت فى جدية : كلا لو كان حقًا لا يريدك ولا يريد أن يتحمل مسؤوليتك ما أنفق عليك وأنت فى المدرسة الداخلية ولا فى الجامعة.. لا أنكر أنه أخطأ حين تركك ولكنه كان فى ظروف نفسية سيئة، ولم لا تفسر ما فعله أنه أراد حمايتك من نفسه... كلما رآك كان يتذكر تلك المرأة التى خانته والتى سرقت ماله وكادت تزج به فى السجن.. أعلم أنه لاذنب لك ولكنه لم يكن قادرًا على أن يتحمل تلك الصدمة.. ربما كان وجودك أمامه يذكره بكل هذا فكان يصب كل مشاعره السلبية عليك ولعله شعر تجاهك بالذنب وأراد أن يحميك من نفسه وأن يضمن لك تعليمًا جيدًا ، كما أعتقد أنه كان بحاجة ليبنى نفسه ماديًا من جديد.. وأعتقد أنه فى الجانب المادى لم يقصر معك أليس كذلك؟

بدا كالتائه وهو يجيب: بلى.

انتهزت الفرصة فتابعت فى سرعة : أعتقد أنك مدين له على الأقل بتعليمك أليس كذلك؟

صمت دون أن يجيب وإن أطلت حيرة متسائلة من عينيه فتابعت فى حذر : علمت من جدتى أنه يحتضر وحيدًا فى مستشفى بأمريكا.. أعتقد أن اتصال هاتفى صغير منك قد يسعده فى لحظاته الأخيرة.

تطلع إليها لحظة قبل أن يشيح فى غضب: هذا مستحيل.

قالت فى إحباط: عهدتك تتصرف بموضوعية.

هتف فى حده: ليس فى هذا الأمر.

حملت عينيها استعطاف ورجاء وهى تقول فى سرعة: لأجله (يوسف) إنه يحتضر هناك أشعر بالألم من أجله.. أرجوك لأجل خاطرى.

لم تنتبه إلى ما قالته ولكنه تطلع إليها لحظة قبل أن يقول بصوت عميق: لأجلك فقط.

❖ ❖ ❖

تطلعت (سيلين) إلي (تامر) وحراسه فى ذعر وهم يحملون مسدساتهم، وهروات ضخمة فى أيديهم ويقتربون من السيارة، قبل أن يهوى أحدهم بتلك الهرواة الضخمة على الزجاج الخلفى للسيارة فيحوله إلى قطع صغيره تناثرت فى السيارة واستقر بعضًا

منها على ثيابها ، صرخت فى رعب وهى ترى قطع الزجاج تتناثر عليها بينما قفز هو من السيارة فى سرعة وهو يلكم أقرب الرجال إليه ويأخذ هرواته الضخمة ويضرب بها رجلًا ثانيا.. تراجع الرجال أمامه فى خوف فقد كان يقاتل فى شراسة..استغل فرصة تراجعهم ليلتقط مسدس أقرب الرجال الفاقدى الوعى إليه وهو يتراجع نحو السيارة هاتفًا فى غضب: ابتعدوا جميعًا من هنا.

تراجع الرجال أمامه.. حاول أحدهم أن يقترب ولكن تلك الرصاصة التى أصابت ركبته جعلته يركع على قدميه وجعلت الجميع يتراجع.

أنزلها من السيارة وهو يلصق ظهره بظهرها جاعلًا وجهه فى مواجهة الرجال بينما تقوده هى نحو الشاحنة التى تسد الطريق.. صرخ (تامر) فى الرجال وهو يراه يكاد يصل إلى الشاحنة حتى ظهر أحد الرجال من خلف الشاحنة وأطلق عليه تلك الرصاصة الغادرة التى استقرت فى بطنه.. هوى على ركبتيه فى حين أخذ الرجال يندفعون نحوهم كالوحوش الضارية.. رفع مسدسه وأطلق النار عليهم بلا تمييز ليسقط ثلاثة منهم قبل أن يصل إليه الباقون ويشلوا حركته تمامًا والدماء تتفجر من بطنه.. صرخت وهى تتجه نحوه فى رعب وتلقى بنفسها فوقه قبل أن يحملها أحدهم ويقيدها بعيدًا وهى تصرخ فى لوعة.. أقبل (تامر) فى خيلاء ، أخذ يركله فى بطنه ركلاتٍ قوية زادت من تدفق الدماء ثم هوى على وجهه بصفعة قوية قائلًا: ماذا كنت تقول أيها الحقير؟.. آه كنت

تقول حذار أن تمسها.

ثم اتجه نحوها وهو يمسك بها من رسغها و يلقيها أرضًا بجواره فى عنف مستطردا: بم نعتنى أيتها الحقيرة؟.. آه نعتنى بالحيوان التافه.

اقترب منها فى وحشية وهو يتابع : أنا انتظر اعتذار الآن على ما تفوهتما به فى حقى.

بصقت فى وجهه هاتفة : أنت لا ترقى لمرتبة حيوان.. فالحيوانات لا تتصرف بهذه الخسة والحقارة أيها الجبان.. تواجه رجلًا أعزل وفتاة وأنت تحتمى وسط كتيبةٍ مسلحة.

مسح تلك البصقة عن وجهه وهو يقترب منه قائلًا بصوت كالفحيح: مارأيك فيما تتفوه به الأميرة الغبية.

رماه بنظرةٍ ملتهبةٍ قبل أن يهتف فى إعياء : حذار أن تمسها بسوء أيها الجبان.

هوى على وجهه بصفعةٍ ثانية وهو يقهقه فى جنون: هاقد رددت لك الصفعتين أيها المغرور والآن دور الأميرة الغبية.

ثم التفت إلى أحد الرجال صارخا: هل يتم تسجيل كل شىء ؟

أجاب أحد الرجال فى خوف: نعم سيدى.. نعم.

ابتسم (تامر) فى وحشية وهو يميل نحوه هامسًا فى أذنه : أنا لن أمسها أيها المغرور.. أنا فقط سأصمها بالعار إلى الأبد.. سأجعلها لا تستطيع مواجهة أحدٍ من البشر حتى تلقاك هناك فى العالم الآخر.

ثم غمزه بكتفه وهو يقهقه ضاحكًا فى وحشية: سأجعلك تشاهد فيلمًا إباحيًا قبل أن تموت.. أعدك أن ترى شيئًا لم تره من قبل.

صرخ فى قوة وهو يزحف نحوها ويلقى بجسده عليها ليحميها صارخًا فى ذعر: كلا.

ردد المكان صرخته وكأنما يستغيث هو الآخر، من بشاعة الموقف ولكن (تامرا) اقترب منه فى برود وهو يدفعه عنها فى قسوة ويقترب منها فى بطء جعلها تصرخ فى رعب وهى تهتف طالبة النجدة، ولكنه واصل اقترابه منها، ركلته بقدمها بين ساقيه فارتد للخلف فى قوة وهو يتأوه فى ألم.. استغلت هى الموقف لتقفز واقفة على قدميها وتطلق ساقيها للريح.

❖ ❖ ❖

طال صمته وهو يحدق فى سماعة الهاتف كأنما هى غطاء لبئرٍ مهجور يحوى داخله خطر مجهول، ولكن ذلك الصوت الضعيفً الواهن الذى عبر الأسلاك بصعوبة بالغة تشى بما يعانيه صاحبه هامسًا بكلماتٍ متقطعة : أمى أهذه أنت؟ مضت لحظات تسيد الصمت فيها الموقف ثم عاد الصوت الضعيف يجاهد ليخرج عبر الأسلاك وهو يتابع : هل تسمعينى؟

أجابته الجدة فى حزن: نعم يا ولدى.

حملت تنهيدة راحة بقايا صوتٍ خافت: أسأل الله أن يحفظك فليس لى سواك يسأل عنى.

هتفت (سارة) من على فراشها: هناك اليوم أحد آخر يسأل عنك.

ثم أشارت لـ (يوسف) أن يفك قيد فمه و يرسل بصوته شعاعًا من الأمل يبدد ظلام المرض.

عاد (يوسف) يتطلع إلى الهاتف فى توتر ثم لم يملك تحت إلحاح عينيها ونظراتها المتوسلة إلا أن يقبض على الهاتف فى قوة كأنما يقبض على عنق عدو مجهول، يريد أن يخنق بيده قلقه وخوفه من خطر لا يعرف له مصدرا.. فقال بصوت عميق كأنما يخرج من بئر: كيف حالك؟

ساد الصمت لحظات على الطرف الآخر قبل أن يأتيه الصوت با كيًا وهو يقول فى لهفة: هل هذا أنت بنى؟ هل هذا أنت؟ الحمد لله يا بنى أنا بخيرٍ طالما أنك بخير.

وقف صامتًا جامدًا كتمثال، بدا كطفل صغير تائه.. ألقى الهاتف وهو يبتعد وكأن شياطين الأرض تطارده.

التقطت (سارة) الهاتف وهى تقول فى سرعة: كيف حالك عمى؟

أجابها فى وهن: كيف حالك أنتِ و(مصطفى) و (إسلام) الصغير كيف حاله؟

أجابته على الفور : نحن فى خير حال لاينقصنا سوى وجودك بيننا.

همس فى حزن: لقد أوصيت بدفنى فى مصر.. إن لم أستطع العيش فى بلدى فعلى الأقل سأدفن فيها.

قالت فى ألم: لا تقل هذا عمى سوف تصبح بأفضل حال.

أشارت إليها الجدة لتتناول الهاتف منها وابتعدت وهى تحدث ابنها بصوتٍ خافت لتقص عليه كل ماحدث الفترة الماضية لابنه وما استمعت إليه من حواره مع (سارة) منذ قليل وماتشعر به من أنه قد بدأ يتعلق بـها.

تهللت أسارير (سليم) وهو يقص على أمه أمنياته بأن يرتبط ابنه بـ (سارة) فمنذ رآها فى زيارته الأخيره تمناها زوجةً لابنه، رغم كل العوائق التى تمنع زيجة كهذه وإنٍ كان فى داخله يشعر بالقلق لأنه يخشى أن يُكسر قلب ابنه كما كُسِرَ قلبه هو من قبل.

❖ ❖ ❖

سالت الدموع من عينيها.. ناولها (أحمد) منديلًا ورقيًا هاتفًا فى ألم : رباه لقد عانيتى كثيرا.

تطلعت إليه من بين دموعها وهى تقول: أصعب شىء على نفسى كان فقده.. هو لم يكن أخى فحسب بل كان صديقى وأبى ورفيق دربى وتوأم روحى.

همس فى رقة : على حد علمى لم يكن أخًا شقيقا لك.

هزت رأسها مؤكدةً كلامه : كلا إنه أخى من أبى.. لقد تزوج أبى من أمى وظلا لسنوات بدون إنجاب..إلى أن قرر جدى لأبى أنه من الضرورى أن يتزوج ابنه ليحظى بأطفال ، وقد رفض أبى لأنه كان يحب أمى كثيرا ولكنه تحت ضغط والحاح أبيه ورغبته فى إنجاب طفلٍ هو الآخر تزوج سرًا حتى لا يجرح أمى

وأنجب أخى (مهاب)، وكان مهاب بحق فقد كان يفرض احترامه ومهابته،فى أى مكان على الرغم من صغر سنه.. بعد ولادة مهاب بعامين قررت أمى الذهاب لحج بيت الله الحرام، وهناك توسلت إلى الله أن يرزقها بطفل وعادت من هناك برفقة أبى تحملنى فى أحشائها،وهى لاتعلم عن زواج أبى شيئا وعندما اكتشفت أنها حامل،كادت تطير من الفرح ولم تُطق صبرًا حتى تخبر أبى وتسعده، بالبشرى التى طالما انتظرها ولكنها عندما وصلت إليه فى مكتبه، كانت المفاجأة فى انتظارها لتكتشف أن أبى متزوج من أخرى.. لم تحتمل أعصابها وثارت وطلبت منه الطلاق ولكنه رفض وسمح لها بالسفر لدى أخيها،الذى يعيش فى أمريكا دون أن يعلم بحملها وسافرت أمى وأرسل خالى إلى أبى يخبره بأمرى وطار أبى إليها ليكون بجوارها وقت ولادتها،دون أن يدرى أنها تلك لحظاتها الأخيرة فقد توفيت عقب ولادتى مباشرة،وعاد بى أبى بعد أن سجل شهادة ميلادى هناك.. لذا أنا أحمل الجنسية الأمريكية.. ذهب بى إلى بيته واستقبلتنى (أم مهاب) فى البداية بشيءٍ من القلق إلا أنها كانت سيدة طيبة.. عاملتنى كابنتها تمامًا ولم أعرف أنها ليست أمى إلا عندما كبرت من الأوراق الرسمية أما (مهاب) فكان كل شيء بالنسبة لى كان يعاملنى كأننى طفلته وأخته وصديقته رغم أنه يكبرنى بثلاثة أعوام فقط، إلا أنه كان كل شيء بالنسبة لى حتى فقدته هكذا.. قالتها ثم أجهشت ببكاء حار.

همس فى حنان: ثقى بأنه حولك الآن يراك ويرعاك.

قالت في ألم: أحيانا كثيرة أشعر أنه قريب مني.. بجانبي يرقبني عن بعد.

تابع في سرعة ليخرجها من شجونها: ماذا حدث بعد ذلك؟

شردت ببصرها لحظات وعلا الألم ملامحها: لم يحتمل أبي الصدمة فأصيب بذبحةٍ صدرية توفي على إثرها بينما لم تسامحني أمه أبدًا واعتبرتني السبب في كل ماحدث لابنها دون أن تنظر إلى مدى خسارتي وكيف كنت بحاجة إليها وقد فقدت كل شيء في لحظة واحدة..

خنقتها العبرة فراحت تبكي في انهيار.. تركها تفرغ كل انفعالاتها حتى هدأت نفسها فقال: أنا آسف.. لقد أعدتك إلى الذكرى الأليمة.

- أنا لم أنس ماحدث لحظة واحدة فأنا أراه في يقظتي وفي منامي.

- والفيديو الذي سجله هاتفك أين هو؟

- لقد أحرق الحقير السيارة حتى يطمس جريمته.

- سنقتص منه أعدك بذلك.

أشرق وجهها وهي تقول: حين أراه معلقًا في حبل المشنقة وقتها أستطيع أن أحيا من جديد.

❖ ❖ ❖

تطلعت (رنا) إلى الترجمة التي أرسلها لها (أحمد) ، تمتمت

لنفسها : لقد كان الوغد محقًا.. يالى من غبية كيف أقوم بعمل رسالة ماجستير وأنا بهذا المستوى؟!.. أعتقد علىّ أن أعمل بجد واجتهاد أكثر.. صمتت لحظة وهى تراجع الأوراق التى أمامها : انتظر أيها المعتوه سترى كيف ستكون رسالتى!!

❖ ❖ ❖

استقلت (سيلين) سيارة الأجرة وهى تلقى لسائقها بالعنوان وفى داخلها تتصارع مشاعر شتى.. تشعر بالراحة ؛لأن هناك من يساندها ويسعى معها للقصاص، وتشعر بالألم لأنها أخفت عنه جزءًا هامًا من قصتها لم تبح به لأحد سوى أسرتها.. لم تبح له بسقوطها.

❖ ❖ ❖

النبضة العاشرة

تجمع الجميع حول (سارة) التى عادت من الخارج بعد إجراء الأشعة والفحوص اللازمة للتأكد من سلامتها ..راح أخوتها يمازحونها فى حب، انتهزت الجدة فرصة اجتماع أحفادها وتحدثت فى جدية مستطلعة رأى الجميع فى طلب الدكتور (حسام) الزواج منها، ألقى (يوسف) نظرة متفحصة على وجهها الذى تورد بحمرة الخجل وخفضت عينيها أرضًا فى حياء.. كان أول من نطق هو (إسلام) الذى رفض الأمر رفضًا قاطعًا أنعش داخله وشعر أن هناك من يسانده قبل أن ينكص الصغير على عقبيه عندما أخبرته الجدة بموافقة العريس على أن يسكن معهم فى نفس البيت وأنه لن يحرمه من أخته التى هى بمثابة أمه التى لم تلده فى حين نزلت كلمات (مصطفى) المشيدة بأخلاق العريس عليه كحمم بركانية تحرق داخله حتى جاء الدور عليه ليخرج البركان من داخله والجدة تصر على سماع رأيه الذى حاول عبثًا ألا يفصح عنه ولكن (مصطفى) قطع عليه الطريق وهو يقول مازحا: لن تتركك جدتى حتى تخبرها برأيك.. ثم أردف ضاحكا: هيا قل ما تريد أنت فى بيت ديمقراطى.

قال فى استياء: إنه شخص عادى تقليدى لا شىء مميز فيه. يوجد مثله الكثير.

قالت (الجدة) فى ارتياح : إذا أنت لاتوافق ؟

أجاب وهو ينظر إلى (سارة) التى غزا الاحمرار وجهها: هذا رأيى.

التفتت الجدة إليها فى مكر: وصاحبة الشأن ما رأيها؟

أجابتها فى حرج: أعتقد أننى سأنتظر شخصًا مميزا... قالتها ثم ولت هاربة إلى غرفتها.

تطلع الجميع فى أثرها بدهشة بينما احتفظ هو بملامحه جامدة و إن تخلله شعور بالسرور.

❖ ❖ ❖

تعلق (إسلام) بـ (يوسف) وهو يهتف : سأنتظرك يا صديقى.. ستأتى أليس كذلك؟

أومأ برأسه إيجابا فتهللت أسارير الصغير وهو يقفز ليطبع على وجهه قبلة ليدور بعدها على عقبيه و ينطلق فى أرجاء المنزل ناثرًا شيئًا من بهجته وسعادته قبل أن يوقفه (مصطفى) مازحًا : هذا ليس حفل تخرج من الكلية حبيبى.

ابتسمت وهى تتابعه بعينيها قائلة: لا تكن سخيفًا.. لا تفسد عليه فرحته.

أطلق (مصطفى) ضحكة عالية قطعها ليقول: أنا مشفقٌ عليه فقد كنت سعيدًا مثله حتى اصطدمت بالحقيقة المرة وا كتشفت أننى دخلت بنفسى إلى جحيم التعليم.

هزت كتفيها وقد ازدان وجهها بابتسامة صغيرة : ربما يصبح هو مختلفًا ويحب أن يتعلم.. ستذهب معى غدًا إلى حفل تخرجه فـ (أحمد) ليس هنا وجدتى لن تتحمل الجلوس فى تلك المقاعد لفترةٍ طويلة.

مصطفى: لن أستطيع.

هتف (إسلام) وهو يتقافز على الأريكة: صديقى كرة الثلج سيذهب معى ... ولكنى الآن أريد هديتى.

قال (مصطفى) فى مرح: وماذا تريد هدية التخرج من الحضانة؟

❖ ❖ ❖

(نزهة نيلية) نطق (يوسف) بتلك الكلمة فى استنكار وهو يحدق فى جدته التى وقفت أمامه مبتسمة.

تابعت (الجدة) فى سرعة: هذا ما طلبه (إسلام) كهدية تخرجه.

أشاح بيده فى ضيق : ولكن ليس لدى الوقت لهذا.

قالت (الجدة) فى إحباط: ولكن (إسلام) سوف يحزن أنت تعلم كم يحبك.

هز رأسه موافقًا فى استسلام فتهللت أسارير الجدة وهى تغادر مسرعة فى حين علا صوت (سارة)، طالبة من أخوتها سرعة النزول.

تلى ذلك صوت قفزات مرحة للولدين على درجات السلم.

❖ ❖ ❖

(لقد أعدت كل شىء منذ البداية.. هذا رائع) نطق الدكتور

(ماجد) بهذه العبارة فى تقدير وهو يتطلع إلى (رنا) التى قالت فى احترام: أنا آسفه دكتور لقد ظننت فى البداية أنك تحاول إذلالى وليس توجيهى ولكنى حينما أعدت النظر فى أوراقى بموضوعية، اكتشفت كم كنت مخطئة وأن كل ما قمت به لا يرقى لأن يكون بحثًا علميًا.

قال (ماجد) فى إعجاب: أنا أحترم من يعترف بخطئه وينقد عمله بموضوعية.. أنا الآن يشرفنى أن أكون مشرفًا على رسالة طالبة مجتهدة مثلك.

قالت (رنا) فى سعادة: شكرا لك دكتور.. هذا شرفٌ لى.

راقبها (ماجد) وهى تنصرف وبداخله بدأت تتكون فكرة عجيبة.

❖ ❖ ❖

اتكأ (يوسف) على حافة تلك العبارة النيلية فى شرود وعيناه تحاولان اختراق سطح النهر السميك الذى التمع تحت أشعة الشمس، كنهر من ذهب.. كان يغوص داخل نفسه يحاول أن يصل إلى الأعماق ولكن يبدو أن الغوص داخل النهر،أسهل كثيرًا من الغوص داخل النفس فها هى أعماقه تبدو مظلمة رغم اشتعال جزء منها،وهاهى جنبات نفسه تضيق عليه كزنزانة قاتمة كئيبة ..جذبه (إسلام) ببراءه خارجها وهو يقول: ألن تلعب معى؟

انتبه من شروده ، أمسك بيد الصغير ، ورفعه أمامه لينظر معه إلى صفحة ذلك النهر العظيم، الذى ينساب فى هدوء، ويعطى فى سخاء، ويفيض بكرم، ورغم جمال المشهد أمامه ونقاء الهواء من

حوله إلا أنه كان يلتقط أنفاسه بصعوبة وزفرات حانقة تشق صدره، كلماتها عن عدم استمتاعها بنزهة فى غياب (أحمد) أصابته بضيق شديد لايدرى له سببا، لا يفهم لماذا يشعر بهذا الغليان بداخله!! .. ماالذى تعنيه هى له لينتابه ذلك الشعور؟... تملكته حيرة شديدة فلأول مرة فى عمره يقف عاجزًا أمام تفسير مشاعره مما زاد من حنقه أكثر، لم يكن يومًا غامضًا على نفسه رغم الغموض الذى يحيط به نفسه دائمًا ولكن يبدو أن هذا الغموض تسلل إلى داخله حتى بات لا يعرف نفسه.

❖ ❖ ❖

تطلعت الجدة إلى (يوسف) لحظات قبل أن تطلب منها أن تذهب وتحضر (إسلاما) حتى لا يثقل عليه.. نهضت من مكانها وكادت تصطدم بأحد هؤلاء الشباب الذين يمرحون على ظهر العبارة ويجرون خلف بعضهم لولا أن انحرف الشاب فى سرعة، وهو يفلت من زميله بحركة رشيقة، اتجهت نحو (إسلام) طالبةً منه أن يعود معها لتلاعبه، ولكنه رفض فى براءة طالبًا منها أن تنضم للعب معهم فى لعبة الأحلام،ولكن كلماته الباردة استفزتها لأقصى حد وهى تخرج من فمه كقطع ثلج حادة : إنها لعبة تحتاج إلى إنسان لديه قلب ومشاعر وهذا ما لا تمّتلكينه.

حدقت فيه بدهشة قبل أن تقول فى سخرية: ولهذا أنت تلعبها يا كرة الثلج.

قال فى برود: الثلج أفضل من كتلة الحجر.

هتفت فى حدة : من تقصد بكتلة الحجر؟

أثارت وقفة (سارة) المتحدية أمام (يوسف) الذى وقف متحفزًا انتباه (مصطفى) الذى اقترب من جدته قائلًا : يبدو أن الحرب بينهما لن تنتهى، سأذهب لأرى.

اتجه مصطفى نحوهما فى حين هتف (إسلام) : ألا تكفان عن الشجار أريد أن ألعب؟

هم (يوسف) بالابتعاد وهو يقول فى برود: استمتع بوقتك مع كتلة الحجر.

تشبث به (إسلام) : لا تتركنى ياصديقى أنا أريد أن ألعب معك.

همت (سارة) بالرد عليه عندما اندفع ذلك الشاب الذى يجرى هربًا من زميله تجاههم وفقد توازنه فاصطدم بـ (يوسف) فى قوة أدت إلى اختلال توازنه ليسقط من فوق ظهر العبارة، وهو يهوى نحو الماء فى سرعة.

❖ ❖ ❖

أطلقت (سيلين) ساقيها للريح وصوته الخافت يتردد فى أذنيها أن أسرعى.

زادت من سرعتها وصوت (تامر) يهتف بكلابه ؛ليلحقوا بها حتى سقطت.. نعم سقطت على وجهها إثر رمية أصابتها بهرواة أحدهم وفجأة وجدت نفسها محاطة بكلاب الصيد، يحملونها إلى حيث سقط (مهاب) غارقًا فى دمائه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

شدوا وثاقها واقترب منها (تامر) وهى مقيدة قائلًا فى وحشية: لقد أضعت الفرصة على مهابك ليرى فيلمًا رائعا من إخراجى وبطولتى.

ثم التفت إلى (مهاب) الذى سالت دماؤه فى غزارة وهو يركله بقدمه فى بطنه ليزداد تدفق الدماء منها متابعًا فى تشفٍ: أنت الآن أصبحت (مهانا) لا (مهابا).. هيا مهان لترى أميرتك الغبية وهى تهان.

ثم أطلق ضحكة مجنونة وهو يهتف: لقد أصبحت شاعرا.. وراح يرقص ويغنى فى جنون : مُهان أميرتك تُهان.

ثم انقض عليها وراح ينتهك حرمة جسدها وهو يصيح فى المصور الذى معه أن يصور وبدقة وسط صرخاتها ودموعها وآلامها وعذابها وهى تنظر إلى أخيها، فى ضراعة كأنها تستجديه أن يفعل شيئا ؛ لم يحتمل المسكين فتحركت يده فى يأس ليصطدم بذلك الفرع الخشبى، التقطه وطوح به بما تبقى له من قوة ليصيب به (تامر) فى وجهه ، سالت الدماء من وجه (تامر) فصرخ فى جنون وهو يلعق دمه قبل أن ينهض، ويتجه نحوه وهو يركله فى بطنه بقوة صارخًا: مُهان حقير مثلك يضرب مثلى سأجعلك ترى الأسوأ.

ثم استدار إلى رجاله : أيها الرجال إنها لكم تمتعوا كيف شئتم وليأخذ كل منكم دوره كاملا.

شقت صرختان سكون الليل، صرخة إمرأة تُذبح ورجل يحتضر

❖ ❖ ❖

لم تدر ما الذى حدث وهى ترى جسد (يوسف) يطير من أمامها ليتخطى الحاجز الحديدى ويهوى نحو الماء فى سرعة، لم يشعر هو كيف حدث هذا فآخر ما يذكره هو أنه كان يقف بجانب السور عندما اصطدم به الشاب بقوة فاصطدم بذلك الجزء المتهالك من الحاجز الحديدى الذى انهار تحت ثقله ليهوى به نحو الماء فى سرعة.. فجأة توقف جسده فى الهواء وأمسكت به قبضة قوية، رفع رأسه ليطالعه وجهها وهى تقبض على كفه بقوة، لا يعرف كيف امتلكتها وهى تميل بجذعها كله وتصرخ طالبةً المساعدة.

هتف فى قوة: أفلتينى ستسقطين معى.

قالت فى إصرار: كلا لن أتركك.

صاح وجسده يتأرجح فى الهواء: أيتها المجنونة ستسقطين، اتركينى.

دفعت بيدها الحرة الحاجز الحديدى وهى تتشبث بيده فى قوة وألم، بينما أقبل الناس خلفها وراح (مصطفى) يجذبها من الخلف حتى تحافظ على اتزانها وهى تتشبث بـ (يوسف) أكثر.. فى حين علا صراخ (إسلام) وبكاءه واقترب منها أحد الرجال قائلًا : دعينى أنا أمسك بيده يا آنسة.

صاحت فى قوة: لديه يدًا أخرى أمسك بها فأنا لن أفلته.

أشار الرجل لـ (يوسف) ليناوله يده الأخرى.

أسند (يوسف) قدمه إلى جدار العبارة ثم طوح بيده الأخرى حتى التقطها الرجل وراح يجذبه فى حين أتى أحد الرجال من خلفهم بحبل معقود ألقاه حول وسط (يوسف)، وهو يصيح اتركوه..

ولكن يد (سارة) تيبست حول يده ورفضت أن تتركه.

راح الناس يجذبونه ولكنه لم يكن يشعر إلا بيدها، التى أحكمت غلقها على يده وهى تتشبث بيده فى قوة وتجذبه إلى الأعلى، ساعدها الشاب الذى دفعه ورفاقه وهم يجذبونه فى قوة حتى صعدوا به إلى ظهر العبارة والكل يتمتم بكلمات الحمد.

لامست قدمى (يوسف) أرض العبارة ، تنهدت فى ارتياح فى حين اقترب منه الشاب الذى دفعه قائلًا فى آسف: أعتذر لم أكن أقصد.

صاحت فى حدة: كدت تقتله.. هل هذا مكان مناسب كى تلعب أنت ورفاقك بهذه الطريقة؟

قال الشاب فى أدب: أنا أعتذر سيدتى لن نلعب هكذا مرة أخرى.

أشار إلى الشاب بهدوء: لا عليك.. لم يحدث شىء.

ولىّ الشاب مسرعًا أمام نظرات (سارة) الغاضبة التى التفتت إلى (يوسف) صائحة: وأنت ماذا تنتظر؟ لم تقف بجوار السور ثانية؟ هل تريد أن يصدمك أحدهم مرة أخرى وتسقط هذه المرة فى قاع النيل؟

قال بابتسامةٍ ماكرة: حسنًا.. اتركى يدى كى أستطيع الحركة.

تطلعت فى ذهول إلى يدها التى لازالت تقبض على كفه فى قوة، انتفضت وهى تترك يده وتتراجع إلى الخلف تكاد تتعثر من الخجل.

❖ ❖ ❖

جلس (يوسف) إلى المائدة بجوار جدته بينما جلس (إسلام) على ساقه وهو يغمر وجهه بالقبلات قائلًا: الحمد لله يا صديقى أنك بخير.

ربت على رأسه وقد شرد ببصره لحظة، وهو يتذكر تلك النظرة الملهوفة فى عينيها.. لأول مرة يشعر أن هناك من يهتم لأمره، و يخاف عليه بل قد يؤذى نفسه لأجله.. علت شفتيه ابتسامة حالمة وهو يتذكر صياحها فى وجهه مثلما تصيح فى (إسلام) بالضبط وهى تطلب منه الابتعاد عن السور شعر للحظة أنه طفل صغير تخشى عليه أمه أن يصيبه مكروه.. كان يشعر بمشاعر جديدة مختلفة عليه لم يمر بها من قبل.

راقبته جدته وهى تبتسم فى حنان، قطع عليه شروده ضحكة (مصطفى) العالية وهو يقول: لقد وبختك (سارة) كما توبخ أحدنا ظننتك ستنفجر فيها.

لم ينتبه إلى حديثهم السابق ولكن الجزء الذى التقطه من جملة (مصطفى) جعله يدرك مضمون الحوار.. هَمّ بقول شىء ولكن الجدة نهضت من مكانها طالبةً من (مصطفى) اصطحابها إلى الحمام.. مما أعفاه من الرد.

تابع الجدة بعينيه لحظات قبل أن يديرهما إلى (سارة) التى جلست صامتة و إن بدا على ملامحها التوتر ، همس فى رقة : شكرًا لك.

قالت دون أن تنظر إليه : لا داعى لذلك كنت سأفعل ذلك مع أى شخص.

همس فى مكر: حقًا.. وهل كنت ستتشبثين بيده بهذا الشكل؟

هتفت فى ضيق: أنت ابن عمى.

تابع بلهجة مستفزة: على أية حال شكرًا لك.. رغم أننى أجيد السباحة.

صاحت فى سخط: حسنًا ذكرنى بهذا فى المرة القادمة حتى أتركك تسقط فى قاع النهر.

قال فى اهتمام: هل حقًا كنت خائفة علىّ؟

أجابته فى برود : وهل تعتقد بأن كتلة الحجر يمكن أن تخاف على أحد؟

ثم نهضت تاركةً إياه يتابعها فى صمت.

❖ ❖ ❖

جلست (رنا) وسط مجموعة من الطلاب أمام دكتور (ماجد) الذى قال فى هدوء: سنقوم الآن بتجربة لمساعدة أحد زملائكم فى بحثه.

تركزت أعين الجميع عليه، بينما أشار هو لأحد زملائهم لينهض، ويشرح تجربته فقام زميلهم بتوزيع بعض الأوراق عليهم، تحوى رسمًا هندسيًا عبارة عن دائرة ثم قال فى هدوء: الشكل الذى بين أيديكم هو مربع.

تطلع إليه الجميع فى دهشة وقال أحدهم: ماهذا؟ ! إنه دائرة.

ابتسم زميلهم وهو يقول: وهذا بالضبط ماسنقنع به الشاب

الذى سيدخل علينا حاملًا نفس الورقة التى تحملونها بين أيديكم.. سنعمل جميعًا على إقناعه بأن مايراه هو مربع وليس دائرة وهو ما نسميه (تضليل المفحوص).

❖ ❖ ❖

استندت (سارة) إلى سور المركب حيث سقط (يوسف) ، وقفت تُلقى ببصرها نحو صفحة الماء الهادئة، وقد تراءى لها وجهه على صفحة الماء..راحت تتذكر كيف أمسكت به، وذلك الرعب الذى سيطر عليها وهى تراه يندفع نحو الماء فى سرعة.. لاتدرى ماذا حل بها؟ كيف جذبته من فكى الموت الذى بدا كشبح مخيف،يرقد فى قاع النهر منتظرًا ضحيته الجديدة؟ من أين امتلكت تلك القوة التى جذبته بها؟هل هى قوة أنجبها الإدرينالين حين مر فى عروقها؟ أم هى قوة الحياة فى مواجهة قوة الموت؟

ترى هل حقًا كانت ستصاب بهذا الذعر، إذا كان شخص غيره، هو من سقط فى النهر؟!.. عادت تهدئ نفسها بأنه ليس شخصًا عاديًا إنه جزء من عائلتها كـــ (أحمد) و (مصطفى) بالضبط.. ارتاح بالها عندما وصلت إلى تلك النقطة وهدأت مشاعرها المختلطة وسكنت نفسها قليلا.. قطع عليها خلوتها صوت (يوسف) الذى استند إلى حافة المركب بدوره وهو يقول فى مكر: ألا تخشين السقوط؟

تطلعت إليه لحظات وهى تجيب فى برود: كتلة الحجر لا يصيبها شىء إذا سقطت فى الماء.

ارتفع حاجباه فى تسليه فى حين تعلق (إسلام) بـها وهو يهمس

لها : هناك حفل يقام هنا للاحتفال بعيد ميلاد أحد اصدقائى.

سألته فى دهشة: هل هو صديقك فى المدرسة؟

أجابها الصغير : كلا ليس لى أصدقاء فى المدرسة.. لقد تعرفت عليها هنا وهى قامت بدعوتى لحضور حفل ميلادها.

أطلق (مصطفى) الذى أتى من خلفه ضحكة عالية قائلًا : بهذه السرعة ! أصبحت خطيرًا يا (إسلام) .. ثم تلفت حوله وهو يستطرد: أين تلك الفاتنة الصغيرة؟

أشار (إسلام) إلى ركن انهمك الجميع فيه فى وضع اللمسات الأخيرة للحفل قبل أن تشير طفلة صغيرة بيدها إلى (إسلام) الذى لوح لها بيده فى سعادة.

راقبه الجميع ثم انفجروا ضاحكين.

هتف (إسلام) : هيا بنا.. ثم وقف مترددًا للحظة قبل أن يتابع: ولكن هناك مشكلة، لم أحضر هدية كيف سأذهب إلى الحفل؟

انفجر (مصطفى) ضاحكا : هذا كثير.

فى حين قالت (سارة) فى جدية: فعلًا هذه مشكلة دعنا نبحث عن حل... لا يوجد هنا ما نشتريه يصلح كهدية لطفلة فى سنها.. ماذا علينا أن نفعل؟

حك (إسلام) رأسه فى حيرة قائلًا : لا أدرى.. ربما يمكننى أن أعطيها مصروفى وهى تشترى ما تريد عندما تعود.

قهقه (مصطفى) ضاحكًا : تعطيها مصروفك بأكمله من أول

يوم تعارف.. ماذا ستفعل بعد شهر ؟ هل ستتنازل لها عن نصيبك فى المنزل؟

ابتسم الجميع وكتمت (سارة) ضحكتها فقال (يوسف): أنا سأساعدك، اذهب واستأذن أن نلتقط لها صورة.

أسرع (إسلام) نحو الفتاة وتحدث مع والدتها قليلا التى ابتسمت وأفسحت المجال للصغير ليلتقط الصورة عاد (إسلام) متهللًا وهو يناول الهاتف لـ (يوسف) الذى أخرج حاسوبه المحمول وأدخل الصورة إليه.. راحت أصابعه تعمل فى سرعة ومهارة، حتى انتهى.. تأمل الجميع ذلك الفيلم القصير الذى أعده (يوسف) للفتاة بعد أن غير فساتينها فى كل صورة والخلفية خلفها.. فتارة يجعلها فى حديقة، وتارة يجعلها تطير فى السماء، بجناحين وأخرى لها فوق قمة الهرم، وأخرى فوق شلالات نياجرا، تأملت (سارة) الصور بإعجاب وراقتها موسيقى عيد الميلاد، التى رافقت الصور وهى تهتف: رائع.

ناول (يوسف)لـ (إسلام) بطاقة ذاكرة صغيرة.

تطلع اليها (إسلام) لحظه قبل أن يقول فى دهشة: ماهذا؟

أجابه فى سرعة : الهدية.

استدار (إسلام) لينطلق صوب الفتاة ولكن (سارة) أوقفته وهى تخرج من حقيبتها علبة مخملية زرقاء فتحتها ثم وضعت بطاقة الذاكرة داخلها والتقطت فلاشتها من داخلها وأسقطتها فى حقيبتها وهى تقول: انتظر سأذهب معك.

❖ ❖ ❖

انتهت التجربة وسط ضحكات الجميع بينما قال الشاب الذى شاركوا فى تضليله: لقد أديتم أدواركم ببراعة حتى أننى شككت فى مستوى النظر عندى.

ابتسم الدكتور (ماجد) فى وقار : ما الذى نستفيده من هذه التجربة؟

تباينت ردود الطلاب فقال أحدهم: الثقة بالنفس.

بينما قال آخر: لا تنخدع بأراء الآخرين فربما أنت فقط على صواب.

علا صوت ثالث: ليس الصواب دائمًا مع الكثرة،فالله يقول عن الكثرة ولكن أكثرهم فاسقون ولكن أكثرهم لا يؤمنون، وقليلٌ من عبادى الشكور، فربما كانت القلة هى التى على الحق.

قالت (رنا): إن التشكيك فى أى شىء أمر سهل للغاية، ماعليك إلا أن تتظاهر بالثقة فيما تقول حتى تجعل من أمامك يشك في الحقيقة التى يراها.

علَّق (ماجد) فى إعجاب: كلكم على صواب ونلخص ما قلتم (لا يصبح الخطأ على وجه حق بسبب تضاعف الانتشار، ولا تصبح الحقيقة خطأ لأن لا أحد يراها)

❖ ❖ ❖

تطلعت والدة الطفله (كنزى) إلى (سارة) التى قالت فى سرعة: هذا فيلم قصير للجميلة (كنزى) سيكون رائعًا لو سمحتم بعرضه.

ابتسمت السيدة فى امتنان : لست أدرى كيف أشكركم.

بادلتها (سارة) الابتسام : لا داعى للشكر إن (إسلام) لم يحظ بأصدقاء منذ فترة طويلة.

قالت السيدة: الحفل سيبدأ بعد قليل.. سيسعدنا وجودكم.

ردت (سارة) على طلبها فى أدب : سأعرض الأمر على أسرتى.

عادت (سارة) برفقة (إسلام) إلى جدتها لتخبرها ؛ اقترب منهم رجل مهذب يبدو فى أواخر الثلاثينات من عمره، وقف على مسافة مناسبة منهم ثم عرف عن نفسه بأنه والد الطفلة (كنزى) وقد قَدِمَ بنفسه ليدعوهم إلى الانضمام للحفل وأعرب عن شكره وامتنانه لهذا الفيلم الرائع.

❖ ❖ ❖

وقفت (سارة) تتابع (إسلام) بعينيها وهو يلعب لعبة الكراسى الموسيقية ، راحت تصفق له وتشجعه بينما أخذ (مصطفى) يصفر له كلما حصل على فرصه إضافية فى اللعبة، فى حين وقف (يوسف) يراقب ما يحدث أمامه وعيناه تتابعانها وهو يسأل نفسه لم هو شغوف بها وبمتابعتها إلى هذا الحد؟!.. ما المميز فيها الذى يجعله يشعر بالسعاده وهو يراقبها؟!.. ماالمثير فيها إلى الحد الذى يجعله يشعر ببهجة غير عادية كلما تحدث معها رغم أن أغلب كلامهما شجار.. ماالذى يجذبه إليها وماتلك المشاعر البدائية التى تجتاحه عندما يشعر أن هناك من يشغل بالها غيره أو يشعر أنها قد تهتم بسواه؟؟.. ماعاد يستطيع فهم نفسه أو تفسير تلك التفاعلات

التى تحدث بداخله !!.. لأول مرة يشعر بتلك المشاعر.. كيف يتحول شخص من أكثر شخص يزعجك إلى أكثر شخص ترتاح لوجوده؟!.. كيف لشخص هو على النقيض معك تمامًا فى كل شىء أن يصبح أكثر شخصٍ تتوافق معه؟!.. ماذا يسمى ما يحسه؟.. أيكون هذا هو الحب؟!.. غير معقول لقد أحب من قبل ولم يشعر أبدًا بتلك المشاعر.. أم أن هذا هو الحب وحبه السابق لم يكن أبدًا حبا؟!.. ما عاد يدرى.. كل ما يعرفه أنه كان سعيدًا جدًا عندما وقفت توبخه عند السور.. تملكه شعور غريب لم يحسه من قبل.. كان يشعر بالأمان والاهتمام.. كان يحس أنه... قطع شروده صوت (مصطفى) وهو يهزه فى قوة قائلًا: هل تلعب معى؟

انتبه فجأة متسائلًا عما يعنيه فتابع (مصطفى) فى سرعة: كنا نتفق على لعبة الأقدام المربوطة سأشرحها لك.. كل اثنين يربطان قدميهما معًا و يقفزان معًا حتى يصلا إلى خط النهاية.. هيا

تمتم فى تردد: ابحث عن غيرى.

قال (مصطفى) فى مرح: غيرك من؟.. جدتى؟

أجابه فى سرعة : أختك.

صاح (مصطفى) فى استنكار: كلا بالطبع كيف تقفز (سارة) أمام الرجال هكذا وماذا إن سقطنا أرضًا.. كلا بالطبع.

تطلع إليه (يوسف) لحظة وأدهشه أنه هو نفسه استنكر الصورة فقال فى حسم: حسنًا هيا بنا.

❖ ❖ ❖

أنهى دكتور (ماجد) كلامه قائلًا : أتمنى أن تكون تجربة زميلكم قد أفادتكم.

هز الجميع رؤسهم فتابع : سنقوم الآن بتجربة أخرى وهى الصورة الذهنية.

ثم ناولهم بعض الأوراق وهو مستمرٌ بالحديث : هذه الأوراق تحوى بضعة كلمات أريد من كل منكم أن يكتب أمامها كلمةً واحدة هى أول مايتبادر إلى ذهنه عند رؤية هذه الكلمة.

تطلعت (رنا) إلى الورقة أمامها والتى حوت بضعة كلمات مختلفة مثل العِلم.. البيت.. الأصدقاء.. فتى أو فتاة الأحلام.

سارع الجميع بكتابة أول ماتبادر إلى ذهنهم عن تلك الكلمات.

قال (ماجد): الآن لكم مطلق الحرية من أراد مناقشة التجربة معنا فليجلس ومن لم يرد يمكنه أن يترك ورقته.

تغلب فضولهم العلمى على ماعداه.. فجلس الجميع وراح دكتور (ماجد) ينطق الكلمة و كل طالب يُعلن ما كتبه وهو يناقشهم بصبر حتى وصل إلى فتى أوفتاة الأحلام فألقى نظرة سريعة على إجاباتهم قبل أن يقول : هنا تباينت الإجابات فهناك من كتبت وسيم.. وهناك من كتب ملكة جمال.. وهناك من كتب أمى..وهناك من كتب أسماء لأشخاص أما أغرب إجابة فكانت عالم آثار.. فلو أرادت صاحبتها مناقشتها معنا نرحب بها.

قالها وعيناه تتجهان نحوها مباشرة تبعته أعين بقية المجموعة فقالت فى ارتباك: لست أدرى إنها فقط مقولة أعجبتنى لـ (أجاثا

كريستى) (أفضل زوج يمكن للمرأة أن تتزوجه هو عالم آثار، فكلما زاد عمرها زاد اهتمامه بها.)

تعالت ضحكات الجميع فغزا الاحمرار وجهها ولكنها تابعت فى ثبات لم تتخيل لحظة،أنها تمتلكه: قد يحتاج المسنون إلى رفيق يهتم بهم، أكثر من حاجتهم لمن يهتم بهم فى مرحلة الشباب حيث هم قادرون على الاهتمام بأنفسهم.

قال (ماجد) بلهجة خاصة: الإنسان دائمًا بحاجة لأن يشعر بالاهتمام ولكن تتفاوت درجة الاحتياج من وقتٍ لآخر.

❖ ❖ ❖

تطلعت (سارة) إلى المتسابقين وراح الواقفون كلٌ يشجع من يعرفه.. وأغرق الجميع فى الضحك وهم يتابعون أولئك الرفيقين السمينين وهما يقفزان فيهزان سطح المركب مع مزاح الجميع معهم ومداعباتهم وهم يتوسلون إليهم أن يتوقفوا وإلا انهار بهم السطح فأجاب أحدهم: دعونا نفوز ونحن نتوقف.

تابع الجميع ذلك العجوز وزوجته وهما يقفزان فى رشاقة لا تتناسب مع عمريهما بينما قبض (يوسف) و(مصطفى) كلا منهما على كف الآخر، وهما يقفزان برشاقة نافسهم فيها زوج آخر من الشباب وعلا التصفيق والتشجيع للفريقين، راحت تقفز مشجعةً لهم حتى انتهى السباق بفوزه وأخيها.

جلس على الأرض هو و(مصطفى) يفكان قدميهما.. تطلع (يوسف) إلى حيث كانت هى واقفة تبتسم فى سعادة، كانت

تتحدث مع (إسلام) ثم تبدلت ملامحها فجأة وتجهمت وذلك الشاب يقترب منها، توترت عضلاته وهو يقفز واقفًا على قدميه وبسرعة البرق كان يقف بجوارها قائلًا فى خشونة: ماذا هناك؟

أجابته فى سرعة: لا شىء.. فقط أخطأ العنوان.. هيا بنا .

❖ ❖ ❖

عاد إلى البيت كان قد استمتع حقًا بهذا اليوم، لم يقض يومًا رائعًا بهذا الشكل من قبل ، أتاه (إسلام) ليشكره على الهدية التى أعدها لـ (كنزى) ودعاه ليقضى معهم بعض الوقت بالخارج، خرج من حجرته ليجدها جالسة وحدها، جذبه (إسلام) من يده فتأوه لحظة جعلتها تقفز من مكانها هاتفة فى قلق: مابك؟

أجابها مُطمئِنًا: لا شىء.. فقط يدى تؤلمنى قليلا.

تمتمت فى ارتباك: أنا آسفة يبدو أننى جذبتك بشدة.

قال فى لهجة خاصة: يبدو أننى انجذبت حقا.

شعرت بأوصالها ترتجف وأخذت أجراس الخطر تدق داخلها فتحركت من أمامه وهى تقول فى توتر: سأحضر لك كمادات دافئة ستساعد فى تخفيف الألم.

أوقفها قائلًا: كنت تريدين أن تعرفى هل خانتنى أخرى تدعى (سارة).. أليس كذلك؟

تغلب عليها فضولها فهمست فى حذر: ليس ضروريًا.. طالما أن أمرًا كهذا يزعجك.

جلس على المقعد المجاور وهو يتابع : ربما كان مزعجًا فيما مضى. صمت لحظة ثم نظر إليها نظرة خاصة وهو يتابع ببطء: أعتقد أنه لن يكون كذلك بعد الآن.

صمت لحظة بدا خلالها أنه لن يتكلم قبل أن يقول بصوتٍ خفيض: كان اسمها (سارة).. (سارة أندرسون) ، كانت فاتنة بكل ما تحويه الكلمة من معان.. باهرة الحسن.. خلابة الصوت.. أشعرتنى بالحب والاهتمام.. فعلت المستحيل لتحصل على حبى ولكنى اكتشفت أنه كان حبًا زائفا.. كانت جاسوسة..

شهقت مرددة: جاسوسة ؟ !!!!!

أجابها فى شرود : نعم.. كانت جاسوسة لمنظمة دولية.. كانت تسعى لسرقة مشروعى.. راح يقص عليها تفاصيل علاقته بها منذ رآها لأول مرة فى تلك الكلية العريقة حيث كان يلقى إحدى محاضراته حتى أودعها السجن.

جاهدت لتكتم دموعها وتحبسها داخل مقلتيها وهى تسأله فى خفوت: هل أحببتها حقا؟

نظر إليها نظرة طويلة قبل أن يقول فى بطء: لو سألتنى قبل أن أتى إلى هنا لأجبتك بنعم.. ولو سألتنى منذ عدة أيام لأجبتك بأننى لست أدرى ولست متأكدا..ولكن اليوم يمكننى أن أخبرك بأننى أدركت أننى لم أحبها يوما.. لست أدرى ماذا يمكننى أن أسمى مشاعرى نحوها. ربما كان افتتان بجمالها أو انبهار بها أو رغبة فى أن أشعر أن هناك من يحبنى ويهتم لأمرى فى هذا

العالم... ربما كان كل هذا مجتمعا... ولكن ما تأكدت منه اليوم أنه لم يكن حبا.. وأننى لم أُكِنَّ لها الحب على الإطلاق.

هتفت فى دهشة: ولكنك كنت على وشك الزواج منها؟

أجابها فى هدوء : نعم كنت سـأتزوجها لولا أن تعجلت بكشف حقيقتها القبيحة.. وربما كان هذا أفضل ما حدث لى.. ربما كانت قصة ذلك المدعو أبى ستتكرر ثانية.

تنهدت فى ارتياح : الحمد لله أن نجاك منها.

قال فى لامبالاة : لن أدخل معك فى جدل حول من السبب فى نجاتى منها.. ولكننى الآن سعيد على أية حال أننى لم أتزوجها.

همست فى أسى : لقد عانيت كثيرًا فى حياتك.

تطلع إلى عينيها مباشرة.. شعرت أنها وقعت أسيرة عينيه لم يتكلم بلسانه، كان صمته أبلغ من كل الكلمات.. شعرت وكأنها تواجه عاصفة عاتية من المشاعر المتضاربة التى ضربت روحها بعمق.. غرقت فى زرقة عينيه.. سقطت فى دوامة رهيبة لا قرار لها، كانت تجاهد لتلتقط أنفاسها.

لم تدر كم مر من الوقت وهى أسيرة لديه قبل أن تجاهد لتحرر نفسها من أسره قائلةً فى ارتباك: سأذهب لأنادى جدتى.

أدرك محاولتها للفرار فوقف كصياد يحاصر فريسته وهو يقول فى نعومة: لم؟

أجابته بارتباك أشد: لـ... لترى يدك.

ثم فرت من أمامه وقلبها يدق كطبول الحرب.

تابعها بعينيه وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة.

❖ ❖ ❖

هرعت (سارة) إلى غرفتها أغلقت عليها بابها.. كان جسدها ينتفض بقوة.. لا تدرى ما الذى حدث لها.. لا تستطيع أن تفهم ما مرت به حين نظر فى عينيها.. شعرت بكلمات كثيرة تحيط بها.. موجات عديدة تخترقها.. شعرت بنفسها تدخل مجال الجذب الخاص به وتدور فى فلكه..

نفضت عن نفسها مابها وهى تحدث نفسها فى ذهول: ماذا حدث؟.. ما الذى حدث؟.. لا لم يحدث شىء لم يحدث شىء.

❖ ❖ ❖

ألقى بنفسه على فراشه وهو يتذكر تلك اللحظة.. لن ينسى نظرتها الملهوفة القلقة ويدها التى تحجرت حول يده والخوف والرعب اللذين أطلا من عينيها وهى تقبض على كفه خشية أن يسقط فى النهر... توبيخها له كان أروع كلمات يمكن أن يسمعها فى حياته.. أصبح واثقًا من أن مشاعره نحوها مختلفة تمامًا عما كان يشعر به نحو (سارة أندرسون)... لا يستطيع أن يصف مشاعره نحوها.. يريد أن يقضى بقية حياته بجوارها.. يستمتع باهتمامها وعطفها ورعايتها.. يستمتع بحنانها وحيوية أحاديثها وصخب الحياة الذى تحمله فى كل حركاتها.. يرغب بأن تشاركه أفراحه وأحزانه وبأن تكون كاتمة أسراره، التى يلقى إليها بهمومه ويفضى

لها بمكنون صدره.. لم يشعر يومًا أنه يثق بأحد حتى يفضى له بمكنون صدره،وبما يجيش داخله ولكنه يشعر أنها الوحيدة التى حازت ثقته.. راح يسأل نفسه إذا لم يكن ما يشعر به نحوها هو الحب.. فماذا عساه أن يكون؟!!

❖ ❖ ❖

علا رنين هاتف (سارة) التى ألقت نظرة كسولة على الشاشة قبل أن تقفز لتتلقى اتصال (أحمد) بابتسامة واسعة هاتفة: أخيرًا تذكرتنى.

عَبَرَ صوته الهاتف ليصل إليها مصحوبًا بضحكةٍ قصيرة : لقد وصلت أمس وأرسلت لك رسالة أطمئنك على وصولى وكان لدى عمل فلم أستطع الاتصال.

قالت فى مرح: عفوت عنك هيا قص علىّ كل ماحدث فى اليومين الماضيين وكل ما أخبرتك به ولا تنس شيئا.

قص عليها كل ما أخبرته به (سيلين).. استمعت إليه ولم تقاطعه حتى انتهى من روايته،فقالت فى حزن: رباه مسكينة هذه الفتاة لقد تعرضت لحادث بشع .. كيف استطاعت أن تتحمل كل هذا؟!

تنهد فى ألم : إنها فتاة قوية للغاية ، عندما أعود سأعرفك عليها أعتقد أنها ستكون بحاجة إلى صداقتك الفترة القادمة.

همست فى مكر: تبدو مهتمًا بها أكثر من مجرد شخص يرغب فى المساعدة.

قال فى مرح : كُفى عن لعب دور (رنا) معى أيتها الماكرة.

هتفت فى غضب مصطنع : هل تشبهنى بـ (رنا) أنت بحاجة لتعديل سلوك يستغرق مائة عام على الأقل.

ضحك قائلًا : أعتذر حبيبتى... هيا أخبرينى كل ماحدث معك فى اليومين الماضيين وإياك أن تنسى شيئا.

ابتسمت بدورها وراحت تقص عليه ماحدث.

❖ ❖ ❖

وقف (إسلام) على منصة التخرج.. بدا سعيدًا للغاية ؛ لأنه من الأوائل على مدرسته فى حين راحت (سارة) تلتقط له الصور بينما جلس (يوسف) يراقبها فى استمتاع ، انتهت من التقاط الصور له ثم عادت إلى مقعدها بجواره فابتدرها قائلا: ستكونين أمًا رائعة.

شعرت بدماء الخجل تتصاعد إلى وجهها وهى تتمتم : شكرًا لك.

ظل ينظر إلى تورد خديها وعينيها الساحرتين حتى قاطعته فى ارتباك: ستصعد معه على المنصه لتلقى الكلمة عند تكريمه.

همس فى صدق : أنت أحق بهذا منى فإليك يرجع الفضل فى تفوقه.

تنهدت فى حزن : لنقل أنه يفتقد وجود الأب أكثر بكثير من الأم فجدتى عوضته حقا وهو فى هذا الوقت يحتاج إلى رجل فكل من صعدوا إلى المنصة كانوا رجالا.

صمتت لحظة ثم استطردت فى توتر: أعلم أن حضورك أسعد (إسلام) للغاية لذا أريد أن يكون كلامك على المنصة أيضا يسعده؛

لا أريدك أن تسبب له الحرج بأرائك العقائدية ؛ فهذا ليس مجاله.. أعلم أنك قادر على إبهار الجميع لذا أرجوك اجعله فخورا بأسرته اليوم.

تطلع إليها طويلا قبل أن يقول: سأفعل.

❖ ❖ ❖

صعد (يوسف) إلى المنصة وتقدم من مدير المدرسة ، صافحه فى قوة ثم قال بصوته العميق الواثق: أنا سعيد بوجودى فى مثل هذا الحفل وأشكر إدارة المدرسة على مجهودها ، والحقيقة أن (إسلام) رجل متميز حقًا وكما يقولون خلف كل عظيم امرأة وخلف تفوق (إسلام) المهندسة (سارة) أخته الكبرى.

قالها ثم صفق بيديه وهو يشير إليها ، التفتت نحوها كل العيون فألقت إليه بنظرة عتاب رقيقة وقد غزا الاحمرار وجهها.

عاد يتابع كلامه فى سرعة فيأسر سمع الحاضرين : (أدم سميث) كان يقول (العلم هو دواء لسموم الخرافات).. وبرنارد شو كان يقول (احذر من العلم الزائف، فهو أخطر من الجهل) لذا نرجو من إدارة المدرسة الاهتمام بتعليم الأطفال علمًا حقيقيًا لكى يكونوا مفكرين ومبدعين وليس مجرد أدوات لتحصيل الدروس بلا علم.

وإيمانًا منا بذلك؛ فقد تبرع (إسلام) للمدرسة بهذا الشيك من أجل تطوير الوسائط التعليمية،

قالها وهو يحمل (إسلام) بين يديه ويناوله شيكًا ليسلمه بنفسه للمدير الذى احتضن (إسلام) وقبله وهو يشكر (يوسف)، وقد

ضجت القاعة بالتصفيق لهما بينما تهلل (إسلام) فى سعادة وهو يطبع على وجه (يوسف) قبلة سريعة،فى حين راحت هى تلتقط لهما الصور وقلبها يرقص طربا.

❖ ❖ ❖

دلفت (سارة) إلى المنزل يتبعها (إسلام)الذى تعلق بقبضة (يوسف) فى سعادة لتجد (رنا) بانتظارها فى الداخل وهى تستقبلها هاتفة: حفلة تخرج هذه أم حفلة تأبين لم تأخرتم هكذا؟

قال (إسلام): لقد كانت حفلة رائعة، ثم التفت إلى (يوسف) وهو يقول: شكرًا لك يا صديقى.

قبله (يوسف) قبل أن ينسحب إلى غرفته فى سرعة فى حين قالت (رنا) فى دهشة: هل حضر كرة الثلج الحفل مع (إسلام)؟ كيف تقدمين على أمر كهذا؟.. ماذا لو سبب الحرج لـ (إسلام)؟

أجابتها فى هدوء: كلا لم يفعل لقد كان رائعًا، هيا أخبرينى كيف تسير رسالتك؟

رنا: من الناحية العلمية تسير بشكل ممتاز فدكتور (ماجد) رائع ومتميز علميًا، لولا أنه على وشك أن يصبح أصلع.

ضحكت (سارة) قائلة : بسيطة قومى بتعديل سلوك لشعره.

قذفتها (رنا) بتلك الوسادة المخملية فالتقطتها (سارة) هاتفة: انتظرى فنحن بحاجة إلى خبراتك النفسية.

توقفت (رنا) وبرقت عيناها على الفور وهى تجلس كحمل وديع

وترهف سمعها إلى (سارة) التى راحت تقص عليها كل ما يتعلق بـ (سيلين).

❖ ❖ ❖

أخرج (يوسف) حاسوبه واسترعى انتباهه تلك البطاقة.. أمسكها بين يديه تأملها لحظة ثم تذكر أنها سقطت منها داخل حقيبته حينما كانوا على ظهر العبارة.. أطبق عليها كأنما يتلمس فيها روح صاحبتها هَمَّ بـأن يضعها داخل حاسوبه ليفض محتوياتها ولكنه عاد فسحبها ، ثم غلبه فضوله فوضعها بداخله... ليظهر أمامه مشروع التخرج.

التهمت عيناه تفاصيل المشروع واشتعلت أعماقه بغضبٍ لاحدود له... شعر بأن كل شىء حوله ينهار..

ذلك العالم الوردى الذى كان يخطو إليه تحول فجأه إلى عالمٍ أسود..

شعر كأن خنجر مسموم قد انغرز فى قلبه وسمم روحه..

❖ ❖ ❖

النبضة الحادية عشرة

لم يشعر بنفسه إلا وهو ينطلق صوب غرفتها ، اصطدم بها فى الردهة الواسعة متجهةً نحو المطبخ.. نظرت إليه لحظة كانت عيناه قاتمتين غائمتين.. شعرت بالتوتر.. فَرَّت من أمامه وهى تتجه نحو المطبخ، لحق بها ، استوقفها فالتفتت إليه فى توتر.. فتح كفه لترى فلاشتها مستقرة فى يده فهتفت فى فرحة: إنها لى.. كيف وجدتها؟

هوى على وجهها بصفعه قوية وهو يرمقها بإزدراء صائحًا فى غضب: خائنة حقيرة.. كلكن سواء..

حدقت فى وجهه بذهول : هل جننت؟

قال فى غضب: بل أفقت أيتها اللصة الحقيرة أنتِ أحقر مخلوقة عرفتها فى حياتى.. أنتِ..

(كفى) أوقفه ذلك الصوت الصارم الذى ارتفع من خلفه.. التفت ليجد (الجدة) تتجه نحوه فى حزم وهى تتابع بنفس الصرامة: لا أسمح لأحد مهما كان أن يخطئ فى حقها و ينعتها بتلك الصفات.

تجمدت ملامح (سارة) وهى ترفع كفها تتحسس مكان الصفعة،حيث استقرت أصابعه تاركة بصمات حمراء فوق بشرتها البيضاء،ورغمًا عنها سالت الدموع من عينيها فى صمت وهى تقف مصدومة.

نقل بصره بينها وبين (جدته) لحظة قبل أن ترتطم عيناه بتلك الدموع التى هزته من الأعماق وجعلته يكره نفسه؛ لأنه أسالها فقال وهو ينصرف: أنا سأسافر غدًا ماعاد باستطاعتى البقاء فى هذا البيت.

قالت الجدة فى برود صارم: هذا أفضل..

تطلع إليها لحظة فى دهشة ثم تركهم خلفه ، دخل غرفته وصفق الباب فى عنف.

اتجهت الجدة نحو (سارة) واحتوتها فى حنان هامسةً : ماذا حدث؟

دفنت (سارة) وجهها فى صدر جدتها وأجهشت ببكاء حار وهى تقول: لست أدرى.

احتضنتها الجدة وانتظرت حتى أفرغت كل انفعالاتها على صدرها وقصت عليها كل ما حدث.

❖ ❖ ❖

انتهى (يوسف) من حزم أمتعته وهو يجرى اتصالًا بشركة الطيران ليحجز لنفسه مقعدًا.. أغلق هاتفه وراح يجمع حاجياته حين سمع طرقًا على باب غرفته،لم يكن يريد أن يرى أحد ولكن الباب فُتح لتدخل (جدته) دون انتظار إذنه على غير عادتها.

أشاح بوجهه بينما نقلت بصرها بينه وبين حقائبه المعدة.. تقدمت إلى داخل الحجرة وهى تقول فى ضيق: لمَ أهنتها وجرحتها بهذا الشكل؟

غمغم فى ألم: اسأليها.

الجدة: لقد سألتها وهى لا تعرف سببًا لما حدث.

قال فى حزن: لقد خانتنى بعد أن وثقت بها، اكتشفت أنها لا تختلف كثيرًا عن تلك الخائنة الحقيرة التى حاولت قتلى من أجل حفنةٍ من المال لقد سرقت حفيدتك المبجلة بحثى.

هتفت فى ذهول: مستحيل.. (سارة) لا يمكنها أن تفعل ذلك أبدآ.. كيف تتهمها بتهمة بشعة كهذه؟

هز كتفيه فى حيرة : هذا ما حدث لقد سقطت الفلاشة خاصتها فى حقيبتى حين كنا على المركب وعندما فتحتها وجدت أنها سرقت بحثى وقدمته على أنه مشروع تخرجها، لذا كانت تعاملنى بلطف حتى يتسنى لها ذلك.

صاحت فى استنكار : ماذا تقول؟!.. (سارة) تعمل على مشروع تخرجها منذ ثلاث سنوات وكلما عرضته على دكتور أخبرها بأنه مشروع خيالى وأنها تعيش فى عالم الأوهام ولكنها كانت مصممة عليه.

قال فى تهكم مرير: ولما يئست من قبول أحدٍ لمشروعها سرقت بحثى!!!!.

قالت فى حزم: مستحيل هى لا تفعل ذلك أبدا.. انتظرنى لحظة.

غابت الجدة لدقائق ثم عادت تحمل الكثير من الأوراق وضعتها أمامه قائلة : هذا ما تعمل عليه (سارة) منذ ثلاث سنوات.. لم تُلق بورقةٍ منها كانت تحتفظ بكل محاولاتها حتى الفاشلة منها.

تطلع (يوسف) إلى الأوراق فى حذر ثم راح ينظر فيها بنهم.. كانت محاولات جادة مختلفة عن محاولاته ولكنها تؤدى إلى نفس النتائج.. أيقن أنه قد أخطأ فى حقها فأطرق برأسه وهو يقول: إنه حقا مشروعها.

ربتت على كتفه : لقد تسرعت يا ولدى وأخطأت فى حقها خطأً فادحًا.. لقد أهنتها وصفعتها ولم يسبق لأحد قط أن قام بضربها.

شعر بألم عميق وهو يتذكر صفعته تلك.

راقبت الجدة ملامحه لحظة ثم قالت بلهجة آمرة: والآن أعد أمتعتك مكانها وعليك الاعتذار لها

تمتم فى تردد: هل ستقبل؟

هزت الجدة كتفيها وهى تقول: لست أدرى ولكن عليك المحاولة.. هذا حقها.. ثم غادرت الحجرة لتتركه غارقًا فى أفكاره.

هو لا يدرى لم فعل هذا .... ما الذى جعله يشعر بتلك النار حينما ظن أنها سرقته؟ هو فى العادة كان سيوقعها فى شر أعمالها ويزج بها فى السجن كما فعل من قبل.. لم يشعر بكل هذا الغضب حتى مع خيانة (سارة أندرسون) له.. رغم هيامه بها إلا أنه لم يشعر بمثل تلك الطعنة التى استقرت فى قلبه حين ظن أنها خدعته... هل هو حقا يحبها؟..هل ما يشعر به نحوها هو الحب؟.. أم هو الود والثقة؟..وإذا كان يحبها فما السبب؟.. مالذى يدعوه لحبها؟.. قد يكون عاجزًا عن تفسير مشاعره نحوها ولكنها حتمًا تعنى له الكثير هذا ما أصبح واثقًا به.. وهذا ما يفسر حالة الغضب الأعمى

التى انتابته والتى جعلته عاجزًا عن تمييز ما يفعله.

❖ ❖ ❖

أغلقت حجرتها عليها كما أغلقت عينيها على دموعها .. تشعر بالقهر.. لم يسبق لأحد أن امتدت يده عليها.. لم يسبق أن أهانها أحد بهذه الطريقة.. تشعر أنها جُرِحت فى الصميم.. كطير ذبيح يهوى نحو اليابسة بسرعة البرق، ترى كرامتها الجريحة تنزف أمامها على أرض المهانة، تنظر إلى كبريائها مضرجًا فى دمائه تحت سكين الاتهام الظالم.

ارتفعت طرقات على باب حجرتها.. أسرعت تكفكف دمعها وتلملم كبرياءها المحطم وهى تأذن للطارق بالدخول.. دخلت (جدتها) حاملةً كوبًا من عصير الليمون، هبت نحوها فى سرعة لا تتناسب مع جراحها النفسية العميقة وهى تحمل عن جدتها الكوب وتعاونها على الجلوس.

تأملتها (الجدة) لحظات قبل أن تقول فى بطء: مشروع تخرجك هو موضوع بحثه.. ظن أنك قد أخذت بحثه، ويريد أن يعتذر لك.

قالت فى حزن: يظن أننى سرقته.. كم هو حقير؟ لن أقبل اعتذاره أبدا..

قالت فى إشفاق : عهدتك تسامحين دائمًا مهما كان الخطأ.

أنهت (سارة) الحوار : لم يسبق أن صفعنى أحد واتهمنى بالسرقة..أرجوك.. لا أريد أن أسمع اسمه ثانية.

❖ ❖ ❖

ظلت (سارة) حبيسة غرفتها طيلة اليوم حاول الذهاب إليها والاعتذار لها ولكن الجدة نصحته ألا يقترب منها فهى فى حالةٍ نفسيةٍ سيئة لم ترها فيها من قبل.

آلمه ذلك كثيرا وحز فى نفسه أكثر انفراج أساريرها عندما قدم (أحمد) .. صحيح هى لم تخبره بما حدث كما لم تخبر أحدًا من إخوتها ولكن كلماتها لـ (أحمد) كانت أقسى عليه من الذبح بسكين بارده، وكيف أنها تشعر بالأمان حينما يكون موجودا... آلمته تلك الكلمات، بعثرته تماما، جرحته فى الصميم، شعورها بالأمان مع غيره طعن رجولته طعنة غائرة، ولكنه عاد يضمد جرح كرامته بجراح كبريائها.

تابعها وهى تخطو نحو المطبخ الذى لم تدخله منذ صفعها، كانت تسير شاردة حزينة، تشعر بأن شيئا ما داخلها قد كُسِر.. تأمل وجهها لحظة كانت شاحبة الوجه منتفخة العينين من أثر البكاء، لعن نفسه فى داخله وكره يده تلك التى امتدت علي وجهها الجميل فتركت بصمات التهور والحماقة عليه.

انتظر حتى أشعلت الموقد ثم اقترب منها فى هدوء حتى وقف بجانبها... انتفضت حين رأته، همت بالمغادرة.. لكنه لم يمهلها إذ فاجأها بوضع يده على النار المشتعلة.. صرخت وهى تدفعه بعيدا عن النار هاتفة فى ذعر: ماذا تفعل أيها المجنون؟

نظر إلى وجهها الملتاع قائلا فى ألم: أنا أؤمن بالعقاب العادل.

صاحت فى غضب: وهل تظن أن ذلك هو العقاب العادل.

قال فى ألم: إذا أخبرينى كيف يمكننى الاعتذار على ماحدث.. أعرف أننى آلمتك كثيرًا وأننى أهنتك بشدة ولا أجد لنفسى عذرًا سوى أننى.. أننى قد وثقت بك كثيرا.

غمغمت بنفس اللهجة الغاضبة: عذر أقبح من ذنب.

همس فى ارتباك: لم يسبق لى أن اعتذرت عن شىء.. هذه المرة الأولى التى أعتذر فيها لذا لست أدرى ماذا على أن أفعل؟

أمسك بيده التى احترق جلدها وقد آلمته بشدة وظهر ذلك على قسماته فهتفت فى حدة: ضع يدك تحت الماء..أم تحتاج لمن يخبرك بهذا أيضًا؟

هز رأسه رافضًا كلامها : لن أضعها حتى تقبلى اعتذارى و إلا فاتركيها تلقى جزاء ما اقترفت.

قالت فى سخرية مريرة: وهل صفعتنى وحدها دون أمر منك؟

أجابها فى حزن: لست أدرى ماذا علىّ أن أفعل.. أنا حقا أشعر بالخجل.

ألقت عليه نظرة طويلة : (مارك توين) كان يقول (الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يخجل: لأنه الوحيد الذي يفعل ما يُخجل)

ثم تركته وانصرفت دون أن تتم ما أتت إلى المطبخ من أجله.

مضى على هذا الحوار عدة أيام حاول خلالها كثيرا أن يعتذر بطرق مختلفه ولكنها كانت عصية على قبوله.

❖ ❖ ❖

جلس (يوسف) بجوار (أحمد) وهو يشير إلى شاشة الحاسوب الخاص به قائلا: المشكلة التى تواجهنى هنا أن البلد مازالت تستخدم النظام الورقى ولا تستخدم الكمبيوتر بشكل كامل.

قال (أحمد) فى إحباط: هل يعنى أننا لن نستطيع إثبات شىء؟

قال فى اهتمام : ألم تقل إنك حصلت على شاهد ؟.

- نعم ولكن الرجل يكاد يموت من الرعب ولا أضمن ثباته معنا حتى النهاية خصوصا بعد أن استقر (تامر) فى مصر.

- أمهلنى يوما وسأصل إلى بريده الالكترونى.

- أتعلم.. لم أظن أبدا أنك قد توافق على مساعدتى؟

قال فى برود: ولم طلبت مساعدتى طالما كنت واثقًا من رفضى لها.

ضحك (أحمد) وهو يقول: عمومًا هذا لا يشكل فارقًا طالما ستساعدنا.

❖ ❖ ❖

ارتفعت طرقات رصينة على باب الجدة.. أذنت للطارق بالدخول، انزاح الباب كاشفًا عن (يوسف) يقف على عتبته فى ارتباك ارتفع حاجباها فى دهشة، وهى ترحب به ترحيبًا بالغا.. خطا إلى حجرتها التى يدخلها لأول مرة، بخطواتٍ مرتبكة.. ترددت قدميه كثيرًا قبل أن تهم بالعودة من حيث أتت.. أدركت الجدة ما يعانيه فلحقت به وأجلسته على مقعد وثير وهى تكاد تطير من الفرحة ولكن فرحتها تجمدت فى حدقتيها وهو يخبرها بأنه قرر

السفر والعودة من حيث جاء..دقت داخلها أجراس الخطر وراح الخوف يصول ويجول بداخلها وهى تلقى عليه سؤالا حذرا: هل لديك عمل هناك؟

أجاب فى ضجر: سئمت الجلوس هنا.

تنهدت الجدة فى ارتياح وقد أدركت أن قراره بالسفر ليس إلا لغضبه منها فتابعت بنفس الحذر : هى لاتزال غاضبة.. أليس كذلك؟

هتف فى حنق: فلتذهب إلى الجحيم .. لقد حاولت استرضاءها أكثر من مرة ولكنها لاتقبل واعتذرت بأكثر من طريقة وهذا شىء لم أفعله فى عمرى كله.

قالت فى مكر: لم تريد الرحيل إذًا ؟ لقد أديت ما عليك اتركها كما تشاء هى لاتتحدث معك وأنت لا تتحدث معها على الأقل ستحظى هنا بالخصوصية ويمكنك أن تكمل عملك بهدوء.

غمغم فى ضيق: كلا سأرحل.

ربتت الجدة على كتفه قائلة : لا عليك حبيبى سأنهى هذا الوضع السخيف.

فتحت باب حجرتها منادية على (سارة) التى أقبلت مسرعة ووقفت على عتبتها مصدومة تحدق فى (يوسف) الجالس فى حجرة جدتها.

قبل أن تبادرها الجدة بالكلام آمرة إياها بقبول اعتذار (يوسف) الذى أطرق برأسه لحظات قبل أن يرتفع حاجباه فى دهشة،عندما

قبلت بهدوء شارحةً،أنها لاتعصى أمرًا لجدتها التى قبلتها بدورها وربتت على وجنتها، فعرض عليها أن يمنحها الفرصة التى حلمت بها وهى أن تعمل معه فى مشروعه و يقدم باسميهما ووافقت بكل سرور.

❖ ❖ ❖

عادت (سيلين) و(تارا) إلى البيت بعد أن التقيا (سارة) و (رنا).. ما إن دخلت (تارا) إلى المنزل حتى راحت تقص على والدتها كعادتها كل ماحدث فى لقائهما بهما وراحت تمتدح فيهما وتثنى عليهما وخصوصًا (رنا) بينما تطلعت(سيلين) إلى (تارا) وهى تحكى وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة واسعة لم ترها خالتها منذ سنوات مما جعلها تقدم على دعوتهما للغداء.

فابتسمت (تارا) : هذا جيد ماما لقد أعجبتنى (رنا) حقًا..أتمنى أن أرى كرة الثلج أيضا.

علقت (سيلين) بابتسامة صغيرة : أتخيل لو أن شخصية مثله التقت بمثلك لأمطرك ببعض المقولات عن الجدية والالتزام.

هتفت فى استنكار: وهل تظنين أننى كنت أمنحه الفرصة أساسا.. صمتت لحظة ثم تابعت: ولكن (سارة) شخصية لطيفة.

أومأت برأسها موافقة : نعم إنها رائعة لقد أعادت لى جزءًا من نفسى.

❖ ❖ ❖

ألقى (أحمد) نظرة سريعة على تلك الرسالة الالكترونية التى أرسلها له (يوسف) قبل أن يبتسم فى سعادة هاتفًا: كم أنت عبقرى؟

التقط هاتفه وهو يطلب رقمًا وانتظر حتى سمع صوت محدثه ثم قال : أهلا (رامى)... افتح بريدك الالكترونى وانظر إلى الرسالة التى سأرسلها إليك وأخبرنى برأيك.. لقد أرسلتها إلى صديقى المحامى بالخارج لنرى رأيه فى كيفية الاستفاده منها.

أجابه (رامى) وهو يفتح بريده الالكترونى ويتطلع إلى تلك البيانات والأرقام التى تراصت أمامه فى دهشة: كيف حصلت عليها؟

قال فى سرعة: ليس مهمًا كيف حصلت عليها.. المهم كيف نستفيد منها؟

حدق (رامى) فى البيانات لحظات قبل أن يقول: نبلغ النائب العام.

تطلع (أحمد)إلى البيانات لحظة ثم قال فى مكر : بل سنبلغ شخصًا آخر.

رامى فى لهفة: من؟

أجابه فى غموض : عندما نلتقى سأخبرك.

❖ ❖ ❖

عملت (سارة) بجد مع (يوسف)...اكتشف خلالها كم هى عبقرية ومنظمة ولقد عاونته كثيرا ، بينما انبهرت هى بعلمه وذكائه اللامع وعبقريته النادرة كانت تستمتع بالعمل إلى جواره.. أصبحا يمضيان الكثير من الوقت معا.. يتخلله دائما اقتحام (مصطفى) و (إسلام) ومزاحهما معهما تارة وتذمرهما من انشغال

كلاهما بشكل كبير.. اعتاد على وجودها بجواره أغلب الوقت، أصبح يستمتع برفقتها وحنانها واهتمامها خاصة عندما تصدر فرمانًا بوقف العمل حتى يأكل ؛لأنه ينسى نفسه تمامًا أثناء العمل.

خفة ظلها كانت تُنسيه الوقت... عندما يأوى إلى فراشه يظل مستيقظًا يسترجع كل تعليقاتها المرحة ويبتسم فى سعادة.. حتى حواراتهما حول العقيدة وخلافهما الفكرى أصبح لا يزعجه بل يجده وسيلة ناجحة، لحوارٍ مستمر بينهما، يستمتع خلالها بحماستها لقضيتها...أصبح واثقًا من مشاعره نحوها.. إنه يحبها حقا ويريد أن يقضى بقية عمره بجوارها.. ولكنه لا يستطيع أن يفسر مشاعرها نحوه إنها تهتم به كأنه أحد إخوتها وتدلله كأنه طفلها وتعمل معه كتلميذة.. أحيانًا يشعر أنها تحبه بعمق وأحيانًا أخرى يشعر أنه لا يعدو كونه ابن عمها ورفيق بحثها.. صمم أن يكتشف بنفسه حقيقة مشاعرها نحوه عليه أن يدفعها إلى الإفصاح عن ذلك ولكن كيف؟

❖ ❖ ❖

تعددت اللقاءات بين (سيلين) و(سارة) و(رنا) وتوطدت أواصر الصداقة بينهما وبدأت (سيلين) تستعيد بعضًا من نفسها عندما تكون برفقتهم وحرصت الفتاتان على مشاعرها فلم تشر إحداهما من قريب أو بعيد إلى تلك الحادثة قط وقدَّرت هى ذلك.

❖ ❖ ❖

جلس (أحمد) بجوار (رامى) الذى همس فى توتر: كيف

سنفعل ذلك دون أن نبلغ النائب العام؟

أجابه فى غموض: أمثال (تامر) ليس للقانون عليهم سبيل،ولهم رجالهم الفاسدون فى كل مكان ولديهم من الحيل القانونية ما تجعلهم يخرجون من جرائمهم كالشعرة من العجين.

هتف (رامى) : ماذا سنفعل إذًا بهذه الوثائق؟

عاد يجيبه بنفس اللهجة الغامضة : هذه الوثائق هى الحبل الذى سيلتف حول عنق (تامر) سنتبع سياسة فرق تسد .

غمغم فى ضيق : لست أفهم.

قال (أحمد) فى هدوء : سأشرح لك.

❖ ❖ ❖

أنهى (يوسف) عمله وهو يقلب تلك الشريحة المطاطية الشبيهة بجلد الإنسان إلى حدٍ مذهل متأملًا إياها فى إعجاب، قبل أن تدخل (سارة) معملهما المشترك ، حاملةً صينية عليها كوبان من عصير البرتقال مشروبهما المفضل.

أخفى الشريحة خلف ظهره قائلًا : عندى لكِ مفاجأة، أغمضى عينيك.

برقت عيناها فى لهفة : ماذا؟ هل وسعت نطاقها؟

أجابها فى إصرار: ليس قبل أن تغمضى عينيك.

أغمضت عينيها فى استسلام وهى تهتف: هيا أسرع.

تأمل وجهها الجميل وجفنيها الذين أسبلتهما بنعومة على

جوهرتيها الساحرتين وغمازتيها العميقتين اللتين لا تحتاجان إلى ابتسامة ؛لتفصحا عن نفسيهما وشفتيها المكتنزتين المغريتين.. تصارعت داخله رغباتٍ عدة قبل أن يخرجه صياحها من تأملاته وهى تهتف فى ضجر: هيا

قال فى هدوء: افتحى عينيكِ.

تطلعت إلى كفه المفرودة أمامها التى استقرت داخلها علبة مخملية صغيرة.. نقلت بصرها بينه وبين العلبة قبل أن تقول فى تساؤل: ماهذا؟

أشار للعلبة.. فالتقطتها وفتحتها.. نظرت إلى القطعة المطاطية فى دهشة ، فقال : ما كانت مشكلتنا فى جهاز التتبع الذى نصنعه؟

أجابته فى سرعة : كان قصير المدى.

قال فى هدوء : كان لدينا مشكلة أخرى لكننا انشغلنا بتوسيع المدى.. كانت المشكلة كيف يعمل على نبضات القلب ويلتصق به دون أن يشعر به الخاطف أو يكتشف مكانه.. وظللت أفكر كيف أضع الشريحة دون أن ينتبه لها أحد ثم توصلت إلى صنعها من المطاط كقطعة مطاطية تشبه الجلد وظللت أعمل عليها حتى صنعت تلك الشريحة المطاطية.

تطلعت إلى الشريحة فى إعجاب قبل أن تهتف فى غضب: ولمَ أخفيت عنى ذلك؟..ألسنا شركاء فى هذا العمل؟ .. لديك عقدة الرجل تريد أن تتميز عنى ؟!!!!!

ابتسم فى حنان : بل أردت أن تكون مفاجأة لك.

غمغمت فى ضيق: مفاجأة غير سارة.

قال فى حزن مصطنع: لم أكن أعلم أن هذا سيغضبك.

قالت فى ترفع: حسنًا عدنى ألا تفعلها ثانية.. نحن فريق عمل واحد.

أشرق وجهه بابتسامه خلابة وهو يقول: أعدك.. هيا ألصقيها بالقلب عندك لنختبرها.

- دعنا نجربها مع (إسلام).

- كلا إنها لازالت فى طور التجربة ولن نستطيع التحكم بـ (إسلام) كما أنه يخرج كثيرا.. أعدك أن تكون القطعة الثانية لـه عندما يتم توسيع مداها.

هزت رأسها موافقة : حسنًا سأذهب لأضعها وأعود.

❖ ❖ ❖

حك (رامى) رأسه لحظات قبل أن يقول: لا أصدق أنك تستطيع أن تفكر كالشياطين.

ضحك (أحمد) قائلًا: الواقع أنها ليست فكرتى وحدى لقد أوحى بها إلىّ صديقى الذى ساعدنى فى الوصول إلى تلك الوثائق.

هتف (رامى) فى انفعال : ولكن كيف سنفعلها؟

أجابه فى هدوء : لقد بدأنا بالفعل لقد أرسلها صديقى من بريد (تامر) الإلكترونى إلى الشريك الرئيسى فى تلك الوثائق مع رسالة ابتزاز صغيرة، ستجعله الآن لا يفكر إلا كيف يسحق (تامر)

سحقًا، فأمثال هؤلاء لاسقف لإجرامهم.

قال (رامى) فى مقت: مهما حدث له فهو يستحق.. سيظل دم (مهاب) لعنةً عليه ، فـ (مهاب) كان قلب العائلة النابض.

❖ ❖ ❖

غابت لحظات قبل أن يرتفع أزيز ذلك الجهاز الصغير الذى بدا أشبه بالهاتف المحمول بصوت نبضات قلبها، استمع إليها وصوت النبضات يعلو مما يدل على اقترابها من الحجرة.

خطت داخل الحجرة هاتفةً فى لهفة: ما النتيجة؟

رفع (يوسف) الجهاز أمام وجهها قائلًا: رائعة.

استمعت إلى صوت نبضات قلبها التى بدت فى أذنيه كأعذب مقطوعة موسيقية وتهللت أساريرها وهى تقول: رائع، هكذا يمكن لكل أم أن تخرج بأطفالها وهى مطمئنة.

همس فى حب: كنت أعمل عليه من أجل جهة أمنية، ولكن أن يصبح وسيلة حماية للأطفال لم يكن فى حسبانى.. صمت لحظة وهو يتابع : الفضل لك.

قالت فى سعادة: بل الفضل لك أنت، أنت عبقرى بحق.. بدونك ما كان لهذا العمل أن يتم كان بالنسبة لى مجرد أحلام وأفكار على الورق.. أنت من حوله إلى حقيقة.

نظر إلى عينيها الجميلتين قبل أن يقول بصوتٍ عميق: كل شىء حلو فى هذه الحياة أصبح مرتبطًا بك.

تطلعت إليه فى توتر وتعالى صوت ضربات قلبها فتابع بنفس اللهجة: تعانين من التوتر.

ازدردت لعابها وهى تحاول أن تتماسك قائلة: لا.. لا أعانى من شىء.

رفع الجهاز أمام وجهها : لقد تزايدت دقات قلبك.

هتفت فى توتر أكبر :يجب أن أخلع هذه الشريحة.

قال فى مكر: للأسف لن يمكنك الآن.. فلم أنته من صنع السائل الذى يمكنّا من إزالتها من الجلد بعد.

حدقت فيه لحظة قبل أن تقول فى سخط: ماذا تقول هل سأظل هكذا؟

أجابها فى هدوء مستفز: ما المشكلة؟

مدت يدها نحوه : إذًا أعطنى الجهاز.

أبعد الجهاز عن يدها: لمَ ؟ تخشين أن أكتشف كم تبدين مضطربة عندما تكونين بقربى؟

حدقت فى وجهه لحظة بذهول قبل أن تنفجر صائحة: هل جننت من تظن نفسك؟

أجابها ببرود: طالما ليس لديكِ مشكلة فلتنصرفى الآن حتى أتم عملى.

ألقت عليه نظرة ساخطة، وهى تغادر المكان وداخلها يغلى من الغضب.

علت شفتيه ابتسامة ماكرة وهو يستمع إلى قلبها الذى راح ينبض فى عنف.

❖ ❖ ❖

ظلت تدور فى حجرتها كعصفور حبيس، كانت تغلى في داخلها، أحنقها اضطرابها أمامه وتمكنه من التلاعب بها وعدم قدرتها على ضبط نفسها وفشلها فى الحصول على الجهاز منه.. راحت تعنف نفسها على سذاجتها وسقوطها فى الفخ كفريسة عمياء، بينما لعب هو دور الصياد بمهارة منقطعة النظير، تطلعت إلى وجهها المحتقن بالغضب وهى تتمتم بينها وبين نفسها: حسنا يا كرة الثلج سنرى من ينتصر كتلة الحجر أم كرة الثلج؟؟

استلقى بحرص على الفراش حاملًا الجهاز بين يديه .. استمع إلى دقات قلبها التى بدت فى أذنيه كأعذب سيمفونية موسيقية، فالموسيقى هي الحب يبحث عن كلمة .. وكما قال (أفلاطون) عندما تترك الكلمات تبدأ الموسيقى، أما موسيقاه فهى من نوع خاص.. فموسيقاه هى نبضة قلب.. فلكل قلب شيفرة خاصة به تخبرك بما يعتمل فى نفس صاحبها ولكل قلب نبضاته الخاصة التى تشى بأسراره وتعبر عنه، نبضة القلب هى مفتاح الحياة بأسرها.. فحياتنا تبدأ بنبضة لا نعلم متى كانت وتنتهى بنبضة لا نعلم متى ستكون.. نبضة صادقة تبث فى القلب الحياة، نبضة زائفة قد تحوله لكتلة من الحجر ونبضة غادرة قد تجعله أقسى من الجليد يخفي ما بداخله ولكنه يعكس نبضات الآخرين ببرودة قاتلة.. بينما نبضة حبٍ هى السعادة ذاتها.

ضم الجهاز إلى صدره وعلت شفتيه ابتسامة حالمة وراح فى سبات عميق.

❖ ❖ ❖

تطلع (سلطان الماحى) إلى تلك الرسالة الإليكترونية التى وصلته عبر بريده الإلكترونى ، أخذ يتطلع إلى الوثائق التى تراصت أمامه مع تلك الرسالة المقتضبة التى أرسلها (تامر)..(هدية تساوى عشرة ملايين دولار).

ألقى بالحاسوب فى عنف وهو يهتف مناديًا مساعده الذى دخل مسرعًا.. ابتدره فى غضب: اتصل بابن (الصفتى) وأخبره ألا يلعب بالنار.

ألقى المساعد نظرة سريعة على الحاسوب الملقى أرضًا وهو يردد فى طاعة: كما تأمر سيدى.. ولكن ماذا فعل؟

صاح (الماحى) فى غضب: نفذ بدون نقاش.

أسرع مساعده يجرى اتصالًا بـ (تامر) وفى داخله تتصارع عشرات الأسئلة.

❖ ❖ ❖

علا رنين هاتف (تامر) ليعلن عن وصول رسالة إليكترونية إليه، ألقى نظرة على الرسالة الغريبة التى وردته من (سلطان الماحى) كانت رسالة قصيرة.. (توقف عن اللعب بالنار أيها الأحمق و إلا جعلت مصيرك السجن بما تحت يدى).

حدق فى الرسالة للحظات قبل أن ينفجر صائحًا فى غضب: لقد جُن هذا المأفون بلا شك. لم تمض لحظات حتى ارتفع رنين هاتفه المحمول لتضئ الشاشة برقم مكتب (سلطان الماحى) أسرع يجيب وهو يهتف فى غضب: هل جُن رئيسك؟

أجابه مساعده فى سرعة: لا هو فقط يأمرك أن تتوقف عن اللعب بالنار.

هتف (تامر) فى غضب: يأمرنى.. أخبره أنه لم يُخلق بعد من يأمر (تامر الصفتى).

قال المساعد فى استسلام: حسنًا سأخبره ولكن تذكر أنت من اختار.

صاح وقد أعماه الغضب: أتهددنى أيها الحقير؟

أجابه المساعد بهدوءٍ مستفز: كلا.. فقط أنبهك.

هتف (تامر) فى غضبٍ أشد: سألقنك أنت وسيدك درسًا لن تنسياه أيها الحمقى.

ثم أغلق الهاتف فى غضب.

❖ ❖ ❖

جلست إلى مائدة الإفطار، ارتفع حاجباها فى دهشة للحظات قبل أن يتقوسا فى غضب حين أتى (يوسف) يضع سماعة فى إحدى أذنيه فابتدره (مصطفى) فى دهشة: ما هذا؟ هل تسمع أغنية؟

أجابه (يوسف) فى مكر: إنها أجمل أغنية يمكن أن تسمعها فى حياتك.

تطلعت إليه فى توتر.. اطمأنت عندما رأته لا يحمل الجهاز معه فقالت فى برود: أعتقد أن لديك شيء يخصنى.

همس فى هدوءٍ مستفز: إنه خاص بى، أنا من صنعته.

هتفت فى حدة: ليس بمفردك.

تابع بنفس اللهجة: هذا صحيح.. ولهذا اقتسمته معك لديك الشريحة ولدىّ الجهاز.. أليس هذا هو العدل؟

حدقت فى وجهه لحظة قبل أن تنفجر صائحة: اسمع ستعطينى إياه شئت أم أبيت..

قال فى سرعة : لقد ارتفعت دقات قلبك.. اهدأى.. أخشى أن تصابى بنوبةٍ قلبية.

صاحت فى غضب: إن لم أحصل عليه فهناك من قد يموت بالسكتة القلبية.

ثم غادرت المائدة وهى تغلى غضبا ودقات قلبها تتعالى فى أذنيه لتملأ قلبه بحيوية قلبها.

❖ ❖ ❖

وقف مساعد (سلطان الماحى) أمامه فى أدب بينما انخرط (سلطان) فى تفكير عميق قبل أن يقول فى بطء: على نفسها جنت براكش.

ابتسم مساعده ابتسامة صفراء : معنى هذا أن نقرأ عليه الفاتحة.

تابع (سلطان) بنفس اللهجة البطيئة: البادئ أظلم.. سأجعله يلعق حذائى و يتوسل طالبًا العفو.

همس مساعده فى قلق: ولكن (تامرا) له علاقات دولية.. فأنت تعرف كم كانت حجم علاقات أبيه فى الخارج، ومازال (تامر) يتقلب فى نعمة أبيه حتى بعد وفاته.

قال (سلطان) فى مكر: ومن سيسمح له بالوصول إلى الخارج.

اتسعت ابتسامة المساعد فى خبث فهو خير من يعرف مايعنيه هذا.

❖ ❖ ❖

النبضة الثانية عشرة

ألقى (يوسف) نظرة سريعة على (سارة) التى انخرطت فى حديثٍ جانبى مع (أحمد) وبدا عليها الاهتمام الكامل لكل ما يقوله.. شعر بشىء من الضيق لأنه يستحوذ على اهتمامها ولكنه عاد يتابع الجهاز الذى ينقل له ضربات قلبها ليجدها عادية تتطابق إلى حدٍ بعيد مع تلك التى أصدرها عندما كانت برفقة (مصطفى).

تمتم بينه وبين نفسه : هذا جيد إنه لا يؤثر فيها.

ألقى نظرة على (أحمد) الذى رافقته (سارة) إلى الباب ثم اتجهت نحو المطبخ.. تابعها بعينى صقر يتأهب للانقضاض على فريسته.

❖ ❖ ❖

وقفت (رنا) مرتبكة أمام الدكتور (ماجد) الذى تفحصها بعينى خبير قبل أن يقول فى بطء: أيمكننى أن أطلب رقم هاتف والدك.

حدقت فى وجهه لحظة بذهول وهى تتمتم: والدى؟ لمَ ؟ هل ستشكونى إليه؟

أطلق (ماجد) ضحكة عالية وأغرق فى الضحك مما زاد من ذهولها وهى تتطلع إلى ملامحه التى تبدلت كلية،حتى قال هو فى هدوء: أعطنى الرقم ولن أحرمك الحق فى التخمين.

❖ ❖ ❖

وقفت (سارة) فى المطبخ تعد قالبًا من الحلوى.. فجأة شعرت بتغير ذبذبات الهواء حولها، التفتت خلفها لتجده واقفًا يتأملها فى تراخ.

هتفت فى ضيق: ماذا تريد؟

أجابها فى هدوء: لا شىء.

قالت فى سخرية: حقًا.. هل أصبحت ممن يضيعون أوقاتهم ويقفون يحدقون فى اللاشئ ؟!!

أجابها فى مكر: أنا لا أضيع وقتى أبدا، لنقل أننى أتأمل فى شىء ما.

تابعت بنفس اللهجة الساخرة : وهل أصبح المطبخ هو مكان التأملات؟!!

أجابها فى تراخ: ولِمَ لا ؟ (أجاثا كريستى) نفسها كانت تقول (أفضل وقت للتخطيط لكتاب هو أثناء غسل الصحون).

قالت فى سخرية: وهل تنوى أن تؤلف كتابًا عن عبقريتك الفريدة ؟!! سأترك لك الصحون لتغسلها إذًا.

اقترب منها حتى وقف بقربها، ثم استند بكفه إلى حافة المائدة فى تكاسل قائلًا بنعومة: إذا كان هذا يسعدك فلا مانع لدىّ.

توترت عضلاتها لقربه الشديد وتلك النعومة التى يتحدث بها فهتفت فى توتر: سوف أتركها لك فى المرة القادمة..أما الآن فعليك أن تنصرف فلا يوجد أطباق لغسلها.

همس بنعومةٍ أشد: ومن قال إننى هنا لأجل الأطباق.. صمت لحظة قبل أن يتابع وهو ينظر إلى عينيها مباشرة: أنا هنا من أجلك.

تسارعت نبضات قلبها وقد أسرتها عيناه التى بدت كبئرٍ عميقة راحت تغوص فى مياهها الزرقاء.. مست روحه روحها.. شعرت بأنفاسها تضطرب ودقات قلبها تدوى كطبول الحرب.. أفاقت وهى تتراجع إلى الخلف هاتفةً فى حدة: ماذا تريد؟

ابتسم ابتسامة جانبية زادت من جاذبيته : لا شىء لقد كنت أقوم بالضبط التجريبى،

حدقت فيه بذهول وهى تردد: ماذا تعنى؟

أجابها فى مكر: سأشرح لك لتعلمى كم أنا شريك جيد... ثم أردف بلهجة خاصة: يقدر شركاءه ويحترمهم.. لقد أجريت تجربة على نبضات قلبك وسجلتها وأنت مع (أحمد) و (مصطفى) وحتى (إسلام) فوجدت أنها تكاد تكون منتظمة فى حضورهم، بينما تضطرب فى حضورى وتتعالى كلما اقتربت منك.

انتفضت (سارة) فى مكانها وهى تقول فى حدة: ماذا.. هل جننت؟! هل تجرى علىّ تجربة؟

قال بلهجةٍ خاصة : أنت الوحيدة حاملة الجهاز.. ولكن ما أريد معرفته هو لم تضطرب نبضات قلبك فى حضورى؟

قالت فى توتر وهى تهم بالانصراف: لا تعطى لنفسك حجم أكبر من حجمك.. أنت لا تعنى لى شيئا.

اعترض طريقها فى برود: حسنًا أنا أسأل سؤالًا علميًا محضًا

لا علا قة له بما أمثله لك...وعمومًا إجابتك ليست صحيحة لأنها تتناقض بشكل واضح مع تلك النبضات المتسارعة على الجهاز.

هتفت في حنق: يالك من مغرور ولم لا تقول إننى لا أطيق وجودك حولى.

قال فى برود: شكسبير كان يقول:تحبني

أو

تكرهني

جميعها مفضلة لدي...

إذا كنت تحبني..

سوف أكون دائمًا في قلبك،

و إذا كنت تكرهني سوف أكون دائمًا في عقلك..

صمت لحظة ثم تابع فى ثقة: أى أننى أسكن بداخلك.

حدقت فى أثره لحظة فى ذهول قبل أن تنتفض وهى تركض نحو حجرتها.

❖ ❖ ❖

علا رنين هاتف (سارة) لتطل عليها صورة صديقتها من شاشة هاتفها التقطته فى سرعة وهى تجيب (رنا) التى اندفعت تقص عليها فى سرعة كل مادار بينها وبين الدكتور (ماجد) وختمت كلامها بأن قالت فى حيرة: لست أدرى مالذى قد يريده من والدى؟

انفجرت (سارة) ضاحكة : يالك من حمقاء .. ألم تفهمى بعد؟

أنت بحاجة إلى تعديل عقل يا سيدة الأذكياء.. فيم تعتقدين أنه سيكلم والدك ؟! هل سيقترض منه ثلاثة جنيهات مثلا ؟! .. إنه يريد خطبتك أيتها الحمقاء.

فغرت (رنا) فاها وهى تحدق إلى الهاتف بذهول فى حين علا صوت (سارة) وهى تصيح فى فرح: هل أكلت القطة لسانك؟

أجابتها بنفس اللهجة الذاهلة: ولكن هذا مستحيل.

غمغمت فى قلق: لم؟ ألا ترغبين بالارتباط به لقد ظننت من كلامك عنه أنك معجبة به؟

تمتمت فى حيرة: إنه على وشك أن يصبح أصلع.

كتمت (سارة) ضحكتها وهى تقول: ربما كانت هذه نعمة من الله عليه حتى ينجو من الارتباط بباحثة نفسية مثلك.

أجابتها وهى تقلد صوت (يوسف) ولهجته: لا يمكن للرجل أن يكون مرتاحًا من دون موافقته هكذا قال (مارك توين).

أثار تذكير (رنا) به فى داخلها عاصفة هوجاء وهى تتذكر كلمات الكاتب الروسى (مكسيم غوركى) الطيب قد يكون أحمقًا وطيبًا في نفس الوقت، أما الشرير فيجب أن يكون ذكيًا.. أدركت كم كانت حمقاء عندما وقعت فى شركه.. عليها أن تحرر نفسها من الفخ الذى وطأته بقدميها.

❖ ❖ ❖

استرخى فى فراشه وهو يحدق إلى السقف ، تصارعت داخله

عشرات الأفكار لقد بات يدرك مشاعره نحوها، إنه يحبها.. بل هو عاشق لها لا يدرى كيف حدث هذا ؟ ومتى؟

راح يقارن بين حبه لها وانبهاره بـ (سارة أندرسون) لقد انبهر بالأخرى فى أول لحظة أما هى فقد تسللت إلى داخله ، فالحبيب ليس من يُبهرنا من اللقاء الأول، بل من يتسلل داخلنا دون أن نشعر، وكأنك فجأة تكتشف، أنه الهواء الذي تتنفسه، وهذا ما أصبحت هى تمثله له.. منذ سكنت بداخله ومشاعره دائمًا متضاربة متصارعة .. فنحن عندما نحب ترتبط مشاعرنا بالخوف.. نخاف الفقد ، نخاف الفراق.. هو يريد لمشاعره المضطربة أن تهدأ بأن يطمئن إلى حقيقة مشاعرها.. أحيانا يشعر أنه يعنى لها الكثير ونبضات قلبها تشى بذلك وأحيانًا يشعر أنه لا يعنى لها شيئا... كان يعلم أنه لن يحتمل هذا الوضع كثيرا.. هو لا يحتمل ذلك الشعور.. لا يحتمل الغموض فى شىء.. لايحب أن يبدو شىء ما غامضًا أو غير مفهوم بالنسبة له.. ولكن عليه أن يبحث عن وسيلة ما تكشف له حقيقة مشاعرها نحوه.

برزت فى عقله فكرة مجنونة.. فلجأ إلى الإنترنت وألقى إليه بسؤاله الذى يحيره.

تطلع إلى الإجابة التى أعلنها له الإنترنت لحظات..عقد حاجبيه فى تفكير متمتمًا بينه وبين نفسه: لا مشكلة سأجد طريقة حتما.

❖ ❖ ❖

تطلع (يوسف) إلى (أحمد) لحظة فى صمت قبل أن يقول فى

هدوء:أصبح لديك وثائق ومستندات كفيلة بإلقاء هذا المدعو (تامر) لمائة عام خلف القضبان.

أحمد: إن لـ (تامر) من النفوذ والعلاقات مع العديد من الفاسدين فى كافة الأجهزة مايؤهله لطمس أية قضية .. كما أن لديه جيشًا من المحامين كفيل بإخراجه من كل تلك القضايا بمنتهى السلاسة ليتفرغ بعدها للانتقام ممن قدم تلك الوثائق إلى المحكمة، لذا يجب أن تستعر النار بينه وبين (سلطان الماحى) فهل يمكننا أن ننشر وثائق (الماحى) فى إحدى الجرائد الرسمية فى طبعتها الإليكترونية ونرسلها لهم من بريد (تامر)

برقت عينا (يوسف) فى مكر : هل تريد تنفيذ حكم الإعدام فى الرجل؟

قال فى ألم: لقد قتل (سيلين) قبل أن يقتل (مهابا).

همس فى اهتمام: تبدو مهتمًا لأمرها ؟

أجابه (أحمد) فى سرعة: إنها مجرد مساعدة إنسانية ورغبة فى مساعدة المظلوم.

هز (يوسف) كتفيه بلامبالاة وهو يقول: أعطنى بعض الوقت.

❖ ❖ ❖

أنهى (يوسف) محاضرته.. وقف فى ساحة الكلية وقد أحاطت به الفتيات إحاطة السوار بالمعصم .. راح يجيب على أسئلتهم فى وقار وهو يتظاهر بالضحك على تعليقاتهن من آن لآخر وعيناه تتابعانها..فى حين وقفت هى تتميز غيظًا، حاولت أن تبتعد

ولكنها لم تستطع فعادت أدراجها إلى حيث يقف.. حافظت على مسافةٍ قريبةٍ من خلفه، لمحها بطرف عينه فانتهز تعليق إحداهن وانفجر ضاحكًا وهو يقول: لم أكن أتخيل أن الفتيات فى مصر لديهن حس فكاهة عالٍ بهذا الشكل.

بلغ منها الغضب مبلغه وهيٍ تتدخل فى الحوار قائلةً فى برود: يستطيع الشيطان أن يكون ملاكًا.. والقزم عملاقًا.. والخفاش نسرًا والظلمات نورًا.. لكن أمام الحمقى والسذج فقط.

تطلع إليها فى برود : عفوًا يا آنسة ماذا تعنين بكلامك؟

اندفعت إحدى الفتيات تقول فى سخط: وسيلة فاشلة لجذب الانتباه.

قالت فى برود مماثل: (غاندى) كان يقول:

يجب أن لا تفقدوا الأمل في الإنسانية. إن الإنسانية محيط، وإذا ما كانت بضع قطرات من المحيط قذرة فلا يصبح المحيط بأكمله قذرًا.

هتفت الفتاة فى حدة: ماذا هل تسبيننا أيتها الحقيرة؟

قال (يوسف) فى حدة: لا أسمح أن تتبادلن السباب أمامى.

تبدلت لهجة الفتاة فى سرعة وهى تقول ميوعة: أعتذر دكتور.. أرجوك اقبل أسفى حدث هذا رغمًا عنى.. ولكنها فتاة مستفزة.

ابتسم فى مكر: بالطبع يمكننى أن أتقبل اعتذار فتاة رقيقة مثلك.

تأملتهم (سارة) لحظة وهى تكتم غيظها: حسنًا أيتها التافهة يمكنك أن تقبلى الأرض تحت قدمى القديس حتى يصفح عنك.

ثم تركتهم وغادرت كعاصفة ونبضات قلبها الغاضبة تدوى فى أذنيه كموسيقى بيتهوفن.

❖ ❖ ❖

عادت إلى البيت كانت ترغى وتزبد وهى تسبه فى سرها.. لم تمض دقائق حتى كان يدخل البيت خلفها.. بحث بعينيه عنها، كانت جالسة على تلك الأريكة فى حجرة المعيشة تقبض على كفيها فى قوة.

أطلق صفيرًا منغومًا من بين شفتيه.

تحركت فى غضب نحو السلم الداخلى.

لحق بها قبل أن تصعد السلم وهو يقول فى مكر: لم أنت غاضبة؟ أتغارين؟

حدقت فى وجهه بذهول قبل أن تصيح فى استنكار: أنا أغار.. أغار ممن؟ وعلى من؟

قال فى برود لاذع: عليك مواجهة نفسك والاعتراف لها بالحقيقة ولا تغترى بنفسك فالغرور هي الرمال المتحركة التي يغرق فيها المنطق.

❖ ❖ ❖

راحت تذرع حجرتها جيئة وذهابا وداخلها يرتجف من هول الفكرة: أيكون محقا؟.. أيكون على حق؟.. وأنها تحبه؟

هذا ليس صحيحًا.. هذا مستحيل..هى وكرة الثلج.

كلا هذا هو المستحيل بعينه.. لا يمكن لهذا أن يحدث.

ولكن مالذى يفسر تلك النار التى شعرت بها عندما رأته يضحك مع تلك الفتاة.. عادت تهمس لنفسها فى عناد: كل مافى الأمر أنى لم أعتد أن أراه بهذا الشكل العابث من قبل.. كما أننى لا أقبل بهذا العبث فى عائلتى.

عاد ذلك الصوت الداخلى يردد: هذا غير صحيح،إنه يعنى لك الكثير، تلك كانت نيران الغيرة.

أطبقت بيديها على أذنيها وهى تُلقى بنفسها على الفراش متمتمة: هذا غير صحيح.. لا يمكن أن أُكِّن أية مشاعر لكرة الثلج.

عاد ذلك الصوت يدوى داخلها هادرًا : اسألى قلبك لمَ يضطرب فى حضوره؟ ولمَ ينبض بعنف إذا اقترب منه؟ ولمَ يشعر به قبل أن يأتى؟ ولمَ كاد يتوقف من الرعب عندما كاد يسقط من العبارة؟ فالحب وحده هو القادر على أن يُضمر النار فى أحشائنا دون أن نحترق..الحب وحده هو القادر على إطلاق وحش الغيرة الضارى لينهش فى داخلنا، وهو وحده القادر على إلجامه و إعادته إلى سجنه بنظرة مخلصة أو ابتسامة صادقة.

دفنت وجهها فى فراشها كنعامةٍ تخفى رأسها فى الرمال لتتجنب خطرًا محدقًا وهى تهتف لنفسها: هذا هو المستحيل.

❖ ❖ ❖

أغلق باب غرفته عليه فى إحكام، كمن يستعد لعملية فدائية سلاحه فيها حاسوبه، فتحه كقائد محنك يريد مباغتة خصمه

بسرعة بالغة حتى لا يجد وقتًا لحيل دفاعية.

تطلع إلى عمله الذى أوشك على الانتهاء : سأعلن للعالم كله أننى أحبك أيتها المجنونة.

❖ ❖ ❖

جلست (سارة) فى حجرتها بلا حراك.. لازال عقلها يستعيد كلماته.. راحت تسأل نفسها هل صحيح أنه يسكن داخلها.. هل هى حقًا تحبه؟

لم شعرت بتلك النار التى نهشت ما بداخلها وهى تراه يقف مع الفتيات فى الساحة؟.. لمَ تشعر بالسعادة حين تكون برفقته؟ هل تشعر بها لأنها حظيت بفرصة لم تكن تحلم بها وهى أن تعمل بجوار عالم مثله.. أم إنها فقط منبهرة بعقليته العلمية؟؟...

قطع أفكارها صوت أزيز هاتفها المحمول معلنًا عن وصول رسالة من رقم غير مسجل لديها، كانت رسالة مختصرة وغريبة للغاية، رساله تأمرها بفتح صفحتها الشخصية، لم تدر كيف أطاعت الرسالة بهذا الشكل العجيب وهى تتجه فى آلية كشخص مسلوب الإرادة نحو حاسوبها المحمول الذى أحضره لها (يوسف) بدلًا من ذلك الذى سرقه منها راكب الدراجة النارية.

كم كانت سعادتها حين أهداها إياه، ألقت نظرة على صفحتها التى حملت خبرًا عجيبًا (اختراق لكل القنوات الفضائية وللبنتاجون برسالةٍ غريبة للغاية (كرة الثلج يحب المجنونة)).

وصلتها رسالة على الخاص لديها من كلمتين (مارأيك؟).

حدقت فى الرسالة بذهول قطعه رنين هاتفها المحمول ليطالعها ذلك الرقم مرة أخرى.

التقطت الهاتف وهى تجيب بلا وعى.. أتاها صوته العميق يهمس : لم تجيبى على رسالتى.

قالت فى ذهول: أى رسالة؟

يوسف: افتحى باب غرفتك.

اتجهت نحو باب الغرفه كالمسحورة.. فتحت الباب تطلعت إلى باقة من الزهور الرائعة التى برز هو من وراءها قائلًا فى لهجة مباغتة: ماذا بشأن المجنونة؟

تمتمت بذهول: ماذا؟

خطا نحوها.. تراجعت هى بحركة غريزية حتى التصقت بالحائط اقترب منها وهو يرتكز بذراعه على الحائط خلفها قائلًا بنفس النبرة العميقة: هل تحب المجنونة كرة الثلج؟

حدقت فى وجهه بذهول فقال فى نعومة: أى جزء من كلامى لم تفهميه إلى الآن .. أنا أحبك يا مجنونه وقد أعلنتها للعالم كله حتى البنتاجون.

ظلت على ذهولها وهى تردد : ماذا تعنى؟

همس بنفس النعومة التى أذابت أوصالها: أحبك.

حدقت فيه بذهول فتابع بنفس اللهجة: هل تحبيننى؟

هزت رأسها بلا وعى منها فهتف فى سعادة: نتزوج إذا؟

أفاقت من ذهولها وهى تفلت من حصاره وتبتعد عنه قائلة: لا يمكن؟

هتف فى توتر: لمَ ؟ أجيبنى بصراحة هل تحبيننى؟

أجابته بصدق : نعم

هتف فى سعادة: حقًا.. لا أصدق نفسى.. أخيرًا اعترفت بحقيقة مشاعرك.

انهارت على طرف فراشها وقد غزا الاحمرار وجهها فأطرقت برأسها.

جثا على ركبتيه أمامها وهو يقول فى حنانٍ طاغ: سأبذل جهدى لأجعلك أسعد امرأة فى العالم.. أنا أحبك حقا... أحبك بكل جوارحى.. لم أحب هكذا من قبل.. لقد استغرقت وقتًا كثيرًا قبل أن أستطيع تفسير مشاعرى المتضاربة نحوك ولكنى الآن أعرف كم أحبك.. عندما نتزوج...

قاطعته فى ألم: لا يمكننا الزواج.

صاح فى استنكار: لم لا يمكننا الزواج.. أنا أحبك وأنت تحبيننى أين المشكلة إذًا؟

أجابته فى ألم : لأنك لست مسلما.

صاح فى دهشة: وما علاقة ذلك بزواجنا؟

- الإسلام يحرم زواج المسلمة بغير المسلم.

- لايعنينا ذلك أنا أحبك وهذا يكفى.

- لا يمكننى أن أخالف أوامر دينى.

هتف فى ضيق : أى دين هذا الذى يقف حائلًا بين حب كحبنا.. أرأيت كم هو دين عنصرى لا يأبه لمشاعر البشر.

قالت فى حزن: كلامك هذا يجرحنى أكثر.. لا تتحدث عن دينى هكذا ثانية.

قال فى أمل : حسنا اضربى بأوامره عرض الحائط ودعينا نتزوج.. أنا أحبك.. أحبك حقا.. أنتِ الشىء الوحيد الذى أحببته فى حياتى لهذه الدرجة...أنتِ معبودتى... أنا على استعداد لأن أقاتل الدنيا بأسرها من أجلك.

أجهشت ببكاء حار : لا يمكننى أن أغضب ربى.

صاح فى استنكار: هل تحبين إلهك أكثر من حبك لى؟

أجابت من بين دموعها: إن حبى له هو أصل كل حب يملأ قلبى.

قال فى غضب هادر: أنت كاذبة، خائنة لقد أحببتك أكثر من أى شىء فى هذا العالم ولكنك تفضلين إلهك علىّ.. كالعادة كلكن خائنات.. أتعلمين لقد أخطأت حين سلمتك قلبى لو كنت تحبيننى حقًا لتحديت أى شىء من أجل حبنا.. أنتِ لا تعنين لى شيئا.. لا أريد أن أراك ثانية.. أنتِ حقًا لا تعنين لى شيئا.

ثم تركها وانصرف كعاصفةٍ من الغضب.

❖ ❖ ❖

أغلق باب غرفته فى عنف كأنما يودع فيه كل غضبه ، كان يشعر بالغيرة لأن هناك من تفضله عليه... يجب عليها أن تبرهن عن حبها له.. هو مستعد لأن يضحى بحياته من أجلها ولكنها غير مستعدة أن تضحى بمعتقداتها من أجله،؟أو أن تخالفها حتى... ماذا عليه أن يفعل؟ هل عليه أن يترك المنزل؟.. ولكنه ماعاد يستطيع البقاء بعيدًا عنها.. ماعاد بمقدوره أن يعيش بدونها ، لا يتحمل فكرة أن يمر يوم بدون أن يراها ، هذا بالنسبة له هو العذاب بعينه.. عليه أن يمنحها فرصة وأن يتركها تبرهن له عن حبها على طريقتها... جزء منه يرى أنه من غير المنصف أن يخيرها بين دينها وحبها.. عليهما أن يجدا طريقة سويا.. عليه أن يمنحها فرصة أخرى.

عاد يُحدث نفسه بأن هذا مستحيل.. يجب أن تبرهن له أنه أهم شيء فى حياتها كما أنها أهم شيء فى حياته.. لن يقبل بأن يكون رقمًا ثانيًا فى حياتها يجب أن يكون الأول والأوحد... لم يشعر قط برغبة فى امتلاك شيء كما يشعر بهذا التملك الشديد نحوها إنه يريد أن يمتلكها كاملة.. أن يدفنها داخل ضلوعه... أن تسكن بداخله ولا تخرج أبدا.. أن يجلس هو فقط ملكًا متوجًا على عرش قلبها ولا ينازعه ملكه أحد مهما كان..

كان الضيق يحيط به من كل جانب.. شعر بالاختناق.. فتح نافذة غرفته التى تطل على الحديقة.. فجأة وجدها تهرع نحو باب الحديقة الذى دخل منه (أحمد) مسرعًا والقلق يبدو على وجهه

ولكنها لم تمهله بل ألقت بنفسها بين ذراعيه وأجهشت ببكاء حار على صدره بينما راحت يده تربت على ظهرها فى حنان وهو يقول: ماذا هناك حبيبتى؟

لم تجبه بل علا صوت بكائها اقتادها نحو شجرتها المفضلة وتركها تفرغ كل انفعالاتها على صدره ثم رفع وجهها نحوه وهو يمسح دموعها بأنامله و يقبل جبينها فى حب واضح.

لم يحتمل (يوسف) أكثر من هذا فتهاوى جالسًا على الأرض وقد اسودت الدنيا أمام عينيه وتجسدت أمامه الخيانة بأبشع صورها.

ولأول مره سالت الدموع من عينيه وبكى قلبه دما، عنّف قلبه لأنه أسكنها داخله وفتح لها الباب على مصراعيه لتغرس فيه خنجر الخيانة المسموم فهى لم تسمح له يومًا بلمسها حتى عندما حدث عفويًا ثارت و وبخته وأخبرته أن هذا محرم فى دينها وخارج على تقاليدها وأعرافها وها هى تلقى بنفسها بين ذراعى (أحمد)،وتسمح له أن يقبلها، كان عليه أن يدرك مشاعرها نحو(أحمد) من زمن بعيد وكيف أنها تبدو بائسة عندما يغيب عنها وتفقد شهيتها للحياة عندما يسافر.. كان الأمر واضحًا ولكنه كان الأحمق الذى تعامى عن رؤية تلك الحقيقة الواضحة.

عاد يلوم قلبه على سذاجته ولكن قلبه هتف مدافعًا عن نفسه بأن هذا ليس ذنبه ، بل ذنب الحب الذى لا يتوب من خطاياه السابقة.. ولا ينهض من عثراته الماضية بل يسقط فى الفخ مرة تلو

أخرى متعللا بالقدر.

لم يدر كم مر عليه هكذا قبل أن يتحرك من مكانه كجمادٍ لا روح فيه وهو يجمع حاجياته ويغادر البيت بل والبلد بأسرهاً إلى غير رجعة.

❖ ❖ ❖

النبضة الثالثة عشرة

طوح (سلطان الماحى) بذلك الحاسوب الصغير فى وجه مساعده وهو يهتف فى غضب: ماهذا الهراء؟ كيف تنشر تلك الجريدة الرسمية هذا وأنا أغدق عليهم الأموال؟

قال مساعده فى خبث: لاريب أن (تامر الصفتى) قد أجزل لهم العطاء.. لم أتخيله بهذا الذكاء

ضرب (سلطان) سطح مكتبه فى غضب : اللصوص الحقراء سأجعلهم يندمون على فعلتهم.

المساعد فى توتر:المشكلة الآن أن هذه الوثائق قد يصنع منها قضية رأى عام ولن يستطيع رجالنا وقتها التصدى لذلك. وسينسحب الجميع من المشهد.

غمغم فى قلق: هذا ما سيحدث فعلا.. صمت لحظة قبل أن يستطرد فى دهاء: إذا لم أتدخل فورا.

❖ ❖ ❖

جلست تبكى فى انهيار بعدما ترك (يوسف) البيت وسافر فجأة دون أن يخبر أحدًا بسفره، كانت تنعى قلبها الذى تفتح على يديه ليزرع داخله حبًا لم يكد يرى النور حتى تركه يتخبط فى ظلمات الفراق ولكن هذا هو قدر الحب فقدر

الحبّ الفراق، لأنّه يولد بأحلام شاهقة أكبر من أصحابها،لأنه يحلق في سماءٍ صافية تتجاوز عالًمنا ، ولكن يبدو أنه تجاوزها بعيدًا جدًا تاركًا إياها تعاني ويلات العذاب، تحتضر وحيدة بين أهلها، تنعى روحها المسافرة خلفه علها تعود إليها يوم يعود ولكن هذا هو قدرها وما بين النصيب والقدر، هناك مقبرة دُفِنت فيها نصف مشاعر البشر وهاهي تُكفن قلبها بيديها لتودعه تلك المقبرة.

اقتحمت (رنا) غرفتها وهالها مرأى صديقتها كانت شاحبة على نحوٍ ملحوظ .. الهالات السوداء تحيط بعينيها

قصت عليها ما حدث فقالت (رنا) في غضب: ولمَ لا يضحي هو بأفكاره التافهة من أجلك لو كان حبه صادقًا، لم أنت من عليها أن تضحي بدينها من أجل حبها.. لم لا يضحي هو بتلك الترهات الفارغة من أجل حبه لك لو كان يحبك حقًا .. لمَ على الفتاة دائما أن تضحي وتتنازل؟!.. والرجال ليس عليهم أن يضحوا بأي شيء.

تطلعت إليها بنظرة خاوية وكأنما هي في عالم آخر، عالم تهيم فيه روحها بحثًا عنه ، فأصعب شيء هو أن تفارق روحًا كانت يومًا جزءًا منك فتجد كلّ شيءٍ قد أصبح بطيئًا، أصبحت الدّقائق والسّاعات كأنما تجرها ثعابين الهجر، وتبث السموم في الثواني الصغيرة فتجعلها تتلوى في ألم قبل أن تفارق الحياة أمام روحك الكسيحة العاجزة عن الحركة فتجد نفسك وحيدا لا شيء يشي بالحياة فيك إلا ماء عينيك الذي تبذله بسخاء.

❖ ❖ ❖

راحت الجدة تفرك كفيها فى توتر وهى تحدق فى غرفة (يوسف) الخاوية على عروشها قبل أن تهتف فى حيرة : لمَ ترك البيت هكذا فجأة إذا كان يُحبها ويرغب بالزواج منها ؟ هناك شيء آخر.. أستطيع أن أقول بأننى أصبحت أعرفه جيدا.. هو يتمتع بطبيعة المقاتل.. لم يكن سيستسلم بهذه السهولة.. لا.. هناك شيء آخر.

هتف (أحمد) كمن تذكر شيء فجأه: أخبرينى جدتى هل يعرف بطبيعة العلاقه بينى وبين (سارة)؟

أجابت فى حيرة : لا أظن.. لا أذكر أنه قد واتتنا الفرصة لنذكر ذلك أمامه.

قال فى شرود : عندما كنا فى الحديقة وكانت (سارة) تبكى.. مسحت دموعها ثم قبلت جبينها، عندما رفعت بصرى وجدت (يوسف) ينظر إلينا.. كانت نظرة قاتلة ، نظرة شخص فقد كل شيء.. لم أستوعب الأمر وقتها وكنت أنوى أن أذهب إليه بعد أن تهدأ هى ولكنى فوجئت برحيله.

نهضت الجدة من مكانها وهى تصيح فى توتر: علينا إعادته إلى هنا بأى شكل.. إن حياته فى خطر داهم.

قالتها وعيناها تتعلقان بصورة أبيه، التى عاتبتها على سماحها بطعن حفيدها كما طُعن أبوه من قبل بنفس الطريقة.

❖ ❖ ❖

خرج من المطار.. يشعر بوحدة قاتلة، صورتها بين ذراعى

(أحمد) لا تفارق خياله... كان يسير بلا هدى، لا يشعر بشىء حوله... استقل أول سيارة أجرة صادفته.

ألقى بنفسه على مقعدها الخلفى وألقى حقيبته بجواره فى إهمال وهو يلقى لسائقها بالعنوان.. ورغمًا عنه أشاح بوجهه ليبعد صورتها الماثلة أمام ناظريه.

أغمض عينيه..عادت صورتها تطارده بإلحاح.

اعتدل فى جلسته، ألقى ببصره نحو الطريق عله يجد مايشغله..

لفت انتباهه تلك السيارة السوداء التى تتبع السيارة التى يستقلها منذ خرج من مطار هيثرو ؛ طلب من السائق أن ينحرف يمينًا فأطاعه السائق فى سرعة ؛ ثم عاد يطلب من السائق أن ينحرف يسارًا فأطاعه، لكن السيارة ظلت تتبعه فى إصرار.

شعر بالقلق وتحفزت عضلاته وهو يتابع السيارة بعينيه فى توتر..لاحت أمامه حافلة للنقل العام تستعد لمغادرة المحطة فألقى للسائق بورقة نقدية كبيرة وهو يطلب منه أن ينحرف أمام الحافلة ثم يدخل الشارع الجانبى بسرعة كبيرة.

وبالفعل انحرفت سيارة الأجره ليقفز منها فى لمح البصر ويستقل الحافلة التى كانت تغلق أبوابها.. تنهد فى ارتياح وهو يرى السيارة السوداء تنحرف خلف سيارة الأجره دون أن ينتبه أحد إلى أنه ماعاد بداخلها.

❖ ❖ ❖

جلس (تامر) خلف مكتبه وهو يقهقه فى سعادة.. تابعه

شريكه فى صمت لحظات قبل أن يقاطعه هاتفًا فى توتر: لا أجد فيما حدث شيئًا يدعو للسعادة بل على العكس أجده يدعو للقلق.

تطلع إليه (تامر) فى استخفاف وهو يقول: ولمَ يا شريكى المهم؟

أجاب شريكه فى غضب: ليس هذا وقت تذكيرى بأننى الشريك الأقل أسهمًا فى الشركة يا ابن عمى العزيز.

صاح فى شراسة: أنا لا أخطئ فى حقك فقط أذكرك بحجمك حتى لا تتجاوز حدودك.

قال ابن عمه فى بغض: لا تظن أنك قد استحققت رئاسة المجموعة عن جدارة.. لقد أخذت حقوقنا التى سلبنا إياها والدك دون وجه حق.

هتف (تامر) فى غضب: لازالت صدوركم تمتلئ علىّ حقدًا، لقد كان والدى محقًا عندما ألقى بكم خارج المجموعة لست أدرى مالذى دهاه حتى يعيدكم؟

قال ابن عمه فى سخرية: لن أستطيع أن أقول إنها صحوة ضمير فهو لم يعطنا إلا فتات حقوقنا ربما كانت صحوة ربع ضمير.. وعلى أية حال فالجميع يعلم أنه أعادنى لأحافظ على المجموعة لأنه يعلم غباءك.

صرخ (تامر): إخرس أيها الحقير.. لا أريد أن أراك داخل مجموعتى.

أطلق ابن عمه ضحكة عالية وهو يقول: أنت نفسك لن ترى

المجموعة بعد ذلك أيها الغبى.. هل تظن أن (سلطان الماحى) سيقف مكتوف الأيدى يراقب ماتفعله أنت؟.. أنت واهم إذًا أيها الأحمق.

❖ ❖ ❖

غاص (يوسف) فى مقعده وعشرات الأسئلة تدور فى رأسه وإن هيمن عليها سؤال رئيسى.. كيف سيذهب إلى شقته فى لندن ولا يعلم لِمَ تسعى تلك السيارة خلفه؟ ولا يدرى مالذى يخبأه له راكبيها؟ تُرى هل كشفوا هويته الحقيقية ؟ كيف وقد دخل البلد بتلك الهوية المزيفة التى زوده بها الأمن الأمريكى ؟!!

عقد حاجبيه لحظة قبل أن يتذكر أستاذه فى المدرسة الداخلية وآخر مراسلة بينهما ، تلك التى أخبره فيها أنه قد اشترى منزلًا فى الريف الإنجليزى ليسكن فيه مع أسرته ودعاه ليقضى بعض الوقت هناك.

استرجع العنوان فى ذاكرته ثم استبدل تلك الحافلة التى يستقلها بأخرى فى الاتجاه المعاكس.

جلس يفكر لحظات.. قرر أنه سينزل بعيدًا عن منزل أستاذه ويُكمل المسافة المتبقية سيرًا على الأقدام حتى لا يُعرض منزل أستاذه للخطر فى حال إذا كان لازال هناك من يتبعه.

راح يفكر فيما سيفعله ورغمًا عنه جرته مخيلته إلى صورتها وراحت كل ذكرياته معها تنساب إلى عقله..فتارة يجد نفسه يبتسم وتارة يشعر بالشوق قبل أن تهبط صورتها بين ذراعى (أحمد) على

شاشة عقله لتظلم الدنيا أمام عينيه.. راح يهرب من تلك الذكرى.

ألقى ببصره إلى الحقول الخضراء الممتدة أمامه علها تبعث شيئًا من الراحة فى نفسه الكئيبة.

حمل حقيبته وهو ينزل من الحافلة.. سار شاردًا غارقًا فى حزنه فلم ينتبه إلى تلك السيارة التى أتت من خلفه وصدمته فى عنف لتلقى به على جانب الطريق قبل أن تتوقف لتطل منها فتاة شقراء لا تتعدى التاسعة عشر من عمرها، وهى تصرخ فى ذعر وتتجه نحوه ولكن صديقها الأشقر الذى غطى النمش وجهه.. صاح بها وهو يجذبها نحو السيارة،وينطلقان بها فى سرعة تاركين (يوسف) خلفهم ملقى على الأرض بلا حراك.

❖ ❖ ❖

طرقت (سيلين) باب غرفة (سارة).. انتظرت لحظات حتى سمعت صوتها يدعوها للدخول.. ألقت نظرة سريعة على (سارة) التى بدل الحزن ملامحها فانطفأت تلك اللمعة الشقية بعينيها وظلل الحزن أهدابها.. استقبلتها بابتسامة باهتة وهى ترحب بها، اقتربت (سيلين) حتى جلست بجوارها قائلة : كيف حالك؟

أطرقت (سارة) برأسها فى صمت فتابعت (سيلين): أنا أشعر بك جيدًا فأنا أعرف شعور من فقد شخصًا عزيزًا عليه.

سالت الدموع من عينيها فاحتوتها (سيلين) فى حنان وهى تهتف: رباه أنت تحبينه حقا.

لم تجبها (سارة) ولكن تلك الدموع المنهمرة من عينيها كانت

خير إجابة.

فمنذ رحل حاملًا روحها معه وهى وحيدة فى غرفتها تبكى دائما، تعلم أنه كان محقًا حين أخبرها أنه يسكن داخلها تتساءل دومًا عن هذا الامتحان الصعب الذى تُخير فيه بين دينها وحبها.. فأحيانا نحب حبًا رائعا ولكن لا سبيل إلى الوصول لمن نحب ولا حتى مجرد البوح بهذه الكلمة ولا مجرد الإشارة إليها لأنه لا ينتمى لعالمك.. هو فى بداية الطريق وأنت فى نهايته.. هو فى الطرف الآخر من العالم ينتظر خطوتك وأنت تتخبط فى حيرتك تتمنى أن يبسط يده فتجذبه نحوك حيث يشرق النور فى جانبك أم تقف مكانك تنتظر خطوته.. تتلهف إلى كلماته.. تحن لهمساته.. تشتاق لابتسامته حين يقع ظل عينيه على وجهك .. تتمنى أن تبوح له بشوقك الذى كاد يمزقك.. أن تخبره بنيران الفراق التى أحرقت داخلك.. ولكن هيهات أن يجتمع السواد والبياض وهيهات أن تجتمع الأضداد.

❖ ❖ ❖

ظل (يوسف) يقاوم تلك الغيبوبة التى أحاطت بعقله وهو يرى السيارات تمر عليه.. جاهد ليشير إليها حتى تتوقف إحداها لتنقذه ولكن السيارات كانت تمرق بجواره دون أن يعبأ به أحد حتى توقفت بجواره تلك السيارة، ونزل منها ذلك الكهل وهو يتمتم بكلمات لم يسمعها جيدًا قبل أن ينحنى نحوه قائلاَ بإنجليزية سليمة: ماذا حدث؟

أجابه فى إجهاد: لقد صدمتنى سيارة.

الرجل فى قلق: سأنقلك إلى المشفى حالا.

قال فى ضعف: لا أريد الذهاب إلى المشفى، لى صديق يقطن قريبًا من هنا ساعدنى لأصل إليه.

التفت الرجل خلفه لينادى على امرأة برزت من السيارة فى سرعة لا تتناسب مع سنها.. كان الدوار قد بدأ يكتنفه وهو يرى (سارة) تنزل من السيارة وتقترب منه وهى تتطلع إليه فى قلق وكان هذا آخر ما رآه قبل أن يسقط فى تلك الغيبوبة.

❖ ❖ ❖

تقلبت (سارة) فى فراشها كالمحمومة.. الكوابيس تطاردها متى أغلقت عينيها وأسلمت للنوم عقلها راحت تستغفر حتى استطاعت النوم أخيرا... رأته يقف وحيدًا وسط غابة خضراء ثم انقض ذلك الوحش المعدنى عليه وهاجمه ولكنه استطاع الفرار منه بعد أن أصابه فى ساقه ورقد أرضًا بلا حراك، ركضت نحوه وهى تحميه بجسدها حتى ابتعد الوحش ثم اقترب منها ذلك الرجل الذى تنطق ملامحه بالطيبة وهو يقول: دعيه لى.. أنا سأعالجه.

قالت فى ذعر: لن أتركه.

قال الرجل: ثقى بى.

تشبثت بـ (يوسف) أكثر وهى تصرخ باسمه هاتفة: يوسف.. يوسف.

❖ ❖ ❖

راح صوتها يرن فى أذنيه و يخترق تلك الحجب الضبابية التى أخذت تنقشع بالتدريج .. رآها تقترب منه مرتدية فستانًا ورديًا حريريا.. بدت غاية فى الجمال والرقة وهى تواصل اقترابها منه حتى وقفت أمامه وامتدت يدها تربت على وجنته وهى تقول : استيقظ حبيبى.

قال فى لهفه : هل أنا حبيبك حقا؟

هزت رأسها وهى تميل نحوه وتحيط وجهه بيديها قائلة : أنت وحدك حبيبى.. استيقظ الآن ثم راحت تبتعد وصوتها يتردد من بعيد: استيقظ الآن.

فتح (يوسف) عينيه دفعة واحدة وهو يتأمل المكان حوله.. كانت غرفة نوم فخمة تدل على ثراء أصحابها.. شعر بثقلٍ فى ساقه اليمنى فلم يستطع تحريكها.. سمع أصوات تقترب من الًباب، ميز صوت سيدة كانت تتحدث بلغة غريبة تبعها صوت رجل ثم صوت الباب يُفتح.

دخل الرجل تبعته المرأة.. فتح (يوسف) عينيه ليتطلع إلى الكهل الذى وقف أمامه وهو يتمتم بكلماتٍ لم يفهمهما قبل أن يقول بالإنجليزية: كيف حالك الآن؟

أجابه فى ضعف : بخير.. أين أنا؟

- أنت فى منزلى لقد رفضت أن نذهب بك إلى المشفى ولم نستطع التوصل إلى صديقك هنا فأحضرتك إلى منزلى.

- شكرًا لك.. سأعمل على أن أرد لك ما فعلته معى.

- لا داعى للشكر فهذا واجب علىّ.

قال فى امتنان : كان بإمكانك تركى كما فعل الكثيرون غيرك.

قال الرجل فى هدوء : لايمكننى يا ولدى فهذا مخالفٌ لدينى ومهنتى..نعتذر يا ولدى سمحنا لأنفسنا بالاطلاع على أوراقك الشخصية فقد كانت زوجتى قلقة إزاء إحضار غريب مصاب إلى المنزل خاصة مع إصرارك على عدم الذهاب إلى المشفى وكنا نريد التوصل إلى صديقك هنا.

نقل (يوسف) بصره إلى المرأة التى تشبه جدته إلى حدٍ بعيد ولكنها تبدو أصغر سنًا وهو يقول فى ضعف: لا بأس هذا حقكم.

عرَّف الرجل عن نفسه : أنا الدكتور (عدنان صديقى) وهذه زوجتى السيدة (عافية).. سيأتى طبيب العظام الذى قام بوضع ساقك فى الجبس دكتور (كلارك فالمونت) ليراك بعد قليل.

قال فى سرعة : شكرًا لك لاداعى لذلك يمكننى أن أنتقل الآن إلى أسرة صديقى.

أشاح الدكتور بيده قائلًا : كلا لا يمكنك الحركه قط.. حتى يأتى (كلارك) ويخبرك ماذا ينبغى عليك أن تفعل؟ سنتركك الآن لتستريح يا (جون).

تذكر (يوسف) تلك الهوية التى زوده بها رجال الأمن الأمريكيين لحمايته من تلك المنظمة التى حاولت قتله سابقا.

اومأ برأسه بضعف بينما ألقى (عدنان) نظرة على الأنبوب

المطاطى المعلق على حامل بجوار فراشه وامتدت يده لتوقفه قبل أن يتابع بابتسامة صغيرة: أعتقد أنك لن تحتاجه بعد الآن.

تركه وغادر ليسقط هو مرة أخرى نائما.

❖ ❖ ❖

استيقظ (تامر) من نومه على صوت طلقاتٍ مكتومة بالقرب من باب غرفة نومه ، تبعه صوت سقوط جسمٍ ما بجوار باب حجرته ، قفز من فراشه وهو يتجه نحو باباً الغرفة فى ذعر لينفتح الباب فجأة فيصطدم به ليسقط على ظهره قبل أن ترفعه قبضة قوية لتوقفه على قدميه، تطلع حوله فى رعب ثم صرخ وهو يحاول التظاهر بالقوة: ماذا تفعلون أيها الحمقى ألا تعرفون من أنا؟

أجابه رجل يتكئ على الحائط فى استهتار: نحن نعلم من أنت جيدا.. لذا نحن هنا

صاح (تامر): سيدمركم رجالى لن تخرجوا من هنا أحياء.

قال الرجل فى برود: كيف وصلنا إلى حجرة نومك برأيك أيها الغبى؟

أسقط فى يد (تامر) وهو يتطلع إلى الوجوه المحيطة به ثم انهار على ركبتيه وهو يتوسل اليهم أن يدعوه وشأنه و يعدهم بأن يعطيهم كل ما يريدون من مال.

ولكن الصرامة التى أطلت من عيونهم لم تكن تحمل سوى ردًا واحدا.

❖ ❖ ❖

انتفض (يوسف) من نومه على صوتها يناديه تلفت حوله فى الحجرة بحثًا عنها ولكنه عاد يمسح على رأسه وهو يقول : لقد انتهت من حياتى علىّ التوقف عن التفكير فيها.. علىّ أن أفعل.. انتبه إلى صوت الدكتور (عدنان) الذى تلا طرقات على الباب، ثم فُتِحَ الباب ليظهر على عتبته الدكتور وبرفقته شاب فى أواخر العشرينيات، من عمره أشقر الشعر، أخضر العينين ممشوق القوام له ابتسامه ساحرة وغمازة على أحد جانبى وجهه ذكرته بغمازتيها الساحرتين.

خطا (كلارك) نحوه فى ثقة وهو يقول فى مرح: كيف حالك (جون)؟

أجابه فى اقتضاب: بخير.. هل يمكننى المغادرة؟

هتف (كلارك) : مستحيل فلديك كسر مضاعف فى ساقك اليمنى ولن تتمكن من الحركة قبل ثلاثة أسابيع على الأقل.

هز رأسه رافضًا : لا يمكننى البقاء كل هذه الفترة.. لدىّ عمل.

ألقى (كلارك) نظرة على ساقه : يمكنك التقدم بإجازة لجهة عملك وسأعطيك تقريرًا طبيًا يساعدك على ذلك.

عاد (يوسف) يعترض ثانية : لاداعى لذلك أنا أريد العودة إلى عملى.

قال فى حسم وهو ينهض: ستعود إلى عملك عندما تتحسن حالتك.

ألقى نظرة أخيرة على ساقه ثم انصرف.

❖ ❖ ❖

جثا (تامر) على ركبتيه أمام (سلطان الماحى) الذى جلس فى غطرسة على كرسى جلدى واضعًا ساقًا فوق الأخرى وهو يقول فى استخفاف: ألم يُحذرك مساعدى أيها الأحمق؟

أجابه فى رعب: نعم نعم.

قال (الماحى) فى كِبر: ولمَ لم تستجب أيها الغبى؟ ..

مد مقدمة حذاءه أمام وجه (تامر) وهو يتابع فى بطء: ربما لو كنت فكرت قليلًا لأدركت خطأك.. ماذا استفدت الآن؟ اتصال صغير منى جعل تلك الجريدة تنشر تكذيبًا على موقعها ووصفت الوثائق بالمزورة.

هتف (تامر) فى توسل: لم أفعل صدقنى لا علاقة لى بالأمر.

صاح (سلطان) فى غضبٍ هادر: كف عن التصرف كالأطفال وكن رجلا.

هتف (تامر) فى رعب:سأفعل كل ما تشاء لكى تصفح عنى.

تراجع (سلطان) فى مقعده وارتسمت على شفتيه ابتسامة منتصرة، وهو ينفث دخان سيجارته فى وجهه : المجموعة.

تطلع إليه (تامر) وهو يُردد فى ذهول: ماذا؟ مجموعة شركاتى؟؟

تابع فى ثقة: كاملة.

حدق (تامر) فى وجهه لحظة قبل أن يصرخ فى ثورة: هذا مستحيل.. لن تحصل عليها إلا على جثتى.

هز (سلطان) كتفيه فى لامبالاة وهو يقول: تذكر أن هذا هو اختيارك.

تمتم (تامر) فى رعب: ماذا تعنى؟

أجابه فى مقت: أنا أعطى الفرصة مرة واحدة فقط.

زحف (تامر) على ركبتيه وهو يقبل قدم (سلطان) هاتفًا فى توسل: إلا المجموعة.. أطلب أى شىء إلا المجموعة.

قال (سلطان) فى صرامة : لقد خيرتك يا ابن (الصفتى).

ثم هتف مناديًا باسم أحد رجاله الذى مثل بين يديه فى سرعة، فأمره (سلطان) بأن يلقوا بـه فى بئر الموت،وتعالت صرخاته وهو يغرق فى ظلام دامس دون أن يفهم ماهو بئر الموت.

❖ ❖ ❖

ومرة أخرى عادت هى بنفس ثوبها الحريرى وهى تقترب منه قائلة فى حنان: هل أنت بخير؟

أجابها فى لهفة : أنا بخير طالما أنت بجوارى.

همست فى رقة : سأظل بجوارك دائمًا حتى تعود إلىّ.

قال فى ألم: ولكن لماذا.. لماذا خنتنى.. لقد أحببتك أكثر من العالم كله؟

اقتربت منه أكثر وهى تربت على وجنته فى حبٍ هامسة : لم أخنك قط.. ثم ابتعدت فجأة كأنما تلاشت فى الهواء.

هتف فى ألم: انتظرى... لا تتركينى.. سارة.. سارة.

❖ ❖ ❖

نهضت من نومها مذعورة وهى تتلفت حولها بحثًا عنه كانت الحجرة غارقة فى الظلام أسرعت تفتح نافذة غرفتها.. تطلعت إلى الحديقة أمامها تبحث بعينيها عنه .. نزلت الدرج فى سرعة، خطت داخل غرفته، كانت الغرفة باردة جامدة كما تركها.

جلست على طرف فراشه وراحت تبكى فى حرارة.. انتفضت فجأة عندما وجدت يدًا تُوضع على كتفها، رفعت رأسها لتجد (جدتها) واقفةً أمامها، لم تتكلم بل أجهشت بالبكاء، وهى تلقى بنفسها بين ذراعى (جدتها) التى شاركتها بكاءها فى صمت.

❖ ❖ ❖

وقف مساعد (سلطان) أمامه فى خنوع جعل جبهته تكاد تلتصق بركبتيه و(سلطان) ينفث دخان سيجاره الكوبى الفاخر فى وجهه وهو يقول : لكى لا تتحول قضيتنا إلى قضية رأى عام يجب أن يجد الرأى العام قضية أكبر وأكثر إثارة من قضيتنا تشغله ، صمت لحظة قبل أن

يتابع: وأنا سأعطيهم إياها.. قضية الموسم.

هتف المساعد فى لهفة: كيف؟

أجابه (سلطان) فى غموض: ماهو أكثر إثاره من جريمة قتل لرجل أعمال شهير تقترن بفضيحة جنسية.

علت شفتى مساعده ابتسامة ماكرة وهو يقول: إنه يستحق فقد كان طفلًا غبيا.

برقت عينا (سلطان) ببريق عجيب وانطلقت ضحكاته الشيطانية تدوى عالية فى سماء الغرفة.

❖ ❖ ❖

النبضة الرابعة عشرة

مضى على (يوسف) أسبوعًا داخل منزل الدكتور (عدنان) كان يلقى أفضل معاملة ،تحسنت صحته بشكل ملحوظ وطلب من الدكتور (عدنان) أن يُخبر أستاذه بمكانه ولكنه أجابه أن أستاذه مسافر خارج البلدة ولن يعود إلا بعد أسبوعين.. توطدت علاقة (يوسف) بالدكتور وزوجته بشكل كبير رغم قصر الفترة كما انعقدت أواصر الصداقة بين (كلارك) و(يوسف) فى فترةٍ وجيزة لم تحدث فى عمره بأكمله فقد كان (كلارك) شخصًا متفتحًا، مثقفًا، سليم الطوية وقد اكتشف مصادفة أنه زوج ابنة الدكتور (عدنان) وهنا لم يحتمل (يوسف) فألقى إليه بسؤاله الذى يؤرقه: كيف تزوجتها وهى مسلمة؟ وعلى حد علمى الإسلام ذلك الدين الذى لايأبه للمشاعر يُحرِم زواج غير المسلم بمسلمة؟

أدرك (كلارك) من نبرة الحقد فى صوت (يوسف) أنه يعانى من مشكلة شخصية مع الإسلام فقال فى سرعة: هذا صحيح ولكن لم يكن هناك مشكلة بزواجنا لأننى أسلمت.

صاح فى استنكار : كيف لرجلٍ مثلك يمتلك هذه العقلية المتطورة وهذا الكم الوافر من الثقافة والعلم ثم يؤمن بدين كهذا؟!!!!! أم كان من أجلها فقط؟

أجابه (كلارك) : لقد آمنت به لأنه الدين الذى يتوافق مع العقل

والعلم.

هز (يوسف) كتفيه وكأن الإجابة لم ترق له وهو يقول فى سخرية : ولِمَ لم تغير اسمك أيضا؟

أجابه فى سرعة : لأن الإسلام لا يشترط أن أغير اسمى.. كما أننى أحب اسمى ولا أحب تغييره، فاسمى يعبر عنى وهو شىء خاص بى.

مط (يوسف) شفتيه فى لامبالاة: اعذرنى فلا أجد مبررًا يجعلنى اقتنع بكلامك وأرى أنك قد اتخذت قرارًا سيدمر حياتك.

قال بابتسامةٍ خفيفة : دعنى أخبرك بقصتى أولا.

❖ ❖ ❖

ارتفع رنين هاتف (تارا) فى إصرار.. تطلعت إلى عقارب الساعة التى أشارت إلى السابعة... تثاءبت فى كسل وهى تتمطى فى فراشها قبل أن تلتقط هاتفها ليطالعها اسم (رامى) فى إلحاح قفزت من فراشها هاتفة فى قلق: ماذا هناك؟.. هل كل شىء بخير؟

أجابها فى سرعة: نعم الجميع بخير فقط اطلبى من (سيلين) أن تقرأ أخبار الصباح .

أتبع قوله بأن أغلق الخط، بينما اتجهت هى نحو غرفة (سيلين)

❖ ❖ ❖

استرخى (كلارك) فى مقعده وهو يقول بهدوء: لقد كنت مثلك فى البداية..فقد درست كل الأديان فأنا كنت مسيحيًا فى طفولتى

ثم ملحدًا فى شبابى وكنت من أشد الدعاة إلى الإلحاد وكنت أراه هو الحرية بعينها وظللت فترة هكذا حتى شعرت بخواء نفسى رهيب وشعرت أننى وحيد منفرد فى هذا العالم وكنت ككثيرين من بنى وطنى،نرى أن الإسلام هو دين الإرهاب ونعاديه ونكرهه دون أن نعلم عنه أى شىء.. فقط صورته الذهنية لدينا، أنه دين الإرهاب والقتل و إراقة الدماء.. وصادف أن أتانى عمل فى شرق آسيا واعتنقت البوذية هناك ثم بدأت أشعر أنها لا تفى باحتياجاتى النفسية،فعدت إلى هنا لا أكترث بشىء وما عاد يشغلنى هذا الأمر وقررت أن أستمتع بحياتى دون أن أجهد عقلى بشئ.

و فى إحدى ليالى عملى فى المستشفى حدثت تلك الحادثة.. كان فتى شابًا لا يتجاوز التاسعة عشرة من عمره قام مجموعة شباب بالاعتداء عليه وطعنه عدة طعنات فى أماكن متفرقة من جسده كان يقبض على كتاب صغيرٍ بشدة.. لم نستطع نزعه منه وظل يردد بعض الكلمات بلغةٍ لا أفهمُ منها حرفًا واحدًا بصوتٍ جميل وبلحن شجى،وبدأ صوته يتضح حينما أدخلناه إلى غرفة العمليات، كان طبيب التخدير يستعد لتخديره، فى حين ظل هو يردد تلك الكلمات بذلك الصوت الشجى، وشعرت بأوصالى ترتجف وأنا أصغى إلى تلك الكلمات، لا أدرى لم انتابنى شعور أنها ليست كلمات بشرية ثم بدأ الشاب يرتجف لحظة وتعرق وجهه وفاضت روحه وتلك الابتسامة الواسعة تنير وجهه.

ظللنا نحدق به لحظات فالأجهزه كلها تعلن وفاته بينما تلك

الابتسامة الواسعة،تشى بعكس ذلك..اقتربت منه وأنا أحاول أن أتحقق من وفاته، فسقط ذلك الكتاب فى يدى وشعرت برهبة غريبة، حينما مسته يدى وانتابتنى قشعريرة فدسسته فى جيبى، وكل ما استقر فى نفسى أنه كتاب سحر وأن هذا الشاب ساحر، وعدت إلى بيتى وألقيت بذلك الكتاب فى أحد الأدراج ونسيت أمره تمامًا.

ولكن الفضول بشأن مصرع الشاب وتلك السعادة العجيبة،التى بدا فيها عند موته، جعلنى أسأل عنه لأعرف ما سر تلك الكلمات السحرية التى كان يرددها.

وذهبت إلى بيته الذى حصلت على عنوانه من سجلات المستشفى.. وفتحت لى الباب فتاة شابة ترتدى غطاء للرأس يشع من عينيها بريق عجيب.. قدمت نفسى إليها فرحبت بى وأدخلتنى وهى تنادى على والدها الذى كان رجلًا فى أواخر الخمسينيات من عمره يشع من وجهه نور، قلت لنفسى إن العائلة كلها من السحرة، ولعنت فضولى الذى أوصلنى إلى بيت السحرة هؤلاء، وسرت بجوار الرجل حتى أوصلنى إلى مكان مريح للجلوس.

رحب بى الرجل بحفاوة بالغة وأخذ يقدم نفسه ،أذهلنى أنه أستاذ بكلية الطب، وعالم متخصص فى علم الأجنة، وتغلب فضولى على خوفى وقصصت عليه كل ما حدث ورغبتى فى معرفة تلك الكلمات السحرية، وسر تلك الابتسامة والراحة التى بدا فيها ابنه.

ودمعت عينا الرجل وبكى فى تأثر ثم قال: لقد كان ابنى يقرأ

القرآن وكان يقوم بمساعدة فقراء الزنوج وقت أن طعنه هؤلاء الشباب الذين كانوا يحاولون الاعتداء على فتاة، فتصدى لهم ابنى وأنقذ الفتاة، من أيديهم ولكن هؤلاء الشباب انهالوا عليه بالطعنات قبل أن يولوا هاربين.

قلت فى فضول: وهل كان ابنك على علاقه بهذه الفتاة؟

أجابنى فى هدوء : كلا هو لا يعرفها.

عدت أسأل فى فضول أشد: وما الذى يدفعه لمساعدة فتاة،لا يعرفها حتى يموت بسبب ذلك؟

قال الرجل: ديننا يأمرنا بذلك يا ولدى.

قلت فى دهشة: أى دين هذا الذى يأمر بأن يضحى المرء بحياته، من أجل أناس لا يعرفهم؟

أجاب بقوة هزت أوصالى: إنه الإسلام.

خرجت من عند الرجل وأنا فى حالة ذهول كلية، ثم عدت إلى بيتى ودخلت على الانترنت، وقمت بعمل بحث عن الإسلام، وفوجئت بأن كل ما كنا نعرفه عن هذا الدين هو محض كذب وافتراء.

ثم عادت قناعاتى السابقة وذلك الكره الذى نشأت عليه يتصارع، مع حيادى العلمى حتى حضرت مؤتمرًا طبيًا عن العظام ، وتم عرض كشوف علمية حديثة، فى المؤتمر وكان الكشف المذهل لمجموعة من الباحثين، عن إمكانية تصنيع عظام

من الأشجار، وراح الباحثون يشرحون كيف قاموا بمعالجة الشجرلتصنيع العظم وذلك بتسخين الخشب عدة مرات ومعالجته بضغط عالٍ مع تغيير التركيب الكيماوي له بإضافة الكالسيوم والفوسفات إليه ليصبح مادة قوية وشديدة التحمل يمكن لحمها بالعظام الحقيقية ثم يتم العمل على جعل بنيتها الداخلية مماثلة لعظام الإنسان. وعرضوا صورا تبرز التشابه الشديد بين المسام الموجودة فى الشجر والمسام الموجودة فى عظام الإنسان وتباهى الباحث بأن أحدًا لم يسبقهم إلى هذا الكشف وأن أحدا لم يربط قط بين الشجر والعظام البشرية وانتهى المؤتمر ووجدت ما يشبه الشجار بين بعض الأطباء.. فأحد الأطباء المسلمين يدعى أن ماتوصل إليه الباحث ليس بجديد فقد أشار إليه قرآنهم منذ ألف وأربعمائة عام ثم قرأ بعض الكلمات بصوت رخيم بعث الرهبة فى صدورنا وهو يقول ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٧٨-٨٠] وقال إن القرآن أشار للشجر بعد أن قال يحييها فى إشاره إلى الربط بين العظام و إعادة الإحياء والشجر كما أشار أيضا إلى ضرورة وجود الحرارة.

وقتها لم أصدقه وظللت أتابعه عن قرب، ووجدته يدخل فى نقاش آخر بينه وبين أحد الأطباء الإنجليز، عن المفاصل فى جسم الإنسان ووقف يقول إن نبيهم قد أخبرهم بما اكتشفه العلماء منذ عدة

سنوات، فقال الإنجليزى: هذا مستحيل لقد اكتشفنا العدد الحقيقى للمفاصل وهو ثلاثمائة وستون مفصلاً منذ فترة ليست طويلة.

فقال هذا الطبيب المسلم لقد أخبرنا النبى ﷺ بذلك ومن روت هذا الحديث هى سيدة فقال: روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين السيدة عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا من طريق الناس، أو شوكة أو عظما عن طريق الناس، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة سلامي فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار» صحيح مسلم: (١٠٠٧)، ٦٩٨/٢

وقتها شغلنى حقًا ما قاله هذا الطبيب وتبعته وطلبت منه أن نتحدث وكل همى أن أثبت أنه كاذب وأنه مخطئ وجاءتنى دعوة من أحد أصدقائى الجيولوجيين، سيقدم فيها بحثًا جديدًا عن العظام بعد الموت وأنها قد تتحلل أو تأخذ الصورة المتحجرة أو تتحول إلى (حديد البيريت) ووجدتها فرصة مثالية لأهزم هذا الطبيب المسلم، وأثبت له كذب ادعائه من أن كتابهم يحتوى على كل شىء.

وذهبنا إلى المؤتمر وراح صديقى يعرض صورًا لكشفه العلمى كان فيها صورًا تحتوى عظام تحجرت وعظام تحولت إلى(حديد البيريت) فقلت للطبيب المسلم فى تحدٍ: أعتقد أن هذا ليس فى كتابكم.

نظر إلى ثم ابتسم فى إشفاق وهو يقول: بل لقد ذكر هذا حرفيًا فى كتابنا وليس بالإشاره ثم قرأعلىّ تلك الآيات التى أثارت تلك الرهبة داخلى دون أن أفهم منها حرفا واحدا قبل أن يقوم هو بالترجمة فقال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ٤٩ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١].

أخذنى الكبر فانتظرت معه حتى حضر صديقى وظللنا نتناقش معه ونكذبه وهو يتعامل معنا بصبر شديد وأدب جم حتى انصرفنا ونحن على وعدٍ بلقاءٍ جديد ولكنهً قبل أن ننصَرف طلب منا أن نفعل شيئًا عجيبا.

صمت (كلارك) لحظه فقال(يوسف) يستحثه: ماذا؟

ابتسم (كلارك) قائلاً: طلب منا أن نحرر عقولنا وأن نجعل همنا الأكبر هو الوصول إلى الحقيقة وأن نطلب من الله الهداية.

سخرنا منه وقتها ولكنه عاد يكرر طلبه بإصرار عجيب لم نملك معه إلا أن نوافق على طلبه حتى يوافق على تكرار اللقاء بيننا و نتمكن من هزيمته.

وعدت إلى غرفتى بالفندق وجلست أبحث عن الإسلام وهمى الأكبر أن أجد ثغرات أهزم بها هذا الطبيب وظللت أقرأ عن الإسلام لساعاتٍ وساعات ووجدتنى أنبهر بما أقرأه، وكلما عاد تعصبى وكرهى للإسلام يقفون حائلًا أمامى، أنفذ طلبه وأحرر

عقلى وأطلب الهداية .. حتى قرأت عن نبيهم فبهرتنى شخصيته وقوته وحكمته وذكاؤه الشديد وشجاعته وحسن معاملته لأهله وأصحابه وحنانه ورقته، وكيف أن رجلًا لا يقرأ ولا يكتب يأتى بكتابٍ يحوى هذه المعجزات العلمية. وأيقنت أن رجلًا (كمحمد) لم يخرج من شبه الجزيرة العربية ونشأ فى الصحراء بين قبائل أمية لا يمكنه أن يأتى بمعجزةٍ علميةٍ حضاريةٍ كالقرآن من تلقاء نفسه وإنما هو وحى من السماء.

وظللت لفترة بعدها أتردد على المراكز الإسلامية وتوطدت علاقتى بذلك الطبيب وقد أعجبنى شخصه حقا وكلما ازددت معرفة عن الإسلام ازددت اقتناعا فكما قال فرانسز بيكن (القليل من العلم يجعلك ملحدًا ولكن دراسة متعمقة له تجعلك مؤمنًا بالله).

بدا على وجه (يوسف) صراعه الداخلى فقال (كلارك) فى إشفاق: أعلم أن الاقتناع بشىء ظللت تعاديه لعمرك كله هو أمر صعب ولكن الحياد العلمى والموضوعية هى من ستحدد فى النهاية.

غاب (كلارك) للحظات ثم عاد وقد أحضر معه بحثًا علميًا ناوله له قائلا: يمكنك أن تمضى وقتك فى هذا حتى لا تشعر بالملل.

تناول (يوسف) البحث بيدٍ مرتجفة فقال (كلارك) فى سرعة: حرر عقلك وتعامل بحيادية.. حرر عقلك وتعامل مع الحقائق العلمية المجردة..أرى روح العالم تثب من داخلك وتطل من عينيك.. تعامل مع الحقائق فقط بلا أى تعصب أو كره دفين واعترف لنفسك بالحقيقة، فقط الاعتراف ليس من الضرورى

أن تبنى عليها قرار ما.. اجعل هدفك هو الوصول للحقيقة فقط.

صمت لحظة ثم ابتسم وهو يستطرد: وكما قال (أندريه جيد) (من السهل أن تعرف كيف تتحرر ولكن من الصعب أن تكون حرا).

تطلع إليه (يوسف)فى دهشة وهو يتجه نحو الباب ويغلقه خلفه فى هدوء، عاد ببصره إلى البحث الملقى بين يديه وراح يقرؤه فى اهتمام.

❖ ❖ ❖

سالت الدموع من عينى (سيلين) وهى تشاهد تلك الصورة لـ (تامر) وتقرأ التفاصيل التى رافقت الصورة، والتى تحكى كيفية مصرعه وأن القتل كان نتيجة شذوذ رجل الأعمال الشهير (تامر الصفتى)، وأن أحدهم قام بخنقه من الخلف أثناء ممارسة هذا الفعل الفاحش حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

ألقت بالجريدة وهى تلتقط صورة أخيها.. راحت تحدثه بشكل هستيرى: لقد اقتص الله لنا (مهاب)، الحقير أحرق كل الأدلة وزيف شهادات الشهود وأحرق ما سجلناه وظن أنه أفلت من العقاب ولكن الله يمهل ولا يهمل.

❖ ❖ ❖

ارتسمت على شفتى (سلطان) ابتسامة ظافرة وهو يطالع جرائد الصباح بينما وقف مساعده أمامه يبتسم فى زهو ، مال (سلطان) إلى الأمام وهو يقول: هل انتهى الأمر؟

أجاب مساعده فى سرعة: نعم لقد قام (صفوان) بدوره خير قيام، لقد امتهن كرامته قبل أن يقتله وتم تصوير ذلك و إرسال الفيديو للجرائد وتم نشره على مواقع التواصل الاجتماعى.

سأل (سلطان) فى بطء: ونحن؟

همس مساعده فى خبث: لا علاقة لنا بالأمر.

نفث (سلطان) دخان سيجارته وهو يقول : هل قال شيئًا قبل أن يموت؟

قال المساعد: لم يتوقف عن الصراخ كالنساء وظل يهذى بكلمات لا معنى لها ولكنه فى النهاية أخذ ينظر أمامه ويصرخ بجملة واحدة، ظل يرددها حتى أزهق (صفوان) روحه.

سلطان: ماهى؟

أجابه المساعد: ظل يصرخ: ابتعد عنى (مهاب).. لا تقتلنى.

تمتم سلطان فى استفهام: من (مهاب) هذا؟

❖ ❖ ❖

تطلعت (سيلين) إلي (مهاب) وهو يقف فى تلك الحديقة الرائعة التى ازدانت بالزهور الجميلة التى لم تر لها مثيلا، هرولت نحوه وهى تلقى بنفسها بين ذراعيه هاتفة: كنت أتمنى أن يتألم مثلما تألمنا.

قال فى غموض: لقد تألم أكثر مما تألمنا بكثير.

هتفت فى لهفة: حقًا.. خذنى معك لم يبق لى شىء.

همس فى رقة: بل أنت على وشك البداية صمت لحظة ثم تابع: أبلغى صاحب العبارة سلامى.

تمتمت فى حيرة: أى عبارة؟

قال وهو يبتعد: يبقى الله الذى ينصر المظلوم و يقتص من الظالم.

استيقظت (سيلين) من نومها وهى تنادى عليه.. تطلعت حولها لحظات ولازال صوته يتردد حاملًا تلك العبارة.. عادت تستلقى وهى تبتسم فى راحة .

❖ ❖ ❖

تطلع (يوسف) إلى تلك الأبحاث التى زوده بها كل من (كلارك) والدكتور (عدنان).. توالت الجلسات الفكرية والعلمية بينهم، بدأ (يوسف) يشعر بأنه يتغير كلية من داخله، اكتشف أن الأسرة التى كان (كلارك) يحكى عنها هى أسرة الدكتور (عدنان)، وأن الشاب الذى توفى بالمستشفى وكان سببًا فى إسلام (كلارك) كان ابنهم الوحيد، وقد انتقلوا إلى انجلترا حيث لم يحتمل الدكتور وزوجته البقاء فى أمريكا بعد وفاة ابنهم، شعر (يوسف) بالإجلال والاحترام للدكتور (عدنان) وأسرته خاصة بعد أن التقى ابنته التى تشبه (سارة) إلى حد بعيد بحجابها الأنيق ومرحها المعهود وحيويتها المفرطة وصخب الحياة الذى تحمله بين جوانحها.

كان (يوسف) قد أغلق هاتفه منذ وصوله لندن،ولم يفتحه إلا وهو على وشك المغادرة، لتصله تلك الرسالة من (أحمد)، كانت رسالة مختصره للغاية (سارة أختى فى الرضاعة ولا يمكننى الارتباط

بها لأننى أخوها مثل (مصطفى) تمامًا، لقد أسأت الفهم).

أقبل (يوسف) على (عدنان) يسأله فى لهفة: هل حقًا هناك فى الإسلام ما يسمى أخوة الرضاع وهل يحرم زواجهما؟

أجاب (عدنان) فى وقار: نعم.. الإسلام يعترف بإخوة الرضاع ويحرم زواج الإخوة من الرضاعة.

عاد (يوسف) يسأل فى اهتمام: ولِمَ ؟ هل هذا منطقى أن بضعة رضعات من أم لطفل غير وليدها يجعله ابنًا لها وأخًا لوليدها؟ هل يستوى بضع قطرات من اللّبن مع بقاء جنين تسعة أشهر فى رحم؟.. كيف هذا؟

تألقت عينا (عدنان) وهو يقول: أتعلم لقد حيرنى هذا الأمر كثيرًا ولطالما تساءلت ما الحكمة فى كون الرضاعة سببًا للتآخى وتحريم الزواج؟حتى عثرت على تلك الدراسة العلمية للجهاز المناعي للمرأة التى تفيد بأن لبن الأم يتكون من خلايا جذعية تحمل الصفات الوراثية المشتركة للأب والأم وبالتالي تنتقل تلك الصفات للطفل الذي تقوم الأم بإرضاعه مما يعلل حكمة التشريع في تحريم زواج الأشقاء بالرضاعة والذي يترتب عليه حدوث خلل في الجهاز المناعي للأطفال الناتجة عن تلك الزيجات بالإضافة إلى الأمراض الوراثية الأخرى الخطيرة.

تألقت عينا (يوسف) وهو يتمتم: إذًا هى لم تكن خائنة.

قال (عدنان) فى تساؤل: ماذا تقول يا ولدى؟

أجابه فى سرعة : لا شىء...لا شىء شكرًا لك.. أشكرك كثيرًا جدًا.

❖ ❖ ❖

تطلعت (سارة) إلى (أحمد) لحظات قبل أن تهتف فى فرح: هل أخبرتك؟ أتعلم معنى هذا؟

حدق (أحمد) فيها بتساؤل فقفزت تتعلق بعنقه وهى تقول: مبارك أخى الحبيب.. معناه أنها توافق علي الارتباط بك.

قال فى لهفة: حقا.

ضربته على كفه: نعم أيها العبقرى.. صمتت لحظة قبل أن تتابع فى حذر: ولكن ما تعرضت له يجعلها بحاجة إلى معاملة خاصة.

أومأ برأسه إيجابًا فتابعت فى سرعة: ولكنك حتى الآن لم تخبرنى كيف عرفت بما فعله (تامر) بها دون أن تخبرك هى بنفسها؟

أجاب على سؤالها بسؤالٍ آخر : كيف عرفت أنها موافقة، إنها لم تقل شيئا.. فقط أخبرتنى بتلك الواقعة وتركتنى وانصرفت.

صمتت لحظة قبل أن تقول : لو لم تكن تريدك لما غامرت بكشف سرها هى أرادات أن تبنى علاقتكما على الصراحة وتركت الكرة فى ملعبك هل ستقبل بها أم لا؟

قال فى حيرة: ربما أجد الأمر صعبًا على نفسى، ولكن كلما رأيت كم هو صعب علىّ، أتساءل كيف تحملت تلك المسكينة كل هذا وحدها فى صمت وألم، لقد عانت كثيرًا، لذا أجد أنه ليس من الرجولة أن أتخلى عنها وأن أحاسبها على جرمٍ هى ضحيته.

تطلعت إليه لحظات فى إعجاب : هذا هو أخى الذى أعرفه.. لقد عوضها الله بك.

تطلع إليها فى دهشة وهو يمد يده ليتحسس جبهتها قائلا: هل تمتدحيننى .. هل أنت بخير حبيبتى.

غمغمت فى ألم: لا لست بخير.

احتواها فى حنان وهو يقول: سيجعل الله لك مخرجا.

❖ ❖ ❖

غادرت (سارة) الكلية وقد انتهت من أداء امتحانها الأخير، كانت تسير وهى شارده كلية حتى أنها لم تنتبه لزميلتها التى راحت تسألها عن أدائها فى الامتحان، ولم تنتبه حتى إلى تلك السيارة التى توقفت بجوارها،و انفتحت أبوابها فجأة، ليجذبها أحد الرجال من الداخل بينما هاجمها رجل ضخم برز على الرصيف فجأة،وهو يدفعها إلى داخل السيارة بقوة، قبل أن يحشر نفسه فى السيارة التى انطلقت وسط صراخ (سارة) بالداخل وزميلتها بالخارج ودهشة المارة وذهولهم.

(اخُتُطِفت)؟!! صاحت الجدة بهذه الكلمة فى استنكار قبل أن تسقط فاقدة الوعى.

حملها (أحمد) وهو ينطلق بها صوب غرفة (يوسف) تاركًا إياها فى عناية (مصطفى) و (إسلام) آمرًا الأول بإحضار الطبيب قبل أن ينطلق برفقة زميلة (سارة) الشاهدة على الواقعة إلى قسم الشرطة فى الوقت الذى أفاقت فيه الجدة وراحت تهذي باسم (سارة).

ربت مصطفى على وجنتها قائلًا : كيف حالك جدتى؟

صاحت (الجدة) وهى تبكى بانهيار: أنا بأسوأ حال.. لقد

اختطفوا منى روحى نفسها.. ليتهم أخذونى وتركوها.

احتوتها (رنا) فى حنان وهى تقول من بين دموعها: لن يصيبها مكروه، سيحفظها الله.

همس مصطفى فى توتر: لم يتصل أحد حتى الآن ليطلب شيئا ..فلم خطفوها؟

صاحت الجدة كمن تذكرت شيئًا: (يوسف).. لابد أن يعلم.

تطلع إليها الجميع فى دهشة، بينما ظهر الاستياء على وجه (رنا) والجدة تواصل صراخها من أجل حفيدتها المخطوفة.

❖ ❖ ❖

النبضة الخامسة عشرة

علا رنين الهاتف فى منزل (يوسف)، كان قد عاد لتوه من اللقاء مع ذلك العالم الذى يلتقى به باستمرار ليتناقشا حول الأديان.

لم يكن يرغب فى أن يتحدث إلى أحد، إنه بحاجة إلى أن ينفرد بنفسه خاصة بعد ماسمعه اليوم من الرجل.

عاد رنين الهاتف يعلو مرة ثانية بإصرار.. اتجه نحو الهاتف ألقى نظرة على شاشته.. كان الرقم يخبره أن الاتصال من مصر.

أجاب فى لهفة ليأتيه صوت جدته الملتاع وهى تهتف: لقد خطفوا (سارة).

قال فى ذهول: من هم؟ ولماذا؟ أعطوهم كل ما يطلبون من مال سأدفع أى مبلغ يطلبونه

بكت فى انهيار : لم يتصل أحد و يطلب شيئا.

هتف فى توتر: ماذا يعنى هذا؟ هل (أحمد) أو (مصطفى) بجوارك؟

ناولت الهاتف لـ (أحمد) الذى قال فى سرعة: هل يمكنك فعل شىء؟

قال فى سرعة : اسمعنى جيدًا إذا اتصلوا ليطلبوا المال أعطهم مايريدون أنا سأدفع مهما كان المبلغ المطلوب، وسآتى فى أول

طائرة ولكن ابق على اتصال بى.

أغلق الهاتف وانهار على مقعده وصورتها تملأ عقله، انتفض قلبه فى رعب وهو يتمتم لنفسه : ماذا علىّ أن أفعل؟

شعر أنه وحيد وضعيف وعاجز.

تذكر كلماتها عن أهمية وجود الله فى حياتنا، وكيف أنه سندنا فى هذه الحياة، وكيف أنه هو الوحيد الذى يلجأ إليه الناس بالفطرة عند الكرب الشديد كمن أوشك على الغرق لن يدعو وقتها سواه.

انهار على ركبتيه وراح يبكى ومن أعمق أعماقه شقت استغاثته داخله لتدوى فى جنبات نفسه ويتردد صداها فى عقله وهو يهتف: يارب.. يارب.. مرت حياته السابقة أمام عينيه كشريط سينمائى.. أدرك أنه كان فى رعايته منذ البداية.. أدرك أنه لم يتركه لحظة واحدة.. أدرك أنه قد أصبح الآن حرًا .. سالت دموعه كمطرٍ منهمر يطهر روحه التى أضناها بُعدها عنه ومزقتها الحيرة وأرهقها التخبط فى الدروب الخاطئة. لم يدر كم مر عليه من الوقت وهو على هذه الحال حتى أعلن هاتفه عن التقاط رسالة بريدية، امتدت يده لاإراديًا لتفتح الرسالة، التهمت عيناه سطورها وهو يلمح اسم (سارة) فيها، كانت الرسالة مختصرة جدًا.

(سارة) بحوزتنا.. حياتها مقابل (الحرباء).

تمتم بكلمات حمد وهو يرسل رسالة لنفس البريد الإلكترونى

تحتوى كلمة واحدة (أين؟).

أتاه الرد فى رسالة بريدية (عندما تصل سنخبرك و إذا أردتها حية فلا تخبر أحدا).

❖ ❖ ❖

وصل إلى مطار القاهرة، أنهى اجراءاته فى سرعة، ظل ينتظر فى صالة الوصول وعيناه لا تفارق هاتفه ينتظر رسالة ترشده إليها، طال انتظاره وراح القلق يعصف بنفسه، إنه ينازل محترفين فالرسائل تأتية من بريد إلكترونى فى مقهى باستراليا، ظل يعتصر عقله عله يهديه إلى سبيل.. و كأنما سجن الخوف عليها عقله داخل سجن مظلم فحال بينه وبين التفكير ذاته، نهض متثاقلًا يجر قلبه المفطور من الحزن ومشاعره التائهة فى دروب الخوف والقلق وعقله الغارق فى بحار الألم وضباب المجهول .

خطا إلى داخل البيت وهو يتذكر زيارته الأولى واستقبالها له، تراءى له وجهها أمام عينيه، كل ركن فى هذا البيت حمل جزءًا من ذكرياته معها، البيت بدونها قاتم كئيب ، استقبله الجميع بأمل كبير أن ينجح فى إعادتها بينما انهارت الجدة باكية وهو يحتضنها ، تعلقت به طالبة منه أن يعيدها إلى البيت، ربت على كتفها وهو يعدها بذلك حاملًا حقيبته متجهًا نحو غرفتها.

❖ ❖ ❖

فتحت (تارا) باب غرفة (سيلين) وهى تقول فى غضب: مالذى تفعلينه؟ (سارة) مخطوفه وأنت تجلسين داخل غرفتك و... بترت

عبارتها وهى تحدق فى (سيلين) التى تقوقعت على نفسها وسالت الدموع من عينيها أنهارًا وقد شحب لونها بشكل مخيف.

اتجهت نحوها فى سرعة وهى تهتف باسمها فى ذعر، لم تجبها (سيلين) بل حدقت فى وجهها كأنها مخلوقة أتت من كوكب آخر، راحت (تارا) تهزها من كتفيها فى قوة وهى تهتف: ماذا هناك؟... ما بك؟

حدقت فيها (سيلين) لحظة قبل أن تجهش بالبكاء : أخشى على (سارة).. أخشى أن يفعل بها (تامر) مافعله بى.

احتضنتها (تارا) فى حنان قائلة : لقد مات (تامر) حبيبتى.

علا صوتها بالبكاء وهى تقول: الوحوش متشابهون وإن اختلفت أسماؤهم.

ربتت (تارا) على كتفها : لندعو الله أن يحفظها وألا يصيبها مكروه وأن تعود إلى بيتها سالمة.

رفعت (سيلين) عينيها إلى السماء وقلبها يلهج بالدعاء.

❖ ❖ ❖

وضع (يوسف) حقيبته وهو يتأمل الغرفة فى شوق ورغمًا عنه تذكر آخر كلام له معها فى تلك الغرفة، هذه الغرفة التى شهدت اعترافهما بحبهما وشهدت فراقهما، هنا كانت تجلس حبيبته وحيدة بعد أن أدمى قلبها وأخطأ فى حقها المرة تلو الأخرى ، هنا تركها وحدها تحت سكين الفراق الذى أدمى قلبه بعد أن مكنه منه سوء الظن متخفيًا فى عباءة الحب، كم كان غبيا، راح يبعد هذا عن

تفكيره وهو يهمس لنفسه: المهم أن تستعيدها ، هذا هو المهم الآن.

غادر الغرفة بسرعة إلى الأسفل وجد الجميع بانتظاره، فى لهفة وأسئلتهم تقفز من عيونهم فقال: لقد أرسلوا لى رسالة لمساومتى على الحرباء.

هتف الجميع: أى حرباء؟

قال فى سرعة: إنه برنامج من تصميمى حاولت إحدى المنظمات قتلى من قبل من أجل الحصول عليه. بدا أنه سيكتفى بذلك قبل أن يتابع : إنه عبارة عن رقاقة إليكترونية توضع على أى جهاز أو لوحة تحكم فتقوم بفك شيفرتها والتعامل معها كما لو أنها المفتاح الأصلى أى أن تلك الرقاقة قادرة على فتح كل الأبواب الإليكترونية مهما كانت يشمل ذلك الخزائن البنكية وغيرها حتى أبواب الأماكن الحساسة فقد كانت (الحرباء) قادرة على فك الشفرات فى زمن قياسى ..

هتفت الجدة : أعطهم ما يريدون وأنا سأعوضك.

قال فى شرود: المشكلة أننى لم أنتهى من إعادة تصميمه مرة ثانية.

صاح (أحمد) فى استنكار: مرة ثانية؟!! وأين ذهب البرنامج الأصلى.

تنهد (يوسف) فى فى مرارة: إنها قصه طويلة.

قال مصطفى فى سرعة: أظن أنه من حقنا أن نعرفها.

قال فى استسلام: نعم هذا حقكم، لقد حدث هذا منذ عدة سنوات مضت حين ابتكرت برنامج للتتبع المتسلسل وذاع صيتى ثم صممت البرنامج الذى اخترقت به البنتاجون مما لفت نظر منظمة كبرى وطلبت منى العمل معها،وحين تحريت عن أنشطتها واخترقت موقعها، أدركت أنها منظمة مشبوهة، فرفضت العمل معها، فما كان منهم إلا أن دفعوا لى بإحدى عملائهم، وظلت تتقرب منى حتى كدت أتزوجها وأفضيت لها بسر(الحرباء)،وبالطبع أخبرتهم هى به، وبعد ذلك كانت مهمتها هى الحصول على البرنامج منى وكنت قد قررت الزواج منها بعد الانتهاء من البرنامج،وبالفعل وضعت برنامجى فى قلب زهرة داخل باقة ورد وقد انتويت أن يكون البرنامج هو هدية زفافنا، وذهبت إليها فى منزلها واستقبلتنى فى حديقتها الصغيرة بحفاوة بالغة وراحت تمطرنى بعبارات الحب والهيام وهى تستدرجنى لتعرف أين البرنامج فأخبرتها مازحًا أنها لن تعثر عليه أبدا، وفجأة تحولت الزهرة الرقيقة التى تمطرنى بمشاعر حب إلى نمرة شرسة وظهر من داخل المنزل ثلاثة رجال مفتولى العضلات انهالوا على ضربا وراحت هى تستجوبنى فى شراسة ؛لتعرف مكان البرنامج ؛ لكن إحساسى بالخيانة وَلدّ لدى غضبا يفوق الوصف، فتغلبت على الرجال الثلاثة قبل أن يخرج أحدهم مسدسه ويطلق علىّ تلك الرصاصة التى استقرت بجوار القلب تماما ؛ وتركونى فى سرعة حين جذب صوت إطلاق النار إحدى دوريات الشرطة التى كانت مارة قريبًا من المكان وقتها لتنقلنى إلى المشفى وأنا أصارع الموت، وظللت فى المشفى لعدة شهور

حتى استعدت عافيتى وهناك قابلنى أحد رجال الأمن الأمريكيين وأخبرته بماحدث وقال إنه من الأفضل لى مغادرة البلاد بينما يشيعوا هم خبر موتى حتى تنسى المنظمة أمرى وتكف عن مطاردتى وزودنى بهوية مزيفة وطلب منى مقابلة عمكم (سليم) والاستماع إليه ولكنى رفضت بشدة لم أكن أستطيع وقتها تحمل لقاءه وأنا فى هذا الضعف.. تركنى رجل الأمن قليلا ثم عاد إلى وهو يخبرنى أنه اتفق مع عمكم على توفير مكان لى فى مصر حتى تنتهى تلك الأزمة، وأننى بحاجة لأن أذهب إلى مكان لا يعرفنى فيه أحد ، وأن هذا هو الأفضل لى، فى البداية رفضت فقد كنت أكره كل ما يمت إلى عمكم بصلة ، ولكنه قال فى صرامة (هذا ليس وقت العواطف) ولا أدرى كيف وافقت ولا كيف سافرت، ربما كنت تحت تأثير المرض، أقنعت نفسى أننى بحاجة إلى توفير النفقات فقد أنفقت الكثير على (الحرباء) وما عدت أعرف ما مصير باقة الورد التى وضعته بها.

قاطعه (مصطفى) : ألم تحاول البحث عن باقة الورد تلك ؟ أو حتى الاطمئنان إلى أنها لم تسقط فى الأيدى الخاطئة ؟

أجابه فى سرعة : بالطبع حاولت ولم أصل لشيء ولكنى كعادتى أؤمن عملى فقد وضعتها على بطاقة ذاكرة ووضعت لها برنامج حماية حتى إذا عثر عليها أحد وجد عليها عبارات رومانسية وموسيقى ناعمة وبالطبع إذا عثر عليها أحد يمت بصلة للمنظمة فسيعتقد أننى كنت أرغب بقضاء ليلة رومانسية.

تطلع إليه (مصطفى) فى إعجاب فى حين قالت (رنا) فى لهفة: وماذا حدث بعد ذلك؟

يوسف: لاشئ.. كان على إعادة تصميم البرنامج واستكمال مشروعى الجديد وكان هذا يحتاج إلى الكثير من المال، لهذا وافقت على مضض وأتيت إلى هنا ولكن يبدو أن تلك الرسالة التى اخترقت بها البنتاجون والقنوات الفضائية قد أدت إلى كشفى ولهذا اختطفوا (سارة).

قال (مصطفى) فى تساؤل: وما علاقة الرسالة بـ (سارة)؟

قال على الفور : ليس هذا مهمًا الآن.. المهم أننى....بتر عبارته رنين هاتفه معلنًا وصول رسالة إليكترونية، كانت مختصرة عن سابقتها فقد كانت تحمل كلمة واحدة (أبو الهول).. تبادل الجميع النظر فيما بينهم و(رنا) تهتف فى عصبية: ماذا يعنى هذا؟

قال (يوسف) فى تفكير: لن نفهم إلا عندما نصل لأبى الهول.

هتف (أحمد) فى سرعة: سأذهب أنا ومصطفى وأنت قم بإنهاء البرنامج.

قال (يوسف) فى غموض: ومن قال إنه يجب إنهاؤه.

سأله (مصطفى) بحذر: ماذا تعنى؟

أجاب فى سرعة: سأشرح لكم فيما بعد.. ولكن يجب أن أذهب إنهم يسعون إلىّ ولن يثقوا بأحدٍ آخر وربما عرضها هذا للخطر كما أننى سأحمل معى جهاز التتبع الذى تحمل هى شريحته ربما التقط الجهاز نبضاتها ونتمكن من الوصول إليها.

وقف (أحمد) قائلًا : سآتى معك.

يوسف: كلا.. لايمكن أن نترك البيت أنا وأنت يجب أن يبقى أحدنا فى حال حدثت أية تطورات ثم إننا سنبقى على اتصال طوال الوقت.

أومأ (أحمد) برأسه موافقًا : (مصطفى) سيذهب معك حتى لا تكون بمفردك و إذا حدث شىء أو توصلت لشيء يكون بجوارك.

هز (يوسف) كتفيه فى استسلام وهو يقول: حسنًا هيا بنا..

ثم حمل جهاز التتبع الذى ينقل نبضات قلبها عله يلتقط نبضة تعيد إليه روحه الغاضبة منه والهائمة بحثًا عنها.

❖ ❖ ❖

تعالت دقات قلب (سيلين) وهى تقف بجوار (تارا) التى التقطت سماعة الهاتف لتطلب منزل (سارة).

أجاب (أحمد) على الهاتف بعد الرنة الأولى مُرحِبا.

قالت (سيلين) فى تردد: هل من أخبار عن (سارة)؟

هز أحمد كتفيه فى أسف قائلًا : لا.

أجهشت بالبكاء وهى تقول: أعدها أرجوك، لا تتركها بين أيدى الوحوش، لا تجعلهم يؤذوها.

همس فى إشفاق: سنعيدها إن شاء الله.. فقط استمرى بالدعاء لها.

قالت فى انهيار : أنا أدعو الله ليل نهار ألا يفعلوا بها ما فعلوه

بى، أرجوك أعدها سالمة وبسرعة، الدقيقة فى أيدى الوحوش تمر كدهر كامل أرجوك لا تتركها فى أيديهم.

اختنق صوتها بالبكاء فالتقطت (تارا) الهاتف وهى تقول: نحن نعتذر لأننا لم نستطع الحضور لنكون بجواركم،فكما رأيت كيف هى حالة (سيلين)، أنت تعلم كم تحب (سارة) ومنذ سمعت الخبر وهى منهارة وأعتقد أن الجو لديكم مشحون بما فيه الكفاية ولا يحتاج إلى المزيد.

هز (أحمد) رأسه فى تفهم : أعلم هذا، أرجوكِ اهتمى بها جيدا.

تارا: سأفعل.. هل وصل (رامى) إليكم؟ لقد قطع سفره عندما أخبرته بماحدث وقال إنه سيستقل أول طائرة وسيذهب إليكم مباشرة.

أحمد: ما كان هناك من داعٍ لإخباره.

تارا : إنها (سارة) يا (أحمد).. يعلم الله كم نحبها جميعا أسأل الله أن يعيدها سالمة.

أمّن على دعائها وهو يغلق الهاتف والدموع تلمع فى عينيه وقلبه يبتهل إلى الله أن يعيد إليه أخته وتوأم روحه سالمة.

❖ ❖ ❖

انطلق (يوسف) بسيارة (أحمد) ينهب الطريق نهبًا نحو منطقة الأهرامات.

اتجها معًا إلى أبى الهول، وقفا عند قدميه، وراحا يتطلعان

حولهما ولكن المنطقة كانت شبه خالية.. وقفا حائرين فلا يوجد أمامهما إلا الرمال الصفراء التى تلتمع كحباتٍ من ذهب تحت أشعة الشمس الحارقة، عاد يلقى ببصره نحو أبى الهول ذلك الحارس الصامد على مر السنين وعيناه تتوسلان إليه ليبوح بسر حبيبته ويخبره عن مكانها فهو الشاهد الصامت على كل العصور، ولكن هيهات فقد ظل الحارس على صمته الذى يُتوجُهُ ملكًا لحكايات كل عصر ويجعله يتقلد خزائن الأسرار بجدارة.. حيث تموت الكلمات عند قدميه وتحترق الجُمل فى أتون صمته فلا يبقى منها إلا ما اختزنته من أسرار لتدخل خزائن الصمت راغمة.

أخرجه (مصطفى) من توسلاته الصامتة التى ذهبت أدراج الرياح لتلقى بها تحت قدمى ملك الصمت وهو يقول: لايوجد شىء..إنهم يتلاعبون بنا ماذا علينا أن نفعل الآن؟

غمغم فى حنق: لست أدرى.

ظلا واقفين لبعض الوقت قبل أن يلتقط هاتفه تلك الرسالة الإلكترونية.

تطلع إلى محتواها لحظات قبل أن يناولها لـ (مصطفى) ويتجه نحو أبى الهول ثم ينحنى ويلتقط شيئًا من الرمال.. انتفض واقفا وهو يناول (مصطفى) تلك الصورة الشمسية لـ (سارة)، كانت مقيدة إلى كرسى فى حجرة فارغة بلا ملامح، نظر (مصطفى) إلى الصورة فى ألم وهو يهتف: رباه ساعدنا لاستعادتها سالمة.

عاد يلتقط الصورة من يده.. راح يُملى عينيه منها.. كم هى

رائعة رغم قيودها تجلس بشموخٍ وإباء كأميرة عربية تجلس فى قصرها أمام رعاياها.

أفاق على صوت رسالة إلكترونية تصل إلى هاتفه ، فضها فى سرعة كان مضمونها قصيرًا (المتحف المصرى) .

كاد يلقى بهاتفه أرضًا لولا أن التقطه (مصطفى) قائلًا : سأتصل بـ (أحمد) لنخبره ونرى إن كان هناك جديد.

تركه (يوسف) يجرى اتصاله بينما راحت عيناه تستنطق صورتها علها تخبره بمكان صاحبتها التى أخذت قلبه معها وتركته يحتضر بدونها.

أنهى (مصطفى) اتصاله وهو ينظر إلى (يوسف) الذى وقف يعتصر قبضته فى غضب بينما عيناه معلقتان بصورتها تبثها هموم قلبه المحترق بلوعة الفراق علها تنقل لصاحبتها مايعانيه فى بُعدها ، راح عقله ينهر قلبه و يفرض إرادته فلا سبيل لإعادتها إلا بالتفكير السليم الذى ظهر واضحًا فى انعقادة حاجبيه اللذين التقيا فى تصميم وعزم وهو يقول: علىّ أن أدفعه إلى الظهور، كل ما أحتاجه هو مكالمة هاتفية من الخاطف.

قال (مصطفى) وهو يجذبه نحو السيارة هاتفًا: لنذهب إلى المتحف أولًا.

وانطلقا ينهبان الطريق نهبًا نحو المتحف المصرى.

❖ ❖ ❖

امتلأت عينا (يوسف) بالإعجاب وهو يتطلع إلى القطع الأثرية

الموجودة التى تحمل عبق التاريخ، و تشهد على روعة أمم سابقة ، تجعلك تقف أمامها مشدوهًا، لكأنك تنظر بعين عقلك إلًى أزمان مضت بأهلها فترى الملوك والأمراء وهم يتحركون فوق ثرى هذه الأرض يلقون بأوامرهم إلى رعاياهم، تسمع جلبة المدن القديمة وصخب الحياة وتشم رائحة الماضى وترى نظراتهم المصوبة نحوك تحذرك من تسرب الزمن منك كما تسرب من أيديهم، جذب نفسه من الماضى ليعود إلى حاضره عندما مال عليه (مصطفى) هامسًا: لم يبق الكثير من الوقت قبل أن يغلق المتحف أبوابه، كل منا يفحص طابقًا.

انتهيا من فحص المكان ولكنهما لم يظفرا بشىء التقيا عند باب المتحف الداخلى وهما يتطلعان حولهما فى حيرة، أعلن المتحف عن انتهاء موعد الزيارة وقرب غلق الأبواب وبدأ الجميع يتجه للخروج.. وقفا حائرين حتى أتته تلك الرسالة، اتجه نحو حارس المتحف وهو يقول باقتضاب: ألم تر سائحًا فقد مرشده؟

ناوله الحارس المظروف فى سرعة وهو يبتسم ابتسامة واسعة قائلًا: لقد أخبرنى السائح أن مرشده سوف يأتى للبحث عنه بينما فقد هو هاتفه.

لم يجبه يوسف وهو يلتقط منه المظروف، وقفا على باب المتحف، فض (مصطفى) المظروف فى لهفة شاركه فيها (يوسف) وهما يتطلعان إلى صورة لـ (سارة) كسابقتها تمامًا ولكنها بدت فيها شاحبة بعض الشىء فى حين تراصت أمامها أطباق من الأطعمة.

تطلع (يوسف) إلى الصورة فى انزعاج : من الواضح أنها ترفض تناول الطعام.

هتف (مصطفى) وهو ينظر إلى ظهر الصوره: انظر.

نظرا إلى الكلام المكتوب على ظهر الصورة بالإنجليزية .. كانت كلمات قليلة: إنها ترفض الطعام.. فلا تتأخر حتى لاتموت حبيبتك من الجوع.

قال (مصطفى) فى غضب: لم يدعوها حبيبتك؟

أجابه فى حرج: ربما يظن أننى أحبها.

سأل (مصطفى) فى شك: وهل هذا حقيقى؟

أجاب فى صدق: نعم.

قال بغضبٍ مكبوت : كيف سمحت لنفسك بهذا؟ ضرب قبضته بيده وهو يزفر فى ضيق: هذا ليس وقته، صمت لحظة قبل أن يتابع : ولكن كيف عرف الخاطف أنك تحبها وأنا أخوها وابن عمك ولم أعرف بشيء كهذا هل أخبرت أحدًا من أصدقائك.

لم يشأ أن يخبره بأمر الرسالة التى اخترق بها البنتاجون يعلن فيها حبه لها.. فاكتفى بأن قال فى سرعة: أنا ليس لى أصدقاء ، كل ما أحتاجه للوصول إليها هو مكالمة هاتفية واحدة فقط.

❖ ❖ ❖

ظل (رامى) طوال الطريق يحاول الاتصال بـ (تارا) ليطمئنها على وصوله ولكن هاتفها كان خارج التغطية ، قطع محاولاته صوت

سائق السيارة الأجرة وهو يتوقف أمام منزل (سارة) قائلًا: وصلنا.

قفز من السيارة فى سرعة.. نقده أجره قبل أن يندفع إلى داخل المنزل .

❖ ❖ ❖

تطلع الجميع إلى (يوسف) الذى جلس وعيناه مثبتتان على شاشة هاتفه،فى ترقب وهو يضبط بعض الأجهزه بجواره.

قالت رنا فى توتر: ماالذى يجعلك واثقًا إلى هذا الحد؟

أجابها فى هدوء: علم النفس.

صاحت (رنا) فى استنكار: هذا ليس وقت المزاح.

هتف فى توتر: أنا لا أمزح.. الخاطف أو الخاطفين من الأجانب وبالتأكيد هناك من يعاونهم من مصر ولكنهم لم يأتوا إلى مصر وقاموا بخطفها من أجل أن يلعبوا معنا ويرسلوا لنا بصورها وسط الآثار.

صمت لحظة وتابعته الأعين كلها فى ترقب فتابع (يوسف) قائلًا : إنهم يريدون البرنامج بشدة ويعتمدون فى الحصول عليه على أهمية (سارة) عندى.. وتلك الأماكن التى يجعلنى أذهب إليها ماهى إلا وسيلة للتأكد من مدى استعدادى لفعل أى شىء من أجل إعادتها سالمة، كما إنها وسيلة للاطمئنان إلى أن الشرطة لا تتابعنا وفى نفس الوقت يتسنى لهم الفرصة المناسبة للحصول على مايريدون دون أن يعيدوها فعلا.

هز (أحمد) رأسه موافقًا فتابع كلامه: كل ما أحتاجه هو مكالمة تليفون، ولإجبارهم على إجرائها؟سأرسل لهم برسالة أخبرهم فيها أنها لا تعنينى فى شىء وأننى أرغب فى إعادتها من أجل جدتى التى تريد أن تطمئن عليها ولذا عليهم أن يسمحوا لها بمحادثتها.

رنا: وماذا إن قاموا بقتلها وقت أن يشعروا أنها ما عادت ذات فائدة؟

أطرق برأسه فى حيرة : لست أدرى.

ثم نهض من مكانه وهو يتابع : أحتاج للانفراد بنفسى لبعض الوقت ائذنوا لى.

تحرك نحو السلم ثم عاد وترك هاتفه معهم قائلًا: أحتاج إلى ربع الساعة فقط بمفردى أرجو ألا يزعجنى فيها أحد.

تأملته (رنا) فى غضب وهى تتمتم بينها وبين نفسها: ياللبرود.. لو كان هو المخطوف ما كانت لتستريح لحظة واحدة حتى تعيده... وهذا الوغد يذهب ليرتاح ويتركها بين يدى من لا يرحم.

❖ ❖ ❖

دلف إلى غرفتها..تنفس بعمق كأنه يشتم رائحتها فيها، ألقى بنفسه على طرف فراشها وهو يتنهد فى ألم..راح يتطلع إلى الحجرة الصماء التى شهرت أسلحة الصمت فى وجهه عقابًا له على حرمانها من صاحبتها الصاخبة على الدوام، ساكنتها التى ملأت أحشاء تلك الحجرة بالحركة والحيوية، يشعر بما تشعر به تلك الجدران التى تحس بالخواء بعد أن خلت من ربتها التى اختفى أى أثر للبهجة

باختفائها.. لكأنما حملت كل شىء معها لتترك الدنيا خلفها كعجوز شمطاء فقدت بريقها وتترك حجرات البيت خاوية على عروشهاً تنعى ملكتها المتوجة على قلوب أصحابها، تعلقت عيناه بالجدران التى لم تحمل لحبيبته الغائبة أى صورة وكأنما تؤنبه على بحثه عن صورة لها خارج صندوق قلبه، تحسس فراشها لحظات قبل أن يفارقه ثم نهض وأولى ظهره له كأنما يتخلص من سيطرته ويعلن رفضه الانهزام أمام فراق جثم على طرف فراشها منتصرا، ولكن هيهات له أن ينتصر على قلب عاشق يتمتع بروح المقاتل.. وقف مواجهًا لسيف الفراق الذى يفصل بينه وبين حبيبته، وقف فى حزم وهو يستجمع شتات نفسه اللاهثه خلف طيف حبيبته الغائبة .. ظل واقفًا لحظات كتمثال قبل أن يركع ثم يسجد وتسيل دموعه الصامتة أنهارًا وهو يدعو الله فى حراره أن يعيدها إليه سالمة.

أنهى صلاته فى خشوع ثم أخرج صورتها التى أرسلتها له العصابة : أريد أن تكونى أول من يعلم بإسلامى.

تطلع إلى غرفتها لحظات قبل أن تستقر عيناه على دفتر يومياتها فتحه فى لهفة متلصصًا على ذكرياتها لتطالعه كلماتها الحزينة التى كانت آخر ما كتبت قبل اختفائها.

تطلع إلى الكلمات التى تشف عن ألمها العميق وحبها الطاهر ويلمع نصل الفراق تحت ثنايا عباراتها ويطل عذابها بين جملها المبتورة كشهقات مقطوعة، أضاف إليها كلماته الحزينة التى تقطر ألمًا وعزماً: آسف حبيبتى لقد آلمتك كثيرًا .. سأستعيدك حتى

لو دفعت حياتى ثمنًا لذلك.

❖ ❖ ❖

تطلع (مصطفى) حوله : أين ذهب (رامى)؟

أحمد: قال إن له صديقًا يعمل فى الشرطة وهو ضابط كفء ذهب إليه ليخبره بكافة التفاصيل التى حصل عليها منا حتى يتابع الأمر معنا.

قال فى أمل: أتعشم أن يفعلوا شيئا.

نزل (يوسف) إلى الردهة حيث جلس الجميع فى وجوم بينما بدا هو غاية فى النشاط وهو يسأل : هل من جديد؟

هزوا رؤسهم نفيًا فى فتور فالتقط هاتفه فى سرعة وتفحص رسائله لينطلق ذلك الأزيز الذى انطلق من هاتفه معلنًا عن وصول رسالة إليكترونية جديدة انتزعت الجميع من مشاعرهم وتعلقت العيون بهاتفه فى لهفة وهو يفتح تلك الرسالة المختصرة: إنها لازالت حية حتى الآن.. (مسجد أثرى).

تبادل الجميع النظر وخيم على المكان صمتٌ ثقيلٌ حتى قطعته (رنا) فى عصبية: ماذا يعنى هذا؟

لم يجبها أحد وقد أطرق الجميع فى وجوم حتى كان (أحمد) هو أول من قطع حبل الصمت : هناك العديد من المساجد الأثرية فى القاهرة فعن أيها نبحث؟

قال مصطفى فى حيرة: كيف سنبحث فى كل هذا؟. علينا أن

نقسم أنفسنا.

برقت عينا (يوسف) : وهذا بالضبط ما يريدوننا أن نفعله.

تطلع إليه الجميع فى دهشة فتابع: إنهم يريدوننا أن نتحرك جميعًا ويظل البيت فارغًا حتى يتمكنوا من الحصول على البرنامج بلا مقابل.

رنا: إذًا علينا ألا نترك المنزل.

قال (يوسف) فى مكر: بل على العكس تماما.

سألته فى شك : ماذا تعنى؟

أجابها فى غموض : سأشرح لكم.

أولاه الجميع اهتمامهم الكامل ويده تعبث بشاشة هاتفه لترسل رسالة بريدية قد تكون السبب فى الوصول إليها أو قد تكون السبب فى قتلها.

❖ ❖ ❖

النبضة السادسة عشرة

أرهفت (سارة) سمعها وهى تحاول الاقتراب من الباب.. تناهى إليها صوت أحدهم يهتف فى غضب: الحقير يريد منا أن نجعلها تهاتف جدتها وأنه مستعد لدفع بعض المال قبل أن يسافر صباح الغد.

قال الآخر: هذا يعنى أن الفتاة لا تعنى له شيئا وأننا قمنا بخطف الشخص الخطأ.. لقد باءت خطتنا بالفشل.

شعرت بخنجر من نار ينغرس فى قلبها ورغمًا عنها سالت الدموع من عينيها وهى تتذكر كلماته الأخيرة لها وتيقنت أنها حقيقة وليست سهام نارية ولدّها غضبه المتفجر كحمم بركانية.

عادت بكرسيها المقيدة إليه إلى حيث كانت جالسة، لم تنتظر لتسمع بقية الحوار..ظلت تبكى لفترة طويلة حتى جفت مقلتيها.. تناهى إلى سمعها صوت خطوات تقترب من الباب فأخذت نفسًا عميقًا وهزت رأسها فى قوة علها تنفض عن وجهها تلك الدموع التى جرت على صفحته.

❖ ❖ ❖

تطلع (يوسف) إلى شاشة هاتفه التى ومضت برقم مجهول ، أسرع يضبط جهازه وهو يتلقى المكالمة وقلبه ينبأه أنها من

الخاطفين.

أتاه صوت أجش على الطرف الآخر يقول بإنجليزيه سليمة: تكلمى.

فتح مكبر الصوت الذى حمل صوتها وهى تحاول أن تلونه بالقوة قائلة: أنا بخير جدتى.

هتفت الجدة بصوتٍ ملتاع: (سارة) حبيبتى.

هتفت (سارة): لاتبكِ حبيبتى أنا...

قاطعها الصوت الأجش قائلًا: هذا يكفى.. ثم أغلق الخط.

ساد صمت حزين بينما انهارت الجدة باكية والتف حولها الجميع يهدؤونها فى حين مزق الشوق روحه، وهو يتطلع إلى جهازه الذى حدد إحدى ضواحى الجيزه مصدرًا للمكالمة.

تنفس الجميع الصعداء وتهللت أساريرهم وهو يخبرهم بما توصل إليه وخطته للعثور عليها.

❖ ❖ ❖

انطلق بالسيارة يطوف تلك المنطقة التى حددها جهازه الذى لاقى صعوبة بسبب التشويش الذى استخدمه الخاطفون مما ووسع نطاق دائرة البحث ، جلس (مصطفى) بجواره يحدق إلى الجهاز الذى قد ينقل له نبضات قلب أخته.. بلغ منهما التعب مبلغه فهما يجوبان الشوارع منذ وقت طويل دون أن يصدر الجهاز أدنى صوت يعلن عن وجودها.

كسر(مصطفى) حاجز الصمت وهو يقول فى قلق: هل أنت واثق أن جهازك قد حدد المكان بشكل صحيح؟!

أومأ برأسه إيجابًا وعينه على الطريق

فتابع مصطفى: ربما تكون (سارة) قد قامت بخلع الشريحة ؟

أجابه فى صبر : لا أعتقد فلم ننته من صنع السائل الذي يمكننا من خلعها مع الحفاظ على الشريحة، ومحاولة خلعها عنوة قد تفسده وهى لن تغامر بذلك أبدا.

زفر(مصطفى) فى ضيق: لمَ لم نعثر عليها إذًا؟

قال فى هدوء : لم لا تتوجه إلى ربك بالدعاء ليساعدك.

قال (مصطفى) فى ضيق: ومن قال إننا لا نفعل.. نحن نناجيه طوال الوقت ثم هذا ليس وقت الدخول معك فى مهاترات.. أنت حقًا شخص... بتر عبارته صوت تلك النبضات التى التقطها الجهاز فالتفت (يوسف) يحدق فى شاشة الجهاز فى لهفة وهو يلتقطه فى سرعة ليستمع لصوت قلبها ينادى قلبه الذى مزقه الفراق.

أوقف سيارته على جانب الطريق قبل أن يقفز من سيارته وهو يضم الجهاز إلى صدره و يتحرك فى اتجاهات مختلفة، مراقبًا حدة الصوت حتى أشار لاتجاه محدد وهو يقول: من هنا.

عاد إلى سيارته فى سرعة ملتقطًا منها حقيبة صغيرة مثلثة الشكل علقها على كتفه ثم سار على قدميه حيث تزداد خفقات قلبها وضوحا.

تبعه (مصطفى) فى صمت حتى وصلا إلى فيلا منعزلة وقد ازدادت قوة النبضات.

توقفا على مسافة بعيدة منها، قال (يوسف) فى خفوت: سأدخل أنا.. وأنت عليك الاتصال بـ (أحمد) وجلب الشرطة إلى هنا.

مصطفى فى ضيق: ولم لا أدخل ؟.. إنها أختى أنا.

أجابه بنفاد صبر: هذا ليس وقته، إنهم يسعون خلفى ويريدون البرنامج وسأعطيه لهم مقابل إنقاذها لو تطلب الأمر.

لم يستطع (مصطفى) أن يجادله أكثر فقال: حسنًا ندخل معًا.

ابتسم (يوسف) ابتسامة باهتة : الحكمة تقول لا تضع البيض كله فى سلةٍ واحدة.

ثم ودعه قبل أن يدخل إلى حيث هى.

❖ ❖ ❖

أنهت (رنا) اتصالها مع والدتها التى تواصل اتصالها بهم طوال اليوم للاطمئنان على (سارة) وختمت حديثها بأن الدكتور (ماجد) قد طلب رقمها واستأذن والدها أن يتصل بها ليطمئن على جدة (سارة) وإخوتها.

أغلقت الهاتف وهى تشعر بشىء من السرور ثم وخزها شعورها بالذنب كيف تشعر بشىءٍ من الفرح وصديقة عمرها فى هذا المأزق، قطع تفكيرها رنين هاتفها برقم مجهول أسرعت تجيب فى لهفة ليأتيها صوته الدافئ : كيف حالك؟ وكيف حال

أسرة صديقتك؟

أجابت فى حزن: فى حال يرثى لها.

ماجد: كان الله فى عونهم، صمت لحظة قبل أن يقول: إن عمى هو لواء بإحدى الجهات الأمنية أحتاج إلى بعض المعلومات لأجعله يساعدنا فى البحث عنها،هل يمكنك تزويدى بهذه المعلومات؟

قالت فى سرعة: بالطبع.

وراحت تزوده بكل ما يحتاجه من معلومات.

❖ ❖ ❖

قفز (يوسف) إلى تلك الحديقة.. تسلل فى خفة حتى وصل إلى تلك النافذه المفتوحة ليجدها جالسة مقيدة إلى كرسى وأمامها جلس رجل ضخم كان من الواضح أن الرجل يكاد ينفجر غيظًا وهو يهتف فى غضب: أتعلمين أيتها المتحذلقة سأقتلع لسانك هذا قبل أن تخرجى من هنا.

تمتم (يوسف) لنفسه: أنا معك أيها الضخم وأقدر شعورك تماما فلطالما راودتنى تلك الرغبة..إنها مستفزة بحق.

قالت فى برود: لست أدرى لم لا يحب الشخص أن يجد من يواجهه بأخطائه.. ليس معنى أن جسدك ضخم أن يكون عقلك مساويًا لجسدك أيها العملاق.. عمومًا لقد نصحتك أنت تضيع وقتك سدى فهو لن يأتى.. لأننى لا أعنى له شيئا.. الحقيقة لا أحد يعنى له شيئا.

نطقت الجزء الأخير من عبارتها فى ألم جعل (يوسف) يتمتم بينه وبين نفسه: غبية أنتِ تعنين لى الكثير.

هتف الضخم: سيكون هذا جيدًا فسأقتلك بيدى هاتين.

عادت تستعيد لهجتها الساخرة وهى تقول: أنا أضعك أمام خطئك حتى لا تكرر الخطأ مرة أخرى.. إنه لا يأبه لأحدٍ سوى نفسه، كان عليك أن تخطفه هو شخصيًا حتى تحصل على ما تريد ولكنك تتمتع بكم وافر من الغباء حتى تخطف شخصًا آخر.

صاح الضخم فى غضب: اصمتى أيتها الحمقاء.. أتعلمين حتى لو حضر سأقتلك.. سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى.

ضرب (يوسف) الجدار بقبضته : المجنونة ستستفز الرجل حتى يقتلها.. أعلم أنها أكثر شخصية مستفزة ممكن أن يقابلها المرء فى حياته.

قالت فى سخرية: لو كان كرة الثلج هنا لقال لك ببروده المعهود.. لا تتحدث عن شىء لا تعرف معناه أيها الأحمق هل تعرف ما هو الموت أولًا حتى تهدد به؟!

ابتسم (يوسف) رغمًا عنه : كفى أيتها المجنونة سيقتلك.

❖ ❖ ❖

أنهت (رنا) اتصالها مع (ماجد) وهى تلتفت للجدة هاتفة: هيا بنا جدتى.

تراجعت (الجدة) للخلف فى قلق : كيف نغادر البيت؟

أجابتها مُطمئِنة : هذه خطة (يوسف) ألم يخبرنا أن نتظاهر بأننا نبحث عن المسجد المنشود ونترك البيت جميعًا وهو قد ترك رقاقة تتبع ليوهمهم أنها (الحرباء) وبذلك يقلل عدد الرجال حول (سارة) إذا وصل هو أولا.. أو يستطيع تتبعهم إذا وصلوا إلى البيت وحاولوا أخذ البرنامج.

قالت الجدة فى استسلام: أنا مستعدة لفعل أى شىء من أجل إعادتها سالمة.

❖ ❖ ❖

انتهى (يوسف) من تثبيت بعض الرقائق الإلكترونية على الأبواب وتلك النافذة التى كان يراها منها وهو يحسب بعينيه المسافة بينها وبين النافذة.

تراجع ليختفى بين الأشجار وقد ألقى بعض الأجسام اللامعة فى أرض الحديقة ، ضغط على زر فأصدر الجهاز صوت سقوط وارتطام.

أسرع رجلين يخرجان من الفيلا فى سرعة.. أشار أحدهم إلى الجهاز اللامع على الأرض وقد بدا كما لوكان سقط من أحدهم فانحنى الآخر يلتقطه و.. ودوى ذلك الانفجار المحدود الذى أطاح بالرجلين.

أطل من الفيلا أربعة رجال كان فيهم ذلك الضخم أشار أحد الرجال إلى الثلاثة الباقين ليتحركوا، فتحرك كل منهم فى اتجاه وهم يشهرون مسدساتهم ويتحركون بطريقة مدروسة تشف

عن احترافية عالية .. اقترب أحدهم من المكان الذى سقط فيه الرجلين... فجأه دوى انفجار محدود أطاح بأحد الرجال عند باب الفيلا، صاح الرجل الذى كان يلقى بالأوامر: إنه هو أريده حيا.

تطلع (يوسف) إلى ذلك الرجل الذى بات قريبًا منه ثم تحرك فى خفة،وهو ينقض على الرجل من الخلف، عاجله بضربة فنية على مؤخرة عنقه أفقدته الوعى.. أخرج (يوسف) تلك الحلقة الحديدية من حزام الرجل الفاقد الوعى ثم ألقى بها نحو تلك الشجرة القريبة من مدخل الفيلا.. لفت صوت اصطدام الحلقة الحديدية بالشجره انتباه الرجل الذى كان قريبًا من المدخل فاتجه نحوها فى حذر.. وقف يفحص الحلقة الحديدية بعينيه قبل أن ينحنى ليلتقطها وصرخ ذلك الذى كان يلقى الأوامر محذرا،ولكن صيحته اندثرت وسط صوت ذلك الانفجار المحدود الذى أطاح بزميله وهو يصرخ فى عصبيه: أيها الوغد سأمزقك بيدى.

تحرك فى خفة وهو يتجه نحو الغرفة التى توجد بها وانتظر حتى انفجر إطار النافذة الحديدى.. دوت صرختها من الداخل فانخلع قلبه خشية أن يكون قد أصابها مكروه.

ألقى نظرة سريعة ليتأكد من خلو الغرفة إلا منها..أسرع يقفز عبر النافذة التى أطاح الانفجار المحدود بإطارها الحديدى.

تطلعت إليه فى سعادة وهو يقترب منها والشوق يطل واضحًا من عينيه.

أسرع يحل قيودها وهى تقول فى فرحة حقيقية: لقد أتيت

لتنقذنى.

قال فى سرعة وهو لازال يحل قيودها: أيتها المجنونة كان الضخم سيقتلك.

هتفت فى لهفة: هل كنت تسمعنى؟

رفع رأسه إليها وهو يهتف فى استنكار : كيف تقولين له إنك لا تعنين لى شيئًا و كيف تقولين إنه كان لابد أن يخطفنى أنا؟

قالت فى حدة: بالطبع الغبى يسعى إلى شىء معك فلم يخطفنى أنا.. كنت أظن أنك لا تهتم لأحد سوى نفسك .

صاح فى سخط : أنا لا أهتم لأمرك أيتها المجنونة.. لم أتيت إذًا؟

أجابت فى سرعة: وما أدرانى أنك ستأتى؟

قال فى غضب: لو كان لديك قلب يحمل أية مشاعر لعلمت أننى لم أكن لأتركك وحدك..أتعلمين كان علىّ أن أتركك حتى تستفزى ذلك الضخم فيقتلك.

- كنت تريد لذلك الضخم أن يقتلنى أيها الوغد.

- طالما أنت عديمة المشاعر.. أهذه كلمة الشكر التى من المفروض أن أنالها منك على انقاذى لك !

- ولم أشكرك لقد خطفونى بسببك أنت.. وكاد ذلك الضخم أن يقتلنى.

- بسبب لسانك السليط.

صاحت فى غضب: أنا سليطة اللسان؟.. لم أتيت لإنقاذى إذًا؟

تهدج صوته وهو يهمس : لأننى أحبك يا مجنونة.

ترقرقت الدموع فى عينيها وهى تقول: لم تركتنى؟

فتح فمه ليجيب ولكن صوت التصفيق الذى علا فجأة جعله يلتفت إلى مصدر الصوت ليتطلع إلى ذلك الرجل الذى وقف فى مكانٍ مظلم فلم تبدو ملامحه واضحة وهو يصوب نحوهم مسدسًا ضخمًا قبل أن يقول فى سخرية وبإنجليزية سليمة: آسف لأننى قطعت تلك اللحظة الرومانسية.

أزاحها (يوسف) خلف ظهره وهو يقول فى برود: لا عليك أمامنا العمر بطوله.

قال الرجل وهو يقترب من الغرفة لتتضح ملامحه شيئًا فشيئًا ، هتف (يوسف) فى ذهول : مارك !!-

قال (مارك) فى حقد وهو يلوح بمسدسه: نعم أيها العربى الحقير.. هيا أخبرنى أين البرنامج إن كنت تريد أن تخرج بها حية.

نزع (يوسف) ساعته و(سارة) تهتف: هل ستعطيه له؟!.. كيف تجعل برنامجًا كهذا فى أيدى حفنة من المجرمين؟!

قال فى حب : أنتِ عندى أغلى من الدنيا بأسرها.

تناول (مارك) الساعة وهو يفحصها بسرعة بعينيه قبل أن يزيح زرًا جانبيا فيها ليجد تلك الرقاقة الإليكترونية الصغيرة تستقر فى قاعدتها.. ناولها لشخص قصير يحمل ملامح آسيوية برز من باب جانبى، التقط الرقاقة فى سرعة وراح يفحصها على حاسوب صغير قبل أن يهز رأسه دلالة على سلامتها.

قال يوسف فى سرعة: هل يمكننا الانصراف الآن؟

مارك: ليس قبل أن آخذ بثأرى منك.

تمتم فى دهشة: ثأر؟.. أى ثأر؟

قال (مارك) فى حقد: (سارة) خاصتك مقابل (سارة) خاصتى.

سأله بحذر: ماذا تقصد؟

أجابه فى غضب : (سارة أندرسون) التى قمت بسجنها وانتحرت داخل السجن كانت خطيبتى وسأقتل حبيبتك أمام عينيك.

قال (يوسف) فى برود: حسنًا يمكنك أن تأخذها وبهذا تكون قد أخذت ثأرك.. هل يمكننى الانصراف الآن.

تطلع إليه (مارك) فى دهشة و(يوسف) يدفع بـ(سارة) نحوه وسط ذهول الجميع حتى (سارة) نفسها التى حدقت فى وجهه بدهشة ولم يستغرق الأمر ثوانٍ معدوده قبل أن يفهم الجميع ما حدث.

فقد دفع (يوسف) بـها نحو (مارك) بيده اليسرى بينما التقط بيمناه سكينًا سبق (سارة) نحو (مارك) ليستقر فى عنقه ويسقط مدرجًا فى دمائه.. لكن الرجل الذى فحص الرقاقة الإليكترونية أخرج مسدسه لتنطلق تلك الرصاصة لتستقر فى قلب (يوسف) ويسقط أمام عينيها، ومن أعمق أعماقها شقت تلك الصرخة سكون المكان وهى تهتف صارخةً باسمه فى لوعة قبل أن تهوى على ركبتيها بجواره.

❖ ❖ ❖

صوب الرجل مسدسه نحوها ولكن الضربة التى هوت على مؤخرة عنقه جعلته يسقط أرضًا فاقد الوعى و(مصطفى) يهتف باسمها فى فرحة وهو يراها حية أمامه، ولكن فرحته ماتت على شفتيه وهو يرى الدماء تسيل من (يوسف) فى غزارة فى حين انحنت هى نحوه ودموعها تجرى على خديها أنهارا وقد وضعت كفها على قلبه لتوقف نزيف الدماء الخارج من صدره صارخة فى (مصطفى) الذى هرول للخارج طالبًا النجدة.

فتح عينيه وهو يقول: لعلها النهاية حبيبتى ولكن قبل أن أرحل أردت أن أخبرك أمرًا لم أخبر به أحدًا قبلك.

قالت من بين دموعها: ستعيش وتخبرنى بكل ما تريد.. أنا واثقة بهذا.

همس فى ضعف: لقد أسلمت.. أردتك أن تكونى أول من يعرف.

انهمرت الدموع من عينيها بغزارة : ستعيش حبيبى وسيمد الله فى عمرك حتى نرى أحفادنا.

قال فى صوت واهن: هل أحببتنى حقا؟

انكبت عليه تضغط على صدره بكلتا يديها لتوقف الدماء النازفة منه وهى تهتف: نعم.. لقد أحببتك بكل جوارحى أنت تسكن بداخلى كما كنت تقول لى دائما.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة واهنة : هذا ما تمنيت سماعه.

علا الضعف محياه وهو يسبل جفنيه فى حين صرخت هى:

لا لاتتركنى الآن... لا يمكننى الحياة بدونك.. قاوم لأجلى.. لا تتركنى.

ردد المكان صرختها ودموعها تسقط من عينيها على وجنتيه لتكون بينهما رابطًا جديدا.

❖ ❖ ❖

النبضة الأخيرة

اندفعت (سيلين) داخل أروقة المستشفى.. وقفت أمام تلك الحجرة التى اصطف الجميع خارجها.. تطلعت إلى (سارة) التى حفرت الدموع على خديها مجرى صغيرا وقد شحب لونها وأحاط بها الجميع، لم تتكلم (سيلين) و إنما احتوتها فى حنانٍ طاغ جعل (سارة) تجهش ببكاء حار وهى تطلب منها الدعاء.

شاركها الجميع الدعاء حتى قطعه خروج الطبيب من غرفة العمليات فاتجهوا نحوه فى لهفه، تفرس فى وجوههم قبل أن يقول فى بطء: لقد تم اجراء العملية، ولكن الأمل فى نجاته ضعيف.

انهمرت الدموع من عينيها وقلبها يلهج بالدعاء أن ينجيه مما هو فيه

❖ ❖ ❖

مضت عدة ساعات قبل أن تخرج تلك الممرضة الشقراء، لتنادى على (سارة) التى وقفت بجوار جدتها المنهارة،وقد أغرقت الدموع وجهها بغزاره وراح قلبها يلهج بالدعاء أن ينجيه الله بفضله وبرحمته.

اندفعت نحو الممرضة فى لهفه: هل أفاق؟

أومأت الممرضة برأسها إيجابا : إنه يطلب رؤيتك أنتِ والسيدة

(كريمة).

قطعت (سارة) المسافة التى تفصلها عن جدتها هرولة، وهى تعاونها على النهوض، دلفا إلى داخل غرفته بهدوء.. وقفا يتطلعان فى حزن إلى تلك الخراطيم الدقيقة التى أحاطت بجسده كله وهو يلتفت نحوهما فى ضعف جعل الجدة تهرع نحوه وهى تقبل جبينه ووجهه ويديه، ربت على كفها بضعف فتظاهرت بالقوة وهى تتماسك قائلة: كيف حالك ياولدى؟

ابتسم فى ضعف : يبدو أنها النهاية.

هتفت (سارة) فى ذعر: لا تقل هذا ستُشفى بإذن الله وستصبح فى خير حال.

قال فى وهن: ماعاد يعنينى لقد حصلت على ما تمنيت وأكثر. صمت لحظة قبل أن ينظر إلى بطنها وهو يستطرد: كيف حال حفيدى ؟

ابتسمت (سارة) على الرغم منها وهى تجيب : إنه بخير عمى لا يكف عن الحركة.

ابتسم عمها فى ضعف وهو يقول: وأين ابنى الحبيب ؟

أتاه صوت (يوسف) من باب الحجرة : أنا هنا.

حاول (سليم) أن يلتفت نحوه ولكن (يوسف) كان أسرع إليه وهو يكب على يديه مقبلاً إياها ثم ربت على وجنته وهو يتابع فى حنانٍ بالغ: كيف حالك أبى؟ لقد سألت الاطباء بالخارج وأخبرونى أن العملية سارت بشكلٍ جيد.

سالت الدموع من عينى (سليم) وهو يقول:الحمد لله لقد أعطانى الله فوق ما تمنيت.. لقد كانت أقصى أمنياتى ألا أموت وحيدًا وها قد حقق الله لى ذلك وأكثر منه بكثير.. لقد أعادك إلىّ وليس أنت فقط بل عدت أنت وابنة أخى التى تمنيتها زوجةً لك منذ رأيتها لأول مرة ، وها أنا على وشك رؤية حفيدى.. لقد حصلت على كل ماتمنيته من هذه الدنيا.

هتفت الجدة من بين دموعها: لا تقل هذا يا ولدى ستعيش لترى أحفادك.

غمغم فى ضعف : أتعلمين أمى .. لقد سامحت أبى وأخى منذ تزوجت (سارة) بـ (يوسف) أدركت كيف كان شعور أبى وكيف كانت رغبته فى أن يطمئن على ابنة أخته،لقد كان أبى محقًا فى قراره، لقد سامحت الجميع وأرجو أن يسامحنى الجميع.

قال (يوسف) وهو يجاهد دموعه: لاتقل هذا ستعيش حتى ترى حفيدك وتحمله بين يديك..

تمتم (سليم) فى أمل : أتمنى هذا.

دخلت الممرضة لتعلن انتهاء الزيارة ووجوب ترك المريض ليحصل على قسط من الراحة.

❖ ❖ ❖

احتوت (سارة) (سيلين) وهى تودعها قائلة: لست أدرى كيف يمكننى شكرك.

قالت فى عتاب : أنا لم أفعل شيئا.

سارة: حضورك من مصر خصيصًا لتكونى بجوارنا وحضورك اليومى إلى المستشفى وخالك ومافعله معنا هنا، واستضافته لـ (مصطفى) و(إسلام) فى بيته.

قالت فى سرعة : أولًا (أحمد) كان سيأتى هنا بعد أسبوعين فى دورة تدريبية وكنت سأرافقه.. ثانيا: خالى طبيب معروف هنا وهذا أقل شىء يفعله، أما بالنسبه لـ (مصطفى) و(إسلام) فهو كان يتمنى أولادًا مثلهم وهو معجب للغاية بـ (مصطفى) وأصبح هو (وإسلام) صديقين مقربين فكما تعلمين هو لم يرزق بأطفال ولقد اختلفت حياته تمامًا بوجودهما لذا هو سعيد للغاية بهما.. ثالثا: وهو الأهم أننى مهما فعلت لم أكن لأرد معروف زوجك.

سألتها فى دهشة: أى معروف؟

أجابتها فى دهشة مماثلة: ألم يخبرك أنه هو من ساعد (أحمد) فى الإيقاع بـ (تامر).

هزت رأسها نفيًا فتابعت (سيلين): لقد أخبرنى (أحمد) أنه هو الذى اخترق حاسوب (تامر). وحصل على تلك الوثائق واخترق موقع تلك الجريدة الرسمية ونشرها عليه..

شردت لحظه ببصرها ثم عادت فى سرعة وهى تقول: لم يخبرنى.. المهم كيف تسير أحوالك مع (أحمد)؟

أجابتها وقد ظللت عينيها نظرة عشق: إنه أكثر من رائع.. إنه هدية الله لى.

همست فى حنان: وأنتِ أيضًا هدية الله له.

هتفت فى فرحة: أخبرك سر، أنا حامل.

احتضنتها فى سعادة : مبارك حبيبتى.. هل أخبرت (أحمد)؟

قالت فى خفوت : لقد أعددت حفل عشاء لأخبره الليلة.. بالمناسبة لقد اتصلت بى (تارا) وأخبرتنى أن موعد زفاف (رنا) و دكتور (ماجد) الشهر القادم وطلبت منى ضرورة الحضور فكما تعلمين لقد أصبحتا صديقتين مقربتين.

قالت فى مرح: أخيرًا قامت بتحديد موعد الزفاف.

ضحكت (سيلين) : لقد قالت إنها يجب أن تسرع حتى لا يظهر صلع زوجها فى الصور ..

أغرقت كلتاهما فى الضحك و(سارة) تقول: لا فائدة.

❖ ❖ ❖

دخلت إلى شقة (يوسف) الذى تبعها وهو يقول: أنا أشفق على جدتى من مكوثها بالمستشفى؟

قالت فى استسلام : هى لن تتركه حتى يخرج ، صمتت لحظة قبل أن تتابع بلهجةٍ غاضبة: لمَ لم تخبرنى بما فعلته لـ (سيلين)؟

ألقى بنفسه على الأريكة بجوارها قائلًا فى بساطة: لقد طلب منى (أحمد) مساعدة فتاة مظلومة وأخبرنى قصتها ففعلت ما بوسعى.

هتفت فى غضب طفولى: وتجعلنى كالمغفلة التى لا تعلم عن زوجها شيئا.. كان على ألا أقبل بك زوجًا بعد مافعلته معى تلك

الليلة حين أصابتك تلك الرصاصة.

أطلق (يوسف) ضحكة عالية قطعها ليقول: ألن تسامحينى حبيبتى.

قالت في عناد: كلا لن أسامحك ، لقد كنت ترتدى واقيًا للرصاص وتضع كيسًا من الدم جعلنى أصاب بالهلع ، وكلما ضغطت عليه ازداد اندفاع الدم منه، وأنا أكاد أموت من الخوف عليك بينما أنت تستمتع بحالة الانهيار التى كنت فيها، وتستمع بكل برود إلى الجهاز الذى ينقل لك دقات قلبى الذى كاد يتوقف عن النبض من رعبى عليك وأنا أرى الدماء تنزف من صدرك وأشعر بالعجز وأنا أراك تحتضر أمامى... أتعلم كلما تذكرتك وأنت تفتح عينيك لتقول لى ببرود : إن الجهاز يخبرك أن قلبى يكاد يتوقف عن النبض.. ثم تنهض واقفًا أمامى وكأن شيئًا لم يحدث ، أتمنى لو خنقتك بيدى وقتها.

همس فى رقة: وهل كان قلبك ليطاوعك؟

أجابت فى دلال غاضب: كما طاوعك قلبك على خداعى والسخرية منى.

قال فى حب: قلبى لا يمكنه أن يخدعك حبيبتى أو يفعل شيئًا يغضبك.. ولكن تلك اللحظات كانت من أثمن لحظات حياتى وأنا أرى لهفتك وخوفك علىّ يطل من عينيك، وأرى حبك يتجلى فى دموع مقلتيك، وأستمع لقلبك ينبض من أجلى.. وقتها أدركت أنكِ كل شىء لى فى هذه الحياة.. أدركت أنكِ أمى وابنتى، أختى

وصديقتى ومعلمتى وتلميذتى.. أدركت أنكِ وحدك حبيبتى.

أسبلت جفنيها فى حياء وغزا الاحمرار وجهها كعذراء فى خدرها وهى تقول فى خجل: كفى لقد سامحتك.

أطلق ضحكة عالية وهو يضمها إلى صدره فى حب بينما نظرت هى إلى بطنها المنتفخة قائلة: ماذا سنسمى ابننا؟

رفع رأسه فى اعتداد وتألقت عيناه وهو يقول: سأسميه (محمدًا)

تمت بحمد الله

الفهرس

النبضة الأولى........................ ٧
النبضة الثانية ٥٠
النبضة الثالثة ٦٣
النبضة الرابعة ٨٦
النبضة الخامسة ١٠٨
النبضة السادسة ١٢٨
النبضة السابعة ١٥٠
النبضة الثامنــة...................... ١٦٣
النبضة التاسعة...................... ١٧٦
النبضة العاشرة...................... ١٩٢
النبضة الحادية عشرة...................... ٢٢٠
النبضة الثانية عشرة...................... ٢٤٢
النبضة الثالثة عشرة...................... ٢٥٩
النبضة الرابعة عشرة...................... ٢٧٦
النبضة الخامسة عشرة...................... ٢٩٢
النبضة السادسة عشــرة...................... ٣١١
النبضة الأخيرة...................... ٣٢٤